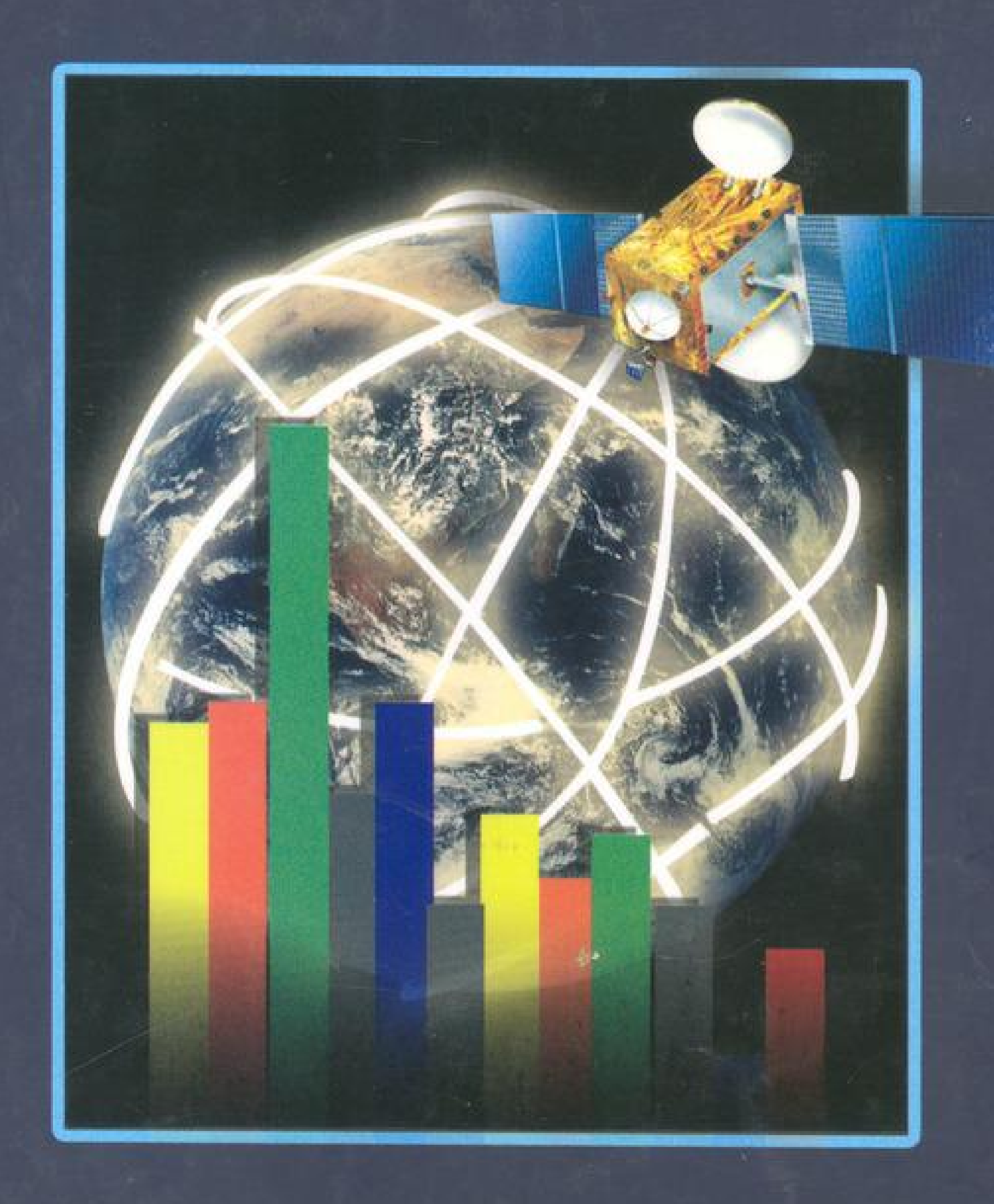
علوم الإعلام

البحث العلمى ـ المناهج ـ التطبيقات





د . أحمد بدر

علـوم الإعـلام



علـوم الإعــلام

البحث العلمي - المناهج - التطبيقات

دكتور/ أحمد بدر

بكالوريوس العلوم – ماجستير الصحافة (القاهرة)

ماجستير المكتبات – دكتوراه علم المعلومات والعلاقات الدولية (أمريكا)
أستاذ ومستشار جامعة القاهرة، ومنسق الفريق المصري في اللجنة
المصرية الأمريكية للمعلومات العلمية والتكنولوجية (سابقاً)
وحالياً أستاذ غير متفرغ بجامعة القاهرة

الناشــر

دار قبــاء الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

اسـم الكتاب : علوم الإعلام (البحث العلمي - المناهج - التطبيقات)

اسـم المؤلف : د. أحمد بدر

سنة النشـــر : 2008 م

رقم الإيـداع : 4489 / 2008 م

الترقيم الدولي : 9 - 17 - 6240 - 977 - 978

الناشـــر

دار قبـــاء الحديثـة

للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة

E-Mail: modern_qubaa@hotmail.com

الإدارة 16 عمارات العبور - شارع صلاح سـالـم

الدور الثالث - مدينة نصـر - القاهـــرة

تليفاكـس 02/22621365

محمـــول 0123140315 - 0123171722 - 0123171744





بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة الكتـــاب

يحـــتل الـــبحث العلمـــي ومناهجه في علوم الإعلام أهمية متزايدة في العـــصر الحاضـــر، فعلوم الإعلام وثيقة الصلة بالمعرفة كلها أى بالدراسات الإنـــسانية والاجتماعـــية والطبيعـــية.. وإذا كان الإعلام وسيلة تزويد الناس بالمعلـــومات في جميع هذه الدراسات مستعينا في ذلك بالوسائل المطبوعة أو الإلكترونية فعلوم الإعلام تهتم بتدريب الطلاب والباحثين في المجال بأساليب ومـــناهج البحث العلمي لرفع كفاءتهم في الاستيعاب والإضافة خلال الدراسة المنهجية والبحثية وفى الأداء في سوق العمل بين الجماهير.

وإذا كـــان هذا الكتاب يتناول أصول البحث ومناهجه كما تنسحب على مخـــتلف العلـــوم والدراســـات، فهو يؤكد في معظم فصوله على تطبيق هذه المـــناهج والأســـاليب فـــي المجـــالات الإعلامية، موضحاً ذلك بنماذج من الدراسات والبحوث الإعلامية المتعلقة.

ويتـــناول الكتاب في **الفصل الأول** المفاهيم الرئيسية في البحث العلمي، مـــن حيث التعاريف والمصطلحات ومميزات الطريقة العلمية وخصائصها، فـــضلاً عـــن التعـــريف بالنظرية والقانون والصحة والموثوقية والاستنباط والاستقراء ودروها في اكتشاف المعرفة وأخلاقيات البحث العلمي.

أما **الفصل الثاني** فتتناول مشكلة البحث وكيفية اختيارها وكيفية التعبير عـــنها بالتـــساؤلات أو الفروض وطبيعة الفروض والعناصر المتصلة بها ثم مراجعة مختصرة عن طرق الحصول على المعرفة.

وتناول **الفصل الثالث** الصحافة كمهنه للمهن واتجاهات وتكامل بحوث علـــوم الإعـــلام مع العلوم الأخرى، واتجاهات البحوث والدراسات في علوم الإعلام في الوقت الحاضر وعلاقة علوم الاتصال بعلم المعلومات.

أمـــا **الفصل الرابع** فيتناول تكامل البحوث النوعية والكمية في دراسات الإعــلام والتمييــز بينها، إلى جانب بعض أدوات البحوث النوعية خصوصاً المقــابلات والملاحظــات بأنــواعها واسباب استخدامها والمبادئ التي يجب مــراعاتها فضلاً عن أسلوب القياس التكرارى وقياسات الاتجاهات المتدرجة ويخــتم الفــصل بــنماذج لمــناهج الــبحث المستخدمة في بحوث الاتصال الجماهيرى من خلال تحليل الدوريات العلمية الإعلامية.

وتــناول **الفــصل الخامس** منهج التحليل التاريخي وموقع التاريخ بين التخصــصات العلمــية وأسئلة البحث في الدراسات التاريخية وأنواع الدليل التاريخي مبرزاً أهمية المصادر الأولية ثم التقييم الخارجي والداخلى للوثائق والفرق بينهما وأخيراً الفرض في البحوث التاريخية.

أما **الفصل السادس** فيتناول تحليل المضمون في بحوث الإعلام وتحتل هذه الوحدة مع الوحدة التالية عن منهج المسح مساحة واسعة في هذا الكتاب، حيث تتم دراسة استخدام تحليل المحتوى وحدوده وخطواته وبعض المشكلات المنهجية والتطورات الجارية في تحليل المضمون وتختم هذه الدراسة بنموذج تطبيقى لتحليل محتوى شبكات الأخبار الأمريكية أثناء زيارة الرئيس الراحل السادات لمدينة القدس.

أمــا **الفــصل الــسابع** عن منهج المسح فيتناول المسح بتعريفه وأنواعه ومميــزاته فــضلاً عن الأخطاء التي يجب مواجهتها في الاستبيان والخطوات اللازمــة لتــصميم البحث والقيام به، كما تمت دراسة الاستبيانات –مالها وما علــيها– ثم اسهامات المسح في العلوم الإعلامية والسياسية ومشكلاته وحدوده ويخــتم الفــصل بدراســة مــسحية تطبيقــية عن اتجاهات العرب والمسلمين الأمريكيين بعد الحادى عشر من سبتمبر 2001.

أما **الفصل الثامن** فتناول المنهج التجريبى وأهميته ومكوناته المفتاحية وأنـــواع التجارب وعناصر التجربة وبعض قواعد تصميم التجارب والفرق بـــين التجربة في المختبر والتجارب مع الناس، وأخيراً الصعوبات التي يجب أن يتجنبها الباحث.

ويتـــناول **الفـــصل التاســـع** الطـــريقة الاحصائية والتحليل الاحصائى الوصـــفى والاســـتدلالى، وإذا كانت الطريقة الاحصائية الوصفية تعتبر لغة للتعبيـــر عـــن بيانات البحث، فإن التحليل الاحصائى الاستدلالى يعتبر منهجا للبحث واختبار الفرض وبالتالي فهو يتناول نظرية المعاينة وثبات العينات ثم يشرح لنا التحليل الاحصائى الخاطئ الذي يجب أن يتجنبه الباحث.

هذا فضلاً عن أنواع المقاييس الإحصائية والإحصاء البارامترى وغير البارامترى.

أمـــا **الفصل العاشر** فهو عن تأثير الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية علـــى بحـــوث الاتـــصال والإعـــلام وبالتالي يتناول الفصل تكامل الثورتين والمقارنـــة بيـــنهما ثم نماذج فعلية من الدراسات التي نشرت وتبنت الاتجاه الـــسلوكى ثم افتراضات القيمة والتزامات المهنة السياسية الإعلامية، وأخيراً الثورة ما بعد السلوكية والعلاقات الدولية والإعلام الدولى.

ويتناول **الفـــصل الحادى عشر** كيفية تجنب الأخطاء الشائعة في البحث وكـــتابة التقريـــر أى الهـــيكل العام لتقرير البحث وكيفية تقييمه، فضلاً عن تقارير البحوث طبقاً لطريقة امرود [IMRD] والعرض البيانى والتصويرى لمعلومات البحث.

ويعتبـــر الفـــصل الثانـــى عشر والأخير ذا أهمية بالغة إذ هو يتناول التوثـــيق ومـــصادر المعلومات في علوم الإعلام ونماذج من مصادر بحث الإنـــتاج الفكـــرى فـــضلاً عن أدوات البحث والضبط الببليوجرافى للإنتاج

لفكــرى فــي مجــال الإعلام والاتصال، فضلاً عن دوريات علوم الإعلام الإنترنت، وبعض مصادر المعلومات العربية والأجنبية.

والله ادعــو أن تكــون هذه الدراسة قد ملأت فراغا في مجال بحوث علــوم الإعــلام والاتصال ودافعاً لتنشيط حركة البحث العلمي على مختلف لمستويات الدراسية والبحثية بأقسام الإعلام بالجامعات المصرية والعربية.

والله ولي التوفيق

أ.د. أحمــد بــدر

رمضان : 1428هـ

أكتوبر : 2007م

الفصل الأول

بعض المفاهيم الرئيسية في البحث العلمي

أولاً: طبيعة البحث العلمي وبعض عناصره

مـــاذا نعنى بالعلم؟ وما هي أهداف العلم؟ ... وماذا نعنى بالبحث؟ وما هي أنواعه ومستوياته؟ وماذا نعنى بالمنهج وبعلم المناهج؟ وكيف نفرق بين نوع البحث Type ومنهج البحث Method وأداة البحث Tool وأسلوب البحث Technique ومـــسلك أو مـــدخل الـــبحث Approach وأخيراً ماذا نقصد في البحث العلمي بالمفهوم وبالتعريف وبالمتغيرات؟

1 - تعريف العلم:

قاموس ويستر الجديد Webster's New twentieth Century Dictionary of English language 1960 ,1622 يقدم تعريفين للعلم هما:

- العلـــم هو المعـــرفة المنهجـــية Systematized knowledge التي تنشأ عن الملاحظـــة والدراسة والتجريب، والتي تتم بغرض تحديد طبيعة أو أسس وأصول ما تتم دراسته.
- العلـــم هـــو فـــرع من فروع المعرفة أو الدراسة، خصوصاً ذلك الفرع المـــتعلق بتنـــسيق وترسيخ الحقائق والمبادئ والمناهج بواسطة التجارب والفروض.

ويعرفه قاموس اكسفورد المختصر كما يلى Shorter Qxford English Dictionary,p.1809.

- العلـــم هو ذلك الفرع من الدراسة الذي يتعلق بجسد مترابط من الحقائق الثابتة المصنفة، والتي تحكمها قوانين عامة وتحتوى على طرق ومناهج موثوق بها، لاكتشاف الحقائق الجديدة في نطاق هذه الدراسة.

وإذا كنا نؤيد التعريف الأخير للعلم، نظراً لتأكيده على "الحقائق الثابتة المـــصنفة" وعلـــى اتـــباع "الطرق والمناهج الموثوق بها لاكتشاف الحقيقة، وبالتالـــي فيمكن أن نشير إلى تعريف العلم بأنه ذلك الفرع من الدراسة الذي يتميـــز بحـــصر الحقائق وضبطها ثم التحكم فيها وقياسها ثم التنبؤ بالظواهر العلمـــية، ولكنـــنا في هذه الحالة ستقصر العلم على العلوم الطبيعية ونستبعد العلوم الاجتماعية لأننا لا نستطيع أن نطبق عليها هذه الشروط بنفس الدقة.

2 – أهداف العلم :

يهـــدف الإنـــسان باستخدامه للعلم إلى تفسير الظواهر المحيطة به، أى ألا يقتـــصر دور العلـــم على مجرد وصف الظواهر (الشمس تشرق/ السماء تمطر .. الخ) بل إلى تقديم التفسير العلمي لها وكيفية حدوثها وأسبابها.،

كمـــا يهـــدف العلـــم إلى صياغة التعميمات .. أى أن شرح الظاهرة وتفـــسيرها يجب ألا يكون شرحاً جزئياً، بل أن يتسع مدى هذا التفسير ليعمم ويشمل أكبر عدد من الظواهر المماثلة.

هـــذا ويـــذهب العديد من فلاسفة العلم إلى أن وظيفة العلم هي وضع القوانـــين العامة، التي تمكننا من ربط معارفنا عن الأحداث المتفرقة، فضلاً عـــن إمكانية وضع التنبؤات الموثوق بها عن الأحداث التي لم نعرفها بعد.. وعلـــى سبيل المثال فقد تنبأ مندليف بوجود عنصر جديد هو الجرمانيوم، قبل أن يكتـــشف بخمـــسة عـــشر عاماً، وذلك نظراً لملاحظته وجود ثغرات في الجـــدول الـــدورى للعناصـــر الكيميائية (Periodic Table).. وقس على ذلك تنبوءات علماء الاقتصاد أو السياسة أو الاجتماع أو غيرهم.. ويرتبط بعملية

التنـــبؤ هذه عملية الضبط كهدف أيضاً للعلم، ويعنى الضبط عملية التحكم في بعض العوامل الأساسية التي تسبب ظاهرة معينة، بحيث تجعل هذه الظاهرة تتم أو تمنع وقوعها.. ويورد فان دالين التعريف التالى لتوضيح عملية التحكم والضبط هذه (فان دالين، ديو بولد، 1977 ، ص61).

"يعـــرف الطبـــيب أنـــه إذا لم يفرز البنكرياس الأنسولين، لن يستطيع الجسم أن يفيد من المواد الكربوهيدراتية، ويستطيع الطبيب أن يتنبأ بما يحدث للمـــريض إذا وجـــدت هذه الحالة (حالة البول السكرى) ويستطيع فضلاً عن ذلـــك أن يضبط البول السكرى بإعطاء المريض حقنا من الأنسولين، أى أن الطبـــيب يمـــارس فـــي الواقع فهمه لطبيعة المرض عندما يتنبأ بحالة البول الـــسكرى ويـــضبطها" وإذا كانـــت ظواهـــر العلوم الطبيعية تخضع للتحكم والتطويع عن طريق الملاحظة والتصميمات القوية للتجربة، فهناك القليل من الظواهر الاجتماعية والإنسانية القابلة لمثل هذا التطويع..

وبالتالـــي فـــيقال عـــادة بأن شرح وتفسير الظواهر الإنسانية هو تفسير احتمالـــى Probabilistic، بيـــنما تفسير الظواهر الطبيعية هو تفسير استنباطى Deductive والتفسير الأول أضعف من الثانى نظراً لقدرته التنبوئية المحدودة.

وعلـــى ســـبيل المثال.. إذا كان هناك ارتباط بين ظاهرة الحرمان في مجـــتمع معـــين، وبين ظاهرة العنف، فإن تفسير العلاقة بين الظاهرتين هو تفسير احتمالى لا يصدق بنفس الدرجة في جميع المجتمعات، بل ويرتبط هذا التفـــسير فـــي أحيان كثيرة بأيديولوجية المجتمع وتركيبه الاجتماعى، ولكن تفسير العلاقات بالنسبة للظواهر الطبيعية كالجاذبية وسقوط الأشياء هو تفسير منطقى ينسحب عليه صفتى التعميم والتنبؤ في كل مكان.

3 - البحث وأنواعه

البحث ليس ببساطة وصف الظاهرة التي أمامك ولكنه يتجاوز ذلك حيث يقصد به الدراسة العميقة، حتى يمكننا شرح الظاهرة والتنبؤ بسلوكها وهو ليس ببساطة تلوين الصورة بما تراه ولكنه يتضمن الغوص تحت السطح حتى يمكنك أن تجعل للظاهرة أو الصوة معنى.

وهناك تعريفات كثيرة للبحث تدور معظمها حول كونه وسيلة الاستعلام والاستقصاء المنظم والدقيق الذي يقوم به الباحث بغرض اكتشاف معلومات أو علاقات جديدة، بالإضافة إلى تطوير أو تصحيح أو تحقيق المعلومات الموجودة فعلاً على أن يتبع في هذا الفحص والاستعلام الدقيق، خطوات المنهج العلمي واختيار الطريقة والأدوات اللازمة للبحث وجمع البيانات.

ومن بين هذه التعريفات ما يلي:

- البحث استقصاء دقيق يهدف إلى اكتشاف حقائق وقواعد عامة يمكن التحقق منها مستقبلاً.
- البحث استقصاء منظم يهدف إلى إضافة معارف يمكن توصيلها، والتحقق من صحتها عن طريق الاختبار العلمي.
- البحث وسيلة للدراسة يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة، وذلك عن طريق التقصي الشامل والدقيق لجميع الشواهد والأدلة التي يمكن التحقق منها، والتي تتصل بهذه المشكلة المحددة (Hillway,T p.5).

Research is a method of study by which, through the careful and exhaustive investigation of all ascertainable evidence bearing upon a definable problem, we reach a solution to that problem.

فالـــبحث عملية تطويع الأشياء والمفاهيم Concepts والرموز، بغرض التعميم Generalization.. فالمهندس الميكانيكى أو الطبيب يعتبر باحثا عندما يحاول التعميم عن جميع السيارات أو جميع المرضى في قطاع معين.

وكثيراً ما نطلق كلمة "البحث" على جميع نشاطات الدارسين، ومع ذلك إذا ألقيـــنا نظرة سريعة على المقالات العلمية المنشورة في أى مجال سوف تتكــشف لـــنا اخــتلافات أساســية كثيرة بينها. فبعض هذه المقالات يصف التجارب العلمية ونتائجها، وبعضها يعتبر مجرد تقارير عن "مسح الآراء ... Opinion Surveys" وبعــضها يعلـــن عن تعميمات عريضة مبنية على دليل يقدمه الباحث. وبعض هذه المقالات أيضاً تحمل مجرد انطباعات الكاتب التي اكتسبها من دراسته غير المحكومة "Uncontrolled Contact" لموضوع معين وتفـــسيره هو وتعليله لبعض الجوانب في الموضوع الذي يقوم بدراسته.. إن نشاطات البحث متعددة وكثيرة .. فهى تشمل التجريب وألوان المسح العلمي وتحلـــيل الوثائق والدراسات التاريخية وتفسير الأفكار والتحرير وغير ذلك. ويمكن أن نجمل نشاطات البحوث في الأنواع الثلاثة التالية:

(أ) **الـــبحث بمعنى التنقيب عن الحقائق:** مثل محاولة الحصول على حقائق معيـــنة دون الوصول إلى التعميم وذلك مثل كتابة سيرة أحد الزعماء أو تاريخ كلية أو جامعة معينة أو إعداد ببليوجرافيا أما الخطوة الثانية فهى:

(ب) **البحث بمعنى التفسير النقدى:** أى التدليل المنطقى والوصول إلى بدائل واختيارات ومعظم البحوث الاجتماعية والإنسانية تقع في هذا النوع.

(ج) **الـــبحث الكامـــل:** ويهـــدف إلى حل المشكلات ووضع التعميمات بعد التنقيب الدقيق عن الحقائق المتعلقة.

ومع ذلك فلابد أن يتوفر في التفسير النقدى ثلاثة جوانب وهى:

- أن تعـتمد المناقشة -أو تتفق على الأقل- مع الحقائق والمبادئ المعروفة في المجال الذي يقوم الباحث بدراسته.
- يجب أن تكون الحجج والمناقشات التي يقدمها الباحث في التفسير النقدى واضـحة ومعقـولة، أو أنهـا يجـب أن تكون منطقية. وعلى ذلك فإن التعمـيمات والنتائج التي يصل إليها الباحث يجب أن تعتمد منطقياً على الحقائـق المعروفة. كما يجب أن تكون الخطوات التي اتبعها الباحث في تبرير ما يقول واضحة.
- كمـا يجب أن يكون التدليل العقلى وهو الاساس المتبع في هذه الطريقة تدليلاً أمينا وكاملاً حتى يستطيع القارئ متابعة المناقشة وتقبل النتائج.
- نتيجة هذا المستوى من البحث هو الرأى الراجح الذي يقدمه الباحث كحل للمـشكلة، ذلك لأن هذا الرأى يعتمد على الحقائق والمبادئ المتفق عليها في مجال البحث ويؤيدها كل من المنطق والدليل المتوفر.

أما البحث الكامل فيجب أن تتوفر فيه العوامل المحددة التالية:

1. أن تكون هناك مشكلة تستدعى الحل.
2. وجود الدليل Evidence الذي يحتوى عادة على الحقائق التي تم إثباتها.. وقد يحتوى هذا الدليل أحيانا على رأى الخبراء..
3. التحلـيل الدقـيق للدليل وتصنيفه، حيث يمكن أن يرتب الدليل في إطار منطقى وذلك لاختباره وتطبيقه على المشكلة.
4. اسـتخدام العقل والمنطق لترتيب الدليل في حجج أو إثباتات حقيقية يمكن أن تؤدى إلى حل المشكلة.
5. الحـل المحـدد.. وهو يعتبر الإجابة على السؤال أو المشكلة التي تواجه الباحث.

4 - منهج البحث وأداة البحث :

1/4 المنهج وعلم المناهج:

لقد تكونت فكرة المنهج (METHOD) بالمعنى الاصطلاحى المتعارف عليه اليوم ابتداء من القرن السابع عشر على يد فرانسيس بيكون FRANCIS BACON وكلود برنارد وغيرهما من العلماء الذين اهتموا بالمنهج التجريبى والمناهج بصفة عامة وأصبح معنى اصطلاح المنهج العلمي هو الطريق المؤدية بالعلم إلى التقدم من مجرد الشك والتصور والوهم.. إلى الحقائق الموثوق فيها والنتائج السليمة الموضوعية، فالمنهج العلمي بذلك يهدف إلى الدقة والتدقيق.. وبالتالي فإنه يعتمد على كل من المنطق وعلى الأساليب اللازمة للتحقق والقياس. كما أن المنهج العلمي –في صورته المثالية– يتضمن إمكانية التعبير الرياضى عن العلاقات بين المتغيرات المختلفة.. وأخيراً فإن التجريب Experimentation هو إحدى مكونات المنهج العلمي الأساسية، ذلك لأن التحقق Verification يتم تحت ظروف محكمة ودقيقة.. هذا والجهد العلمي لا يتضمن مجرد التجميع الكمى للبيانات والمعلومات فحسب، ولكن الجهد العلمي يتضمن كذلك التفكير الخلاق والأصيل.

5 - مصطلحات ومفاهيم البحث العلمي واستخداماتها المتنوعة:

إذا كان الباحث يحرص قبل بداية دراسته الجادة، على تحديد المفاهيم وتعريف المصطلحات الداخلة في مجال دراسته فمن الواجب أن نشير إلى بعض المفاهيم والمصطلحات المختلف عليها.

فهناك على وجه التحديد المصطلحات التالية: منهج البحث Method نوع البحث Type أداة البحث Tool، أسلوب البحث Technique، مسلك أو مدخل البحث Approach.

وإذا كـنا نميز بين نوع البحث ومنهجه وأدواته، على اعتبار أن نوع الـبحث هـو مستواه ومنهج البحث هو خطته وأداة البحث هي وسيلة تجميع البـيانات، فهـناك من الباحثين الذين يرون أن نوع البحث يتحدد بناء على الهـدف مـن البحث، وبناء على مستوى المعلومات المتوفرة، وأن تصنيف أنواع البحوث يجب أن يكون عريضاً ومرناً، ليندرج تحت كل نوع من أنواع البحوث عدة مناهج (البحوث الوصفية مثلا تحتها منهج المسح ومنهج دراسة الحالة) وهكذا.

ومـن الـواجب أن نشير إلى أن بعض كتب البحث العلمي تستخدم كلمة أسـلوب Technique للدلالـة على كل من النوع أو الأداة أو المنهج، حيث يقال مثلاً أسلوب الملاحظة Observation Technique أسلوب الاستبيان uestionnaire Technique أسلوب (منهج) البحث والتقصىInvestigative Technique.

وأخيـراً فإن مصطلح المدخل أو المسلك Approach قد استخدم للدلالة على الطريقة التي يسلكها الباحث حين (يقترب) أو يعالج موضوع البحث، أو الزاوية التي يبدأ منها تناول الموضوع، وقد يرتبط المدخل بالعلوم الأكاديمية كالـتاريخ والاقتصاد والاجتماع وعلم النفس والجغرافيا.. وقد يرتبط المدخل بالظواهـر أو المشكلات المختلفة مثل (العنف السياسى/ الاغتراب/ الصراع ...) وأخيـراً فقـد يـرتبط المدخل بالطريقة الاستنباطية أو الاستقرائية في التفكير أو المدخل الكيفى أو الكمى للتعبير عن الظواهر.

6 - التعاريف والمتغيرات كعناصر أساسية في البحث:

أ- المفاهيم Concepts

هى مجموعة الرموز التي يستخدمها الفرد لتوصيل ما يريده من معانى لغيـره مـن الأفـراد. هذا وتتضمن عملية التفكير استخدام اللغة وهي نظام للاتصال يتكون من رموز ومجموعة من القواعد تسمح بتركيبات مختلفة لهذه

الـــرموز، ويعتبر المفهوم أحد الرموز الأساسية في اللغة والذي يمثل بطريقة تجريدية شيئاً معيناً أو إحدى خصائص هذا الشيء أو ظاهرة معينة.

وكـــل موضوع علمي لـــه مفاهيمه المتميزة والخاصة بعملية الاتصال والـــبحث، ويستطيع العلماء أن ينقلوا لزملائهم وللجمهور المعلومات والخبرات المخـــتلفة عن طريق هذه المفاهيم، ويتم اختيار المفاهيم "المفيدة" عادة بواسطة العلمـــاء والباحثـــين النابهين، وعلى سبيل المثال فمفاهيم "الوزن" "الدخل" هي مفاهيم "عامة" ومفيدة وتخدم صفات تنسحب على مختلف الأشياء أو الناس، أى أن المفاهيم ليست وسائل للاتصال فحسب، ولكنها تستخدم للتعميم كذلك، ولابد أن تكون هذه المفاهيم واضحة ودقيقة، وهذا يتحقق عن طريق التعاريف.

ب- التعاريف : Definitions

يعـــتمد الـــبحث العلمي على نوعين من التعاريف أولهما **هو التعريف المفهومـــى** Conceptual والثانـــى **هـــو التعـــريف الاجرائى** Operational **والتعـــريف المفهومـــى** يتضمن استخدام مفاهيم لتشرح مفاهيم أخرى، وعلى ســـبيل المثال فإن التعريف المفهومى لظاهرة العنف السياسى يمكن أن يكون السلوك العدوانى نحو المؤسسات السياسية والأشخاص الذين يحتلون مناصب ويقومـــون بأدوار سياسية، ويمكن أن يكون "استخدام السلاح لتحقيق أهداف سياسية" ومثال آخر بالنسبة للتعريف المفهومى للذكاء هو القدرة أى " القدرة علـــى التفكيـــر بطـــريقة مجردة" أو "القدرة على حل المشكلات"، فكل هذه التعاريف سواء للذكاء وللعنف السياسى تقوم بتعريف المفهوم بواسطة مفاهيم أخرى أكثر بساطة في معظم الأحيان.

والـــذي يهمـــنا من الشرح السابق هو أننا لا نستطيع اعتبار التعريف المفهومـــى حقيقـــيا أو غير حقيقى، أى أننا لا نستطيع أن نرفض التعاريف السابقة إلا إذا لم يستخدمها الباحث في دراسته بطريقة منتظمة، أو إذا كانت

هـــذه الـــتعاريف متعارضـــة تماماً مع ما اتفق عليه معظم الباحثين في هذا المجال الموضوعى.

أمـــا بالنـــسبة **للتعريف الاجرائى** فهو الذي يغطى أو يصل الفجوة بين المستوى النظرى والفكرى والمستوى الامبيريقى الذي تتم ملاحظته.

ومفهـــوم "الإجـــراءات هـــذه تتضمن سلسلة من التعليمات التي تشرح العملـــيات التي يجب أن يقوم لها الباحث ليظهر وجود أو درجة وجود حدث امبيريقى معين معبر عنه بإحدى المفاهيم.

وعلى سبيل المثال فإن التعريف الاجرائى لظاهرة الذوبان Solubility بالنـــسبة لملـــح معين قابل للذوبان في الماء، هو أن هذا الملح إذا وضع في الماء فإنه يذوب.. وبنفس الطريقة فإن التعريف الاجرائى للذكاء يتضمن بيان العملـــيات التي يقوم بها الباحث ليكشف عن وجود الصفة التي تمثل المفهوم وفى هذه الحالة فإن الباحث يعطى عدداً من الأطفال فصلاً من كتاب ليقوموا بقـــراءته وتلخيصه، والذين يقومون بهذا العمل بنجاح يمكن وصفهم بالذكاء، والذين يفشلون في تحقيق ذلك ليسوا أذكياء وهكذا.. والتعريف الاجرائى هذا مـــستخدم كثيـــراً فـــي العلوم الاجتماعية، وذلك لصعوبة أو استحالة تطويع الصفات التي يقوم الباحث بتعريفها..

وعلـــى ســـبيل المـــثال فـــإن الباحث الاجتماعى سيقوم بوصف أحد الأشـــخاص بأنـــه "محافظ" إذا أجاب على سلسلة من الأسئلة بطريقة معينة. والافتـــراض هـــنا هو أن إجابات معينة لأسئلة محددة (مثيرات) تمثل نماذج وصفات للشخصية أحدها هو صفة "المحافظة".

وهـــناك مـــشكلات تتعلق بدرجة توافق كل من التعريفين مع بعضهما ويلجأ الباحثون في تقييم ذلك باختبارات الصدق Validity tests والتي سيجئ ذكـــرها فـــيما بعـــد .. كما أن هناك العديد من المفاهيم "كالجمال" و"الوعى

الـــباطن" و"الجدلـــية الماديـــة" وغيرها من المفاهيم التي لا يستطيع الباحث تعريفها إجرائياً.

جـ- المتغيرات: Variables

المتغيـــر هـــو مفهوم تطبيقى لـــه قيمتان أو أكثر .. والمفاهيم التي يتم تطبيقها امبيريقيا مثل "الطبقة الاجتماعية"، "المشاركة السياسية"، "الجنس" تعامل كمتغيـــرات .. فعلـــى سبيل المثال فهناك خمسة قيم على الأقل لمفهوم "الطبقة الاجتماعية" وهي منخفض/ الوسط المنخفض/ الوسط/ الوسط العالى/ العالى.. والـــدخل كمفهـــوم يمكن أن تكون لـــه ثلاث قيم وهي المنخفض / المتوسط/ والعالى.. كما أن هناك متغيرات لها قيمتان فقط كالجنس (ذكر/ وأنثى).. وإن كانت معظم المفاهيم في العلوم الاجتماعية متعددة القيم.

وهـــناك ثلاثـــة أنواع شائعة من المتغيرات (ذات القيمتين أو المتعددة القـــيم) فـــي البحوث العلمية هى: المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة ثم المتغيرات الضابطة، والمتغير التابع هو المتغير الذي يرغب الباحث عادة في شرحه أما المتغيرات التي ستفسر لنا الظاهرة فهى المتغيرات المستقلة أى أن المتغيـــر المـــستقل هو السبب الافتراضى للمتغير التابع والمتغير التابع هو الناتج المتوقع من المتغير المستقل.

ومـــع ذلك فيمكن أن يكون **المتغير المستقل** في دراسة معينة هو نفسه متغير تابع في دراسة أخرى.. ولكن لابد من وضوح كل منهما في الدراسة وبـــيان ترتيبهما الزمنى.. فعلى سبيل المثال فيمكن اعتبار "الحرمان النسبى" في مجتمع معين كمتغير مستقل وأن "العنف السياسى" هو المتغير التابع وفى هذه الحالة فإن الفرض سيكون "الحرمان النسبى" يؤدى إلى "العنف السياسى" وفـــى دراســـة أخرى يمكن أن يكون التصنيف بالعكس ويؤدى إلى الفرض التالى "العنف السياسى يؤدى إلى الحرمان النسبى" وفى الظواهر الاجتماعية المعقـــدة فهناك متغيرين مستقلين أو أكثر تتلازم وتفسر متغير واحد تابع ..

كـــأن تكـــون "المشاركة السياسية" هي المتغير التابع أما المتغيرات المستقلة فتكون "المعلومات السياسية" "الانتماء الحزبى" "الاهتمام بالسياسة" إلى آخره.

أمـــا بالنسبة **للمتغيـــر الضابط** فهو المتغير الذي يمكن بواسطته اختبار العلاقـــة بـــين المتغيرات المستقلة والتابعة والتأكد من أنها علاقة عرضية أم لا .. فالعلاقة مثلاً بين عدد رجال الإطفاء وحجم التدمير الذي أحدثه الحريق لا يمكن شرحها، إلا بعامل ثالث (المتغير الضابط) وهو حجم الحريق نفسه.

ومـــثال آخـــر توضـــيحى عن المتغير الضابط يتمثل في العلاقة التي نلاحظهـــا بـــين "المـــشاركة السياسية" و "الانفاق الحكومى". فهل يتأثر حجم الانفـــاق الحكومى "متغير تابع" بمدى المشاركة السياسية (متغير مستقل)؟ أم أن هـــذه العلاقـــة لا يـــتم تفـــسيرها إلا بالمتغيـــر الضابط؟ لقد اختير النمو الاقتـــصادى كتغير ضابط وتبين أن مستوى النمو الاقتصادى يؤثر على كل مـــن الانفـــاق الحكومى والمشاركة السياسية وبدون التغير في مستوى النمو الاقتصادى فإن العلاقة بين المشاركة السياسية والانفاق الحكومى تختفى، أى أن المتغيرات الضابطة تخدم في اختبار العلاقة التي نلاحظها بين المتغيرات المستقلة والتابعة.

ثانياً: مميزات الطريقة العلمية وخطواتها

1- مميزات الطريقة العلمية وخصائصها:

أ- تعتمد هذه الطريقة على الاعتقاد بأن هناك تفسيراً طبيعياً لجميع الظواهر التـــي نلاحظها.. كما أن هذه الطريقة تفترض أن العالم هو كون منظم لا توجد نتيجة فيه بدون سبب.

وإذا كـــان الإنسان البدائى، يرد كل شيء غير عادى إلى تدخل الآلهة، أو الـــسحرة أو غيـــر ذلك من الأسباب، فإن الإنسان الحديث يتطلع ويتلمس الأســـباب الطبيعـــية، مـــا دام ذلك ممكنا.. وعلى الرغم من أن هناك بعض مجـــالات المعرفة، التي لا تطبق في الوقت الحاضر- الطريقة العلمية، فإن هذه الطريقة قد لقيت نجاحاً ملحوظاً في مجالات عديدة أخرى.

ب- تـرفض الطريقة العلمية الاعتماد على مصدر الثقة، ولكنها تعتمد على الفكرة القائلة بأن النتائج لا تعتبر صحيحة إلا إذا دعمها الدليل Evidence.

إن إمكانية إضافة حقائق جديدة إلى المعرفة الإنسانية، ليس أمراً سهلاً ميـسورا، وعلى الرغم من أن الشخص العادى، يتقبل كثيرا من الأفكار على أنهـا صـحيحة، فـإن الباحث المدقق لا يعترف بصحتها أو قيمتها قبل أن يخـضعها للفحـص الدقيق والبحث عن دليل صحتها ووزن وتقييم الجوانب المؤيدة والمعارضة.

وكثيراً ما تستعصى المشكلة العلمية على الحل.. لأن الدليل غير كاف أو لأنها لا تثبت للاختبار المنطقى أو العقلى.

والـباحث الحـديث لا يتقـبل ما قاله أرسطو- أو غيره من الفلاسفة الكـبار، علـى أنـه قـضية مسلم بها.. ولكنه يقوم بالتأكد من ذلك بفحص الحقائـق، وذلـك يتطلب الملاحظة المباشرة Direct Observation ويتطلب التجربة أيضاً.

ومـن أقـدم الأمثلة على ذلك/ ما قام به جاليليو في البحث عن معدل سـرعة سقوط الأجسام.. وذلك بإسقاط كرات مختلفة الأوزان من برج بيزا المائـل فـي عـام 1589.لـم يكن جاليليو مقتنعا بمجرد الاستنتاج المنطقى Reasoning أو استشارة أهل الثقة في الموضوع، ولكنه درس الحقائق – في الواقع- بالطرق التجريبية.

لقد كان الاعتقاد السائد لدى المفكرين- من أتباع أرسطو – أن الأشياء الثقـيلة ستـسقط علـى الأرض بـسرعة أكبر من الأشياء الخفيفة .. وهذا الافتـراض يبدو منطقيا ومعقولاً لكل من يفكر في الأمر دون أن يجشم نفسه عناء اختبار هذا الفرض بالتجربة.

لقـد رفـض جاليـيو أن يوافق على ما يقوله أهل الثقة، كما رفض المـنطق كأساس لنتائجه وتعلم- ربما لدهشته هو أيضا- أن الكرات الحديدية

المختلفة الأوزان تسقط جميعاً بنفس معدل السرعة (وذلك باستثناء الاختلافات الطفيفة التي تسببها مقاومة الهواء..).

ج- لقد استبدلت الطريقة العلمية الملاحظة المباشرة بالمنطق، أى أنها اعتمدت على الملاحظة المباشرة ما دام ذلك ممكنا .. وتشير تجربة جاليليو السابقة إلى هذا الجانب من الطريقة العلمية واختلافها عن الطرق الأخرى.. فالأفكار والحقائق سواء تم الوصول إليها عن طريق المنطق أو عن طريق الاستعانة بمصدر ثقة. يجب أن تخضع للاختبار والتجربة لإظهار صحتها أو بطلانها.

ولا يعني ذلك من غير شك، أننا قد استغنينا عن المنطق أو مصادر الثقة نهائياً في البحث.. ذلك لأن ما يقوله أهل الثقة بالنسبة لموضوع معين، يمكن أن يكون مفيداً عندما تنقصنا الأدلة الأخرى.. وخصوصاً عندما لا يكون هناك دليل مخالف.. ولكن يجب أن نشير إلى أن الاعتماد على أهل الثقة ، لا يكون بذاته وسيلة البحث العلمي بل ربما يؤدى هذا الاعتماد بالباحث إلى أن يضل الطريق.

د- يجب أن تكون حيثيات النتائج التي نصل إليها في الطريقة العلمية منطقية دائماً. وبمعنى آخر فالنتائج يجب أن تكون متمشية مع الدليل ومع الحقائق المعروفة، ومع التجربة داخل مجال الدراسة.

فالمنطق يمكن أن يعتبر لغة الاستنتاج العقلى Reasoning (المتصل بالصفات) كما تعتبر الرياضيات لغة القياس (المتصل بالكم أو الحجم)، وعلى ذلك فاستخدام المنطق أساسى وضرورى للبحث العلمي كذلك.

2 – الخطوات التي يجب إتباعها في البحث:

أ- تحديد المشكلة:

لابد أن تكون هناك مشكلة محددة.. حتى يقوم الباحث بالبحث عن حل لها .. وإذا كان الباحث العلمي والمحقق الجنائى يشتركان معاً في البحث عن

الحقيقة. وإذا كنا نقارن عملية البحث بعملية التحرى الجنائى .. فإن عمل الباحث يشبه عمل المحقق الجنائى في فحص الظروف الخاصة "بموت أحد الأشخاص" مــثلاً، وذلك لاكتشاف أسباب الوفاة.. أى أن الباحث لديه شيء محدد في ذهنه ويريد أن يعلم عنه شيئاً، هذا الشيء هو الحل لمشكلة معينة محددة.

ب- تجميع البيانات:

والخطــوة التالــية بعــد تحديــد المشكلة.. هي البدء بتجميع البيانات والمعلومات وفحصها فحصا دقيقا .. على أن تكون هذه المعلومات والبيانات مــتعلقة بالحقائق الخاصة بالمشكلة .. وكثيراً ما يتغاضى الباحث عن بعض المعلــومات ذات العلاقــة بالمشكلة.. وغالباً ما يفشل البحث في هذه الحالة كذلك. فبالمقارنة بعمل التحرى الجنائى قد تغفل الشرطة بعض الظروف التي أدت إلــى ارتكاب الجريمة.. كأى تغفل مثلاً أن "كيس نقود" القتيل مفقود. أو قــد تقــوم الشرطة نفسها بقفل مفتاح تشغيل السيارة دون أن تفطن لأسباب اســتمرار اشــتغال الــسيارة حتــى بعد انقلابها.. إن هذه الحقائق وأمثالها ضرورية كدليل للتعرف على الجريمة وأسبابها.

ج- وضع الفرض:

بعــد الفحــص المبدئــى للبيانات والمعلومات، فإن هناك حلاً للمشكلة يطــرح نفــسه علــى الباحث.. هذا الحل المبدئى (أو التخمين الذكى) يمكن ببساطة أن يكون حلا خاطئاً.. فقد تفترض الشرطة مثلاً في أول الأمر أن حــادث الوفاة قضاء وقدر.. وأنه لا أسباب جنائية وراء الحادث.. ولكن بعد فحص الأدلة المتوفرة.. فقد تدخل فكرة الجريمة والقتل في الموضوع.. ومع ذلك فقد تبدأ الشرطة في البحث عن الجانى في الطريق الخاطئ .. ذلك لأن الشرطة مثلاً تعتقد أن السرقة هي الدافع وراء الجريمة.

ومن الطبيعي والمفيد في ذات الوقت أن يضع الباحث تخمينات معقولة للحــل الممكن للمشكلة حتى في بداية البحث.. إن هذا التخمين Guess هو ما نــسميه بالفرض Hypothesis وهذا الفرض قد تثبت صحته، حيث يتفق مع

جميع الحقائق المتوفرة .. وقد يكون خاطئاً ومن ثم ينبغى إهماله والبحث عن فرض جديد.

د- اختبار الفرض: Testing the Hypothesis

إن صـــياغة تخمين معقول- أو فرض- بالنسبة لحل المشكلة، يساعد فـــي تحديد الاتجاهات التي يمكن البحث فيها عن الدليل.. وعلى ذلك، فحتى إذا ثـــبت أن الفـــرض خاطئ فإنه يساعدنا في الدراسة..وبعد أن نستقر على فرض معين بناء على البيانات والمعلومات الأولية المتوفرة، فإننا نبدأ العمل على تجميع الدليل من جميع المصادر الممكنة.. وذلك لاختبار الفرض. وعن طـــريق اكتشاف الحقائق الجديدة.. وتطبيق المبادئ المتفق عليها في المعرفة والمـــنطق .. سيتقرر صحة الفرض واتفاقه مع الحقائق المتوفرة من عدمه. إن هـــذا الـــبحث الدقيق عن المعلومات والبيانات.. موجها بالفرض المبدئى Tentative Hypothesis يكـــون الجهد الأساسى لأى بحث علمى.. تماماً كما هو الحال في التحرى الجنائى.

هـ- النتيجة:

وبعد اختبار الفرض بتجميع أكبر قدر ممكن من المعلومات، ووضعها فـــي الإطـــار المنطقى الصحيح.. فإن الباحث إما أن يرفض ويهمل الفرض الـــذي وضـــعه وذلـــك بعد أن ثبت عدم صحته، وإما أن يكون هذا الفرض صحيحاً.. وبالتالي فإنه يشكل بالنسبة للباحث النتيجة الأساسية في دراسته.

وبمعنى آخر- فإن الدراسة ينبغى أن تستمر حتى يقتنع الباحث بصحة وصدق الفرض الذي وضعه.. وحتى يستطيع بالتالى أن يقنع الآخرين بوزن وصحة الدليل الذي توصل إليه.

أى أنـــه إذا مـــا أيدت الملاحظات العلمية والتجارب صحة فرض من الفـــروض دون أن يـــتعارض مع هذا الفرض أو ينقضه أى دليل آخر، فإننا نكون قد أضفنا إلى حصيلة المعرفة حقيقة جديدة.. وليست قيمة هذه الإضافة فقـــط لأنها تفسر الحالات الفردية التي بدأ بها الفرض، وإنما القيمة الحقيقية

تكمـــن فـــي أنها تفسر كل الحالات المشابهة والتي لم تدخل في مجال البحث الذي تم القيام به .. هذه العملية هي ما يسمى بالتعميم Generalization .

وأخيراً فكما يعد المحامى قضيته لتقديمها للمحكمة، يجب على الباحث أن يعد النتائج التي توصل إليها بطريقة يتقبلها ويفهمها المختصون في مجاله العلمى.

ثالثاً: مفاهيم أخرى:

أ- بين النظرية والقانون

المعنـــى العلمي للنظرية يشير إلى اثنين أو أكثر من الفروض المتعلقة ببعـــضها تـــم تدعيمها بالأدلة.. ويختلف هذا التعريف عن المعنى المتعارف علـــيه للمـــصطلح كما أن النظرية ليست قانوناً...النظرية تشرح أو يمكن أن تتنبأ بشيء في "عدد" من الحالات، ولكن القانون يشرح شيئاً في كل حالة أى أن القانـــون هو التعميم على مختلف الحالات، وهناك العديد من القوانين التي تـــم اكتـــشافها لشرح ظواهر في العلوم الطبيعية، ولكن ذلك ليس شائعاً في العلـــوم الاجتماعية ومن أمثلة قوانين العلوم الاجتماعية قانون تناقص العائد Law of Diminishing Return حـــيث يدلـــنا هذا القانون الاجتماعى على أن زيادة تطبيق عامل الإنتاجية (الأرض/ العمل/ رأس المال) سيؤدى إلى زيادة العائـــد ولكن ذلك يحدث إلى نقطة معينة.. وبعد ذلك يمكن أن يحدث العكس إلا إذا زادت عوامل أخرى لوضع الأمور في نصابها من جديد.

وهـــناك فرق بين النظريات القوية والنظريات الضعيفة، فالأولى يمكن اســـتخدمها فـــي التنـــبؤ والثانـــية يمكن استخدامها في الشرح: كما أن أقوى النظريات يمكن التعبير عنها كميا وليس نوعياً.

كمـــا يعمل جميع العلماء داخل الأطر Paradigms والأطر هي طرق للتفكيـــر عـــن المـــادة الموضـــوعيةوالتى يشتركون فيها مع الآخرين وهذه تـــشمل الافتراضـــات أو المـــسلمات Assumptions والمفاهـــيم المـــشتركة Conceptualisations والقـــيم والاتجاهات والمعتقدات.. وتظهر مزايا الأطر

فـــي مـــنع العلماء من تضييع جهدهم ووقتهم على مشكلات ليسوا معدين أو مؤهلين لحلها.. أى أن الأطر في هذه الحالة تفتح الطريق أمام التخصص.

ب- صحة البحث والموثوقية Validity and Reliability

يعتبـــر الـــبحث صـــحيحاً Valid عندما تكون النتائج حقيقية وصادقة ويعتبـــر البحث عملاً موثوقاً فيه عندما يكون بالإمكان تكرار الوصول لنفس النـــتائج، كمـــا أن الصحة والثقة مطلوبان للبحث في التصميم وفى القياس، والقـــياس يـــتم عندما يضع الباحث الأرقام أو غيرها من الرموز للصفات أو المتغيرات الامبيريقية..

هـــذا وهـــناك جـــوانب عديدة للصحة فهناك صحة الاستمرار والاتفاق Concurrent وصـــحة التنـــبؤ Predictive، ونعنـــي بصحة الاتفاق أو صحة الاستمرار مدى اتفاق القياسات مع قياسات أخرى ثبت صحتها، فضلاً عن أن هـــذه الـــصحة تعكس القدرة على التمييز بين فئات الناس المعروفة باختلافها، وعلـــى سبيل المثال، فالباحث الذي يدرس قراءة الصحيفة بين كل من الطلاب وأعـــضاء هيئة التدريس يعرف مقدماً أن هناك اختلافا سبق إثبات صحته بين الجماعتـــين بالنسبة للاستخدام، وإذا حدث أنه أظهرت نتائج دراسته تشابها بين الجماعتين فمعنى ذلك أنه كان يقيس شيئاً آخر غير الاستخدام.

أمـــا الـــصحة التنـــبؤية فـــتدل على مدى استطاعة أداة القياس تمييز الاخـــتلافات التـــي يمكن أن تظهر في المستقبل، فالباحث المتمرس يمكن أن يتنبأ بأن النسبة العالية من الذين استجابوا للاستبيان مثلا هم من المسجلين في الدراسات العليا.

هـــذا والقـــياس يعتبـــر موثوقا فيه إذا كان الخطأ في الدراسة صغير بطـــريقة معقولة، خصوصاً وأن هذا الخطأ لا يتذبذب كثيراً من ملاحظة إلى أخرى، أى أن الموثوقية يمكن تعريفها بأنها الدرجة التي يتم فيها القياس بدقة وانتظام، أى أن تكون خالية من أخطاء القياس.

حـ- عن الاستنباط والاستقراء واكتشاف المعرفة:

مــن أيــن نــبدأ؟ نحن نبدأ بفهم طبيعة اكتشاف المعرفة كما أن الهدف الرئيــسى للبحث الأساسى Basic Research هو اكتشاف المعرفة الجديدة.. وإذا رجعــنا لتاريخ البحث العلمي تبين لنا أن الباحثين على مر التاريخ قد لجأوا إلى المــنطق الاســتنباطى أو اســتخدام التعلــيل الاستقرائى Deductive logic or inductive reasoning والاســتنباط هو المنطقية المنهجية التي وضعها ارسطو حــيث يــبدأ الــباحث بمقدمة متفق عليها (الناس جميعاً يموتون/ محمد من بين الــناس/ محمــد مات) وصدق النتائج هنا ينبع من صدق المقدمات الموضوعة وهــي هــنا (الناس جميعاً يموتون)، وبالمقابل فإن التعليل الاستقرائى يبدأ من بعض الحقائق الجزئية أى أن الباحث هنا يبدأ من أن محمدا قد مات، ثم يلاحظ أن هناك رجالا كثيرين يموتون، ومن هنا يمكن أن يقرر الباحث أن كل الرجال الذين قام بملاحظتهم يموتون ويصل إلى النتيجة بأن، "كل الناس يموتون"

وأهــم العــيوب الواضــحة فــي هــذه الطريقة الأخيرة هو استحالة ملاحظــة جمــيع الأحــوال التــي تــدعم هــذا التعمــيم الاستقرائى ومن هــنا كــان التركيز على أخذ عينة ممثلة لمجتمع البحث كما أن البعض يرى عــيب الاســتنباط الرئيــسى هــو في عدم البداية، بحقيقة أو مسلمة حقيقيه مــتفق علــيها كما أن الاستنباط لا يؤدى إلى حقائق جديدة ولكنه يصل إلى النتــيجة انطلاقــاً مــن المقدمــة الموضــوعية وفــى حــدودها، ومع ذلك فيجب أن نؤكد أن الطريقة العلمية أو المنهج العلمي لا يقتصر على الاستقراء وحــده(يــسمية البعض Inductive Science) ولكنه يتكامل مع الاستنباط وفى حقــيقة الأمــر فقــد يبدأ الباحث بنظرة شمولية عن الظواهر ويضع بعض التــساؤلات أو الفروض (الحلول المبدئية) ثم يختبر الفروض أو التساؤلات بالأدلــة الاســتقرائية (الجــزئية) وعند ثبوت صحة الفرض يكون هو نفسه النتــيجة أو الحــل النهائي ومن هنا يضع العديد من العلماء المراحل التالية للطريقة أو المنهج العلمى:

أ- تحديــد المــشكلة. ب- تجمــيع البــيانات اللازمة لحل المشكلة. ج- وضـــع فروض مبدئية. د- اختبار الفرض عن طريق تحليل البيانات أو الأدلة. هـــ- الوصول للنتيجة والتعميم.

ويجب في هذه المرحلة التأكيد على أن الفرض Hypotheses يرتكز عــادة علـــى مسلمات واضحة Clear Assumptions يحددها الباحث (مثال: الجامعة تقوم أساسا بالتعليم = حقيقة مسلم بها، التعليم بواسطة الحاسب الآلي، يمكـــن أن يـــزيد من قدرة أداء الطلاب= فرض يحتاج إلى دليل..)وهنا يتم البحث لاثبات ذلك أو نفيه .

كما يجب أن ندرك أن العملية البحثية عملية دائرية Circular In Nature فتحلـــيل الـــباحث وتفـــسيره للنتائج التي وصل إليها يمكن أن يؤدى إلى اسئلة جديـــدة أو فشل في الإجابة على السؤال الأصلى وبالتالي البدء في البحث من جديـــد، والبحث الجيد يفرز مشكلات عديدة إلى جانب حله لبعضها وهذه هي طبيعة اكتشاف المعرفة.

د- اخلاقيات البحث العلمي:

تعتبـــر الاخلاقـــيات ذات أهمية بالغة في مختلف البحوث الاجتماعية والـــسلوكية خـــصوصاً تلك البحوث التي تتضمن الإنسان، ولسوء الحظ فقط أصـــبحت الممارسات اللاخلاقية أكثر شيوعاً أو على الأقل أكثر صعوبة في اكتشافها في السنوات الأخيرة نظراً لحجم وتكاليف وتعقد العديد من الدراسات المعاصـــرة.. فـــضلاً عـــن صـــعوبة تحديـــد المقصود بمفاهيم الممارسات الأخلاقـــية، وكمـــا يقول الباحث شارلز جود وزملاؤه (Judd,C.,1991) فإن قـــضية الاخلاقـــية في البحث قد تتركز في النهاية بين الموازنة بين تكاليف الممارسات المشكوك فيها أمام الفوائد المحتملة للبحث.

هـــذا وتـــشترط الحكومة الأمريكية في البحوث التي ترعاها أو تمولها بـــضرورة مـــراعاة الجامعـــات بالأبعـــاد الأخلاقـــية التي وضعتها مجالس أى أر بـــى (IRB) Institutional Review Boards والتي تحتوى عادة على

معاييـــر التوافق مع هذه الأبعاد، كما أصدرت الجمعية الاجتماعية الأمريكية الكــود الأخلاقى (Miller, D., 2002) والذي يغطى قضايا عديدة منها الكفاءة المهنـــية والأمانـــة واحتـــرام حقوق الغير والمسئولية الاجتماعية والمعايير الأخلاقية والإفصاح عن مصادر التمويل المالى وغيرها.

الفصل الثانى

كيفية اختيار مشكلة البحث وكيفية التعبير عنها بالتساؤلات أو الفروض

أولاً: كيف تختار مشكلة البحث؟

يـؤكد المـشتغلون بالبحث العلمي أن اختيار مشكلة البحث وتحديدها، ربمـا يكـون أصعب من إيجاد الحلول لها.. كما أن هذا التحديد والاختيار، سيترتب عليه أمور كثيرة منها: نوعية الدراسة التي يستطيع الباحث أن يقوم بهـا، طبـيعة المنهج الذي يتبع، خطة البحث وأدواته.. بالإضافة إلى نوعية البيانات التي ينبغى على الباحث أن يحصل عليها.

إن مـشكلة البحث الملائمة يجب أن تكون ذات دلالة وأصالة فضلاً عن إمكانية القيام بدراستها (Feasibility) كما يجب أن يقيم الباحث المشكلة المقترحة على ضوء قدراته وتوفر المعلومات والمتطلبات المادية للمشروع والوقت المتاح والصعوبات الاجتماعية الأخرى التي يمكن أن تواجهه (أحمد بدر،1998).

أمـا بالنـسبة لخطة البحث فينبغى أن تتضمن ما يلى: بياناً أو عرضاً واضحاً ومختصراً للمشكلة، الفرض أو الفروض التي يضعها الباحث بالنسبة للمشكلة وحلها، اعترافاً بأهمية المشكلة ودلالة دراستها، تعريف المصطلحات الأساسـية فـي الدراسـة، الصعوبات التي يواجهها الباحث، ملخصاً للإنتاج الفكـرى المـتعلق بالموضوع، تحليل إجراءات البحث المقترحة.. مع تقدير البـرنامج الزمنـى.. كما قد يطلب بعض المشرفين على البحث تقارير تقدم الـبحث Progress Report (مـن وقت إلى آخر) وذلك لتقييم مدى التقدم في الدراسة والبحث.

وسنحاول فيما يلي التعرف على بعض جوانب مشكلة اختيار موضوع البحث ومجاله.

(أ) التعرف على المجال الموضوعي للباحث:

يعتبـر الإطلاع على المقالات العلمية المنشورة وعلى تقارير البحوث وعلـى الرسـالات العلمـية المجازة من شأنه أن يثير الأفكار والاقتراحات الخاصـة بالموضـوعات التـي تتطلب مزيداً من البحوث والدراسة، كما قد توحـى البيليوجرافيات (السنوية/الشهرية..) التي تصدر في معظم المجالات والموضـوعات العلمية، توحى للطالب بالموضوعات التي يمكن أن يختارها لدراسته وبحثه.

ومن العسير من غير شك أن يقرأ الطالب مختلف المقالات التي تظهر فـي هذه البيليوجرافيات.. ولكن الطالب يستطيع على الأقل أن يكون صورة دقـيقة إلـى حـد كبيـر عمـا يقوم به زملاؤه من دراسات في نفس مجاله وتخصصه.. وهذا بدوره يمكن أن يعطيه ويوحي إليه بالأفكار والموضوعات التي يختارها لدراسته.

(ب) حب الاستطلاع الطبيعي كمرشد للباحث إلى المشكلة:

يجـب أن يـستحوذ موضوع البحث الذي يختاره الطالب على اهتمامه الشخـصي ورغبته الأكيدة في الوصول إلى حل للمشكلة التي اختارها. وغالباً مـا يقوم الطالب ببحث أفضل، عندما يكون هو الذي اختار موضوع بحثه بدلاً مـن أن يكون هذا الموضوع مفروضاً عليه.. إن البحث في هذه الحالة سيكون متعة للطالب فضلاً عن كونه واجباً وسبيلاً إلى تقدمه في عمله.

فالخبـرة والمعلـومات المتزايدة تدله على مشاكل أكثر عمقاً من تلك المشاكل التي كان على دراية بها عندما كانت معلوماته محدودة في مجاله.

كمـــا يمكن أن نقول بأن الباحث المبتدئ يمكن أن يرتكب خطأ اختيار مـــشكلة سبقه إليها باحث أو باحثون آخرون وانتهوا إلى نتائج تحيط بمختلف أبعـــاد تلـــك المـــشكلة.. كما قد يرتكب الباحث المبتدئ خطأ آخر يتمثل في اختـــيار موضوع عام لـــه نطاق واسع عريض (Far Too Broad In Scope) فقـــد تـــستهوى الموضوعات المثيرة البراقة الباحث المبتدئ. وللأسف فغالباً مـــا يثبت أن كثيراً من هذه الموضوعات البراقة المثيرة العريضة المحتوى.. أكبر بكثير من مقدرته على معالجتها ودراستها.

ومن الملائم إذن اختيار موضوع أقل اتساعاً وأكثر تحديداً مع دراسته بعمـــق كاف– ذلك لأن الجهد اللازم لحل المشاكل التي تبدو لا أهمية لها من الوهلة الأولى هو جهد ثبت أنه كبير ومضن.

ويجب ألا يتوقع الباحث أن شخصاً آخر سيختار لـــه موضوع البحث، صـــحيح أن هناك أحياناً مقترحات ممتازة تأتى عن طريق الأستاذ أو الزميل الـــباحث.. ومن شأن هذه المقترحات أن تفتح عين الطالب على موضوعات جديـــدة لم يسبق أن فكر فيها.. ولكن كل طالب باحث يجب أن يختار لنفسه فـــي التحلـــيل النهائي، المشكلة التي يرغب في دراستها وبحثها، وإذا لم يقم الطالب باختيار المشكلة اختياراً حكيماً، فليس من المأمول فيه أن يرضى عن عمله رضا حقيقاً في المستقبل.

(ج) طرق أخرى في اختيار المشاكل:

يحدث أحياناً أن يقرأ الباحث مقالاً يختلف فيه مع مؤلفه اختلافاً عميقاً، وهـــذا الاخـــتلاف من شأنه أن يؤدى إلى قيام الباحث بدراسة المشكلة التي جاءت في هذا المقال نفسه.. وإلى نشر وجهة نظره بالنسبة لهذه المشكلة. لقد بـــدأ باحـــثون كثيرون بدايات طيبة في البحث عن هذا الطريق، أى محاولة إثـــبات وجهـــة نظـــر مخالفـــة عما هو منشور لباحثين آخرين.. بل وكثيراً ما تظهر اكتشافات جديدة هامة نتيجة لهذه الاختلافات.

(د) ما هي الأسئلة التي ينبغى على الباحث ان يجيب عليها بالنسبة لمشكلة البحث ..؟ (احمد بدر ، 1996).

يجب أن يسأل الباحث نفسه عدة أسئلة تتعلق بمشكلة البحث، ذلك لأن إجابته علـــى هذه الأسئلة، سيساعده على تقرير أهمية المشكلة، وبالتالي ما سيقوم ببذله من جهد.. وهذه الأسئلة هى:

1. هل تستحوذ المشكلة على اهتمام الباحث ورغبته؟
2. هل هي مشكلة جديدة؟
3. هل ستضيف الدراسة المبذولة إلى المعرفة شيئاً؟
4. هل يستطيع الباحث القيام بالدراسة المقترحة؟
5. هل المشكلة نفسها صالحة للبحث والدراسة؟
6. هل سبق لباحث آخر أن سجل للقيام بهذا البحث؟

ويمكن ان نناقش هذه الاعتبارات فيما يلى...

1- هل تستحوذ المشكلة على اهتمام الباحث ورغبته؟

لقـــد سبق لنا مناقشة هذا الجانب، وما نريد أن نؤكده هو أن البحث في مـــشكلة لا تحوز على اهتمام الطالب ورغبته.. يمكن أن يؤدى بالطالب إلى أكثر ألوان الضجر والضيق.. وعندما تكون الرغبة الحقيقية هي الدافع وراء الدراســـة والبحث، فإن ذلك سيؤدى غالباً إلى صياغة مشكلة جديرة باهتمام الآخرين وبالجهد الذي يبذل فيها.

2- هل هي مشكلة جديدة؟

عـــند تقييم الموضوع أو مشكلة البحث لابد من أن يسأل الباحث نفسه عدة أسئلة ومن بينها ...

- هل هناك فجوات في المعلومات الخاصة بموضوع البحث وتحتاج إلى استكمال؟

- هل النتائج التي يحتمل الحصول عليها ذات طبيعة نظرية أم لها قيمة عملية مباشرة؟ وماهى الهيئات التي يمكن أن تفيد من البحث؟

وإذا كانـــت جـــدة الموضوع تحظى بهذه الأهمية، فمن اللازم أن يقوم الطالب بمراجعة الإنتاج الفكرى في مجاله الموضوعى. وذلك حتى لا يكرر بحـــوثاً سبقه إليها باحثون آخرون. وهذا يستلزم بالضرورة معرفته بالمراجع ومـــصادر المعـــرفة والـــدوريات الكـــشفية ودوريـــات الاستخلاص وكيفية استخدامها: (Abstracting and Indexing Journals)

ويمكـــن أن تـــشير إلى أن الموضوع الذي يتضمن تطبيق المعلومات المتوفرة بطريقة جديدة، يمثل بحثاً حقيقاً ومنطقياً، كما قد يكون هدف البحث التحقق من دقة بحث سابق وإثبات صحته أو بطلانه.

3- هل ستضيف الدراسة المبذولة إلى المعرفة شيئاً؟

لا تـــستوى أهمـــية جميع مشكلات البحث، والمشكلة العادية أوالتافهة يمكن أن تؤدى فقط إلى إسهام متواضع وقليل في مجال الباحث، ولهذا السبب فـــيجب التمحـــيص في موضوع البحث للتعرف على مقدار أهميته وبالتالي درجة إسهامه في المعرفة الإنسانية.

4- هل يستطيع الباحث القيام بالدراسة المقترحة؟

يجب أن يأخذ الباحث في اعتباره استعداده التعليمى المسبق والمصادر الماديـــة والـــوقت المتاح. أى أن تكون لـــه القدرات والمهارات والمعلومات المتخصـــصة اللازمـــة لـــبحث المشكلة وأن يكون لهذا البحث الذي اختاره مشرف أو لجنة لإرشاده فضلاً عن ضرورة توفر المراجع أو أكبر قدر منها سواء بالمكتبة أو عن طريق الإنترنت.

وكثيـــراً مـــا يقوم الباحث بمشروعات بحوث ثم يتبين لـــه عند تحليله للبـــيانات عدم تمكنه من المهارات الضرورية الاحصائية اللازمة لاستكمال دراسته على الوجه الأكمل.

وعلـــى ذلـــك فمن الواجب أن يقوم الباحث قبل بدء المشروع بدراسة مبدئـــية (Tentative Study) لـــتحديد أشـــكال البيانات والمعلومات المطلوبة وطرق معالجتها. وإذا لم تتوفر لديه المهارات اللازمة أو لم يستطع اكتسابها خـــلال الزمن المتاح لـــه، كان عليه أن يترك موضوع البحث إلى موضوع آخر يستطيع أن يقوم به.

5- هل المشكلة نفسها صالحة للبحث والدراسة؟ Is it Feasible

إذا كان هناك العديد من المشاكل الصالحة للبحث والدراسة، فإن هناك -لـــسوء الحظ وبناء على الوضع الحالى للمعرفة- مشاكل عديدة لا حل لها بالنسبة للعلوم الاجتماعية، أو عدم إمكانية إيجاد بدائل وأولويات بالنسبة لها.

أى أنـــه عـــندما لا توجد طريقة مقبولة لحل المشكلة أو لإيجاد البدائل والأولويات في العلوم الاجتماعية وعندما لا يستطيع الباحث أن يجد الأداة أو الوســيلة التـــي تمكـــنه مـــن البحث فإن المشكلة نفسها يجب أن تنحى جانباً والـــبحث عـــن مـــشكلة أخـــرى. كمـــا أنه عند عدم توفر المراجع والكتب والمـــصادر الاساســـية فـــإن هذه المشكلة يجب أن تنحى أيضاً والبحث عن المشكلة التي تتوفر لها المصادر والمراجع بأعداد مناسبة.

6- هل سبق لباحث آخر أن سجل للقيام بهذا البحث؟

إن أخلاقـــيات البحث تتطب من الباحث ألا يتعدى على زملائه في هذا الـــصدد بمعنـــى أنه إذا كان أحد زملائه قد سجل مشكلة معينة للبحث فيها، فيجب أن يكون لهذا الباحث الآخر أولوية القيام ببحث هذه المشكلة إلا إذا تم ذلك بمعرفته الكاملة وبإذن منه أحياناً.

ويمكن اتباع القواعد التالية عند تحديد المشكلة بشكل نهائي...

1. كن واثقا من أن الموضوع الذي اخترته ليس غامضاً أو عاماً بدرجة كبيرة.

2. يمكن أن تجعل مشكلة البحث أكثر وضوحاً، إذا قمت بصياغتها على هيئة سؤال يحتاج إلى إجابة محددة.
3. وضع حدود المشكلة، مع حذف جميع الجوانب والعوامل التي سوف لا يتضمنها البحث أو الدراسة.
4. عــرف المصطلحات الخاصة التي يجب استخدامها في دراستك– وذلك فـــي حالـــة احـــتمال وجود لبس أو سوء فهم أو تفسير متباين لبعض المصطلحات.

هـــذا ويمكن بلورة مشكلة الدراسة في عدد من التساؤلات أو الفروض والتـــي ســـتكون النـــتائج إجابـــة على هذه التساؤلات، أو نتيجة لاختبارات الفـــروض بالدلـــيل (الدليل التاريخي مثلاً عند اتباع المنهج التاريخي والدليل التجريبى مثلاً عند إتباع المنهج التجريبي وهكذا.

والأســـئلة التي يمكن طرحها عن العالم المحيط بنا أسئلة لا حدود لها ولكـــن أيـــن نـــبدأ وكيف نقرر مدى أهمية السؤال؟ القواعد التالية يمكن أن تساعدنا على ذلك:

أ- التركيز على أكثر الحقائق عمومية:

الحقائـــق التـــي ستزودنا بإجابة على أكبر عدد من الأسئلة هي بصفة مبدئـــية الأكثـــر فائدة، أى الأسئلة ذات النطاق الأوسع أى الأكثر فائدة للعلم وللمجتمع.

ب- البداية بالحقائق الأوسع نطاقاً:

مـــثل هذه الحقائق ستخدم كمرشد لجذب اهتمامات الباحثين ثم التعرف علـــى هـــذه الحقائق للتعرف عن طريقها لما يمكن تسميته بالمتغير الإطارى Frame Process Variable أى أنـــنا ننظـــر إلى الحقائق ذات النطاق الأوسع الإطارية ثم الحقائق الجزئية ذات الدلالة.

ج- البداية مع الاستقراء Induction

عــندما تكون الظاهرة أو التساؤل في المهد فليس هناك نظريات علمية نستطيع أن نستمد منها الفروض وبالتالي فالبحث يبدأ باستقراء الحقائق.

د- وضع الفروض والنظريات:

عــند اكــتمال الإطــار الخارجي والخصائص المركزية، عندئذ يمكن وضـــع التخمينات المحسوبة Calculated guesses عن التفاصيل التي تربط بــين الإثنين .. والتخمينات المحسوبة هي الفروض Hypotheses واختبارها بالبيانات يؤدى إلى الوصول إلى حل أو نظرية.

ثانيا: طبيعة الفروض والعناصر المتصلة

بوضع الفروض والنظريات السليمة

أ- تعريف الفرض:

يعــرف الفــرض بأنه تخمين أو استنتاج ذكى يصوغه ويتبناه الباحث مؤقتا لشرح بعض ما يلاحظه من الحقائق والظواهر .. وليكون هذا الفرض كمرشد لــــه في البحث والدراسة التي يقوم بها..

ويمكن أن يشبه الفرض الذي يضعه الباحث في دراسته، بالرأى الذي يعتنقه الشخص العادى في حياته اليومية.. فعلى الرغم من أن الحقائق تعتبر مقدمـــة لكــل منهما إلا أن الفرض وحده –كقاعدة– هو الذي يتم اختباره من خطوات البحث التالية بالبيانات والمعلومات ومزيد من الحقائق..

ومن العسير أن نرسم خطاً فاصلاً حاداً بين كل من الفرض والنظرية .. والفــرق الاساسى بينهما هو في الدرجة لا في النوع .. فالنظرية في مراحلها الأولـــى تسمى "الفرض" وعند اختبار الفرض بمزيد من الحقائق بحيث يتلاءم الفرض معها، فإن هذا الفرض يصبح نظرية.. أما القانون فهو يمثل النظام أو العلاقـــة الثابـــتة التـــي لا تتغير بين ظاهرتين أو أكثر.. وهذه العلاقة الثابتة

الـضرورية بـين الظواهر تكون كذلك تحت ظروف معينة.. ومعنى ذلك أن القوانـين ليست مطلقة.. وأنها محددة بالظروف المكانية أو الزمانية أو غير ذلـك. كما أن هذه القوانين تقريبية بمعنى أنها تدل على مقدار معرفة الباحثين بالظواهـر التـي يقومون بدراستها في وقت معين.. وبالتالي فمن الممكن أن تستبدل القوانين القديمة بقوانين أخرى جديدة أكثر منها دقة وإحكاماً.

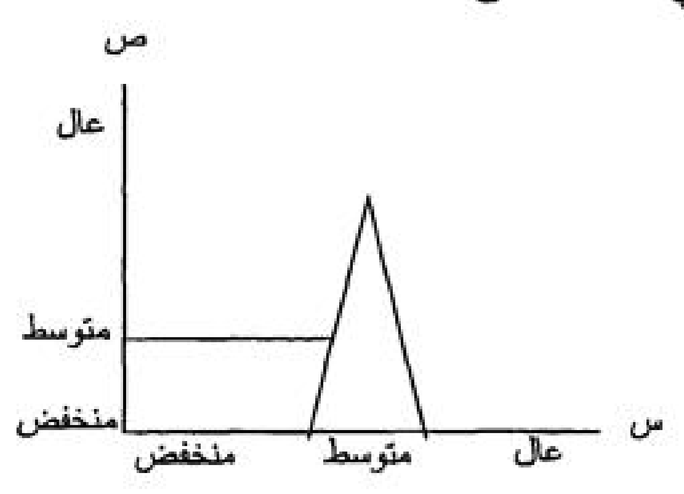
وعلى ذلك فإذاً أردنا أن نتعرف على أصل كلمة الفرض (Hypothesis) في اللغة الانجليزية فسنجدها تتكون من مقطعين: هيبو (Hypo) ومعناها "شيء أقـل مـن" أو أقل ثقة من الأطروحة (Thesis) أى أن الفرض (Hypothesis) يعتبر تخميناً معقولاً مبنياً على الدليل الذي يمكن الحصول عليه عند وضع هذا الفـرض.. وغالباً ما يضع الباحث عدة فروض أثناء دراسته، حتى يستقر آخر الأمـر، علـى واحـد مـن الفروض التي يراها مناسبة لشرح جميع البيانات والمعلومات.. وهذا الفرض النهائي يصبح فيما بعد النتيجة الرئيسية التي تنتهى إليها الدراسة.

وقـد قام الباحث هيلوى (Hillway,T.,19 64) بالتمييز بين المصطلحات التالية: الفرض- النظرية- القانون- التعميم- النتيجة.. هذه المصطلحات تعنى جمـيعها نفس الشيء تقريباً.. ذلك لأنها تتصل بحل المشكلة بناء على الدراسة والبحث، وإن كان هناك فرق بين هذه المصطلحات يتمثل في أن الفرض يعتبر التخمين المؤقت المعقول، أما النظرية فهى الفرض النهائي، والذي يمكن الدفاع عـنه بالأدلة المتجمعة.. وإن كان التمييز بين الفرض والنظرية- على اعتبار الأخيرة ذات أدلة أكثر أو ثقة أكبر – هو أمر نسبى من غير شك، وذلك نظراً لأن المعلـومات التـي يمكـن الوصـول إليها تكون خاضعة – طبقاً للطريقة العلمـية- للمـراجعة بـناء علـى البيانات الجديدة أو الحديثة.. ومعنى ذلك باختـصار أن النتـيجة التـي يصل إليها الباحث –بالطريقة العلمية- لا تعنى بالضرورة، أنها الحقيقة الثابتة النهائية، التي لا تقبل الجدل والمراجعة.

ب- شروط الفروض والنظريات السليمة

- **الوضـــوح والايجــاز ويتم ذلك بوضع التعاريف الاجرائية Operational** المناسبة لجميع المفاهيم الداخلة في فرض البحث.. ويستعين الباحث عادة بالانتاج الفكرى أو رأى الخبراء للوصول إلى التعاريف أو التعريف الذي يرتضيه في بحثه.
- **الـــشمول والربط:** أى اعتماد الفروض أو النظريات على جميع الحقائق الجـــزئية المتوفرة، وأن يكون هناك ارتباط بين الفرض وبين النظريات التي سبق الوصول إليها ، وأن تفسر الفروض أكبر عدد من الظواهر.
- **أن تكون الفروض قابلة للاختبار:** فالفروض الفلسفية والقضايا الأخلاقية والأحكام القيمية يصعب بل يستحيل اختبارها في بعض الأحيان.
- **الفـــروض العلمـــية لا تتلون بالقيم Values:** أى أن القيم التي يؤمن بها الـــباحث ليس لها مكان في الطريقة العلمية.. وعلى كل حال ففى العلوم الاجتماعية حيث يكون الباحث متأثراً بالمجتمع المحيط به، يجب عليه أن يكون واعيا بالنسبة للقيم التي يدين بها وأن يجعل ذلك واضحاً على قدر الإمكان في دراسته.
- **أن تكـــون الفـــروض خالية من التناقض:** أى ألا تتناقض بعض أجزاء الفرض مع أجزاء أخرى منه.
- **أن يعـــتمد الـــباحث علـــى مبدأ الفروض المتعددة:** فيضع عدة فروض محتملة بدلاً من فرض واحد.
- **يجـــب أن تكـــون الفـــروض محـــددة Specific:** أى أن يوضح الباحث العلاقـــات المـــتوقعة بـــين المتغيـــرات وكذلك الظروف المحيطة بهذه العلاقـــات، وعلى سبيل المثال فإن الفرض الذي يشير إلى أن "س" لـــه علاقـــة بـــــ "ص" يعتبر فرضا عاما بدرجة كبيرة ولا يؤدى عادة إلى تنبوءات محددة . فالعلاقة بين "س" "ص" يمكن أن تكون سلبية أوإيجابية

... كمـــا أن العلاقات بين المتغيرات يمكن أن تكون أكثر تعقداً كما هو الحال في الشكل التالي:



فالتغيـــرات في القيم المنخفضة "س" لا تؤدى إلى أى تغييرات في قيم "ص"، والتغيـــرات في القيم المتوسطة "س" تؤدى إلى زيادة في تغيرات قيم "ص" والتغيـــرات في القيم العالية لـــ "س" تؤدى إلى تغيرات هابطة في قيم ص (علاقة سلبية) وأخيراً فعلى الباحث أن يكون واعياً إلى أن العلاقات بين المتغيـــرات فـــي العلـــوم الاجتماعية علاقات ليست مستقلة عن الزمن وعن المكان بل وعن وحدة التحليل ذاتها.

- **توفيـــر الطرق المناسبة لاختبار الفروض:** ذلك لأن الباحث قد يصل إلى الفـــروض الواضحة والمحددة والبعيدة عن القيم .. ثم يجد أنه ليس هناك من وسيلة لاختبار هذه الفروض.وعلى سبيل المثال كيف يمكن أن تختبر الفـــرض الـــذي يشير إلى أن الميكروب "س" لـــه علاقة إيجابية بالنسبة للمرض "ص" دون يتوفر لدينا الميكروسكوب؟
- **هل الفرض أمر ضرورى دائماً؟**

إذا كان الغرض من الدراسة هو مجرد الحصول على الحقائق وحدها (Fact- Finding) فقد لا يكون هناك إلا فائدة قليلة للفرض... أى أن الباحث الـــذي يـــريد معرفة تاريخ بلد معين أو حياة أحد الزعماء أو الوضع الحالى لمرتبات المعلمين مثلاً، فإن عمله سيتضمن بصفة كلية تحديد الحقائق.

ويصدق نفس الشيء على من يحاول تجميع ببليوجرافيا شاملة أو غير ذلك من القوائم والفهارس ... أى أن الحصول على الحقائق وحدها لا يتطلب وجود فرض معين.

ولكـــن معظـــم البحوث والدراسات تتضمن، فضلاً عن الحصول على الحقائـــق، تفسير هذه الحقائق.. أى أن البحث الذي يجمع حقائق عن صناعة معيـــنة أو حـــزب سياسى معين، لا يكتفى بمجرد التجميع بل هو يستخلص النـــتائج مـــن هـــذه الحقائق. أى أنه "يعمم" بشأن ما يمكن أن تعلمنا إياه هذه الحقائق.

وعـــادة لا تقـــبل الجامعـــات الأطروحات لدرجة الدكتوراه مثلا، إذا تـــضمنت فقط تجميع الحقائق دون وجود الفرض أو التعميم، بناء على تفسير الباحث ونتائجه. وإن كان من الممكن قبول الرسالات الأدنى من ذلك، والتي تتضمن تجميع الحقائق والحصو عليها فقط.

ملخص

أولا: عن الفرض والنظرية :

يمكن أن نعتبر الفرض:

أ- النظـــرية أو التعمـــيم أو النتـــيجة(الفرض النهائي) الذي ينتج عن دراسة المشكلة من المشاكل.

ب- التخمـــين المؤقت الذي يضعه الباحث في بداية بحثه لإرشاده في البحث والحـــصول بعد ذلك على المعلومات والبيانات المتعلقة بموضوع البحث والفرض "النهائي" .. أو النظرية التي يتم الوصول إليها في دراسة علمية لا يمكن اعتباره حقيقة"نهائية" وذلك لأن الفرض النهائي يمثل فقط أفضل إجابة يمكن الحصول عليها مع البيانات والمعلومات المتاحة.

ويمكـــن أن تحـــل نظـــرية أفضل محل هذا الفرض فيما بعد.. إذا لم يستطع هذا الفرض أن يجارى اختبار الزمن أو الاكتشافات الحديثة.

وأخيـــراً فينبغـــى أن نـــشير إلى أن الفرض أو النظرية التي يختارها الـــباحث بصفة نهائية بعد دراسة عميقة ودقيقة، ويستعد للدفاع عنها – يجب أن تتوفر فيها الشروط التالية:

أ- يجـــب أن تكـــون قـــادرة على شرح جميع المعلومات والبيانات المتعلقة بالموضوع.

ب- يجب أن تتفق مع ما يسمى بقانون الاقتصاد والبساطة في شرح الظواهر والمعلومات (Law of Parsimony) أى أن هذه النظرية تشرح المعلومات بطريقة أكثر بساطة من غيرها من النظريات.

ج- يجب أن تكون دقيقة بحيث تصدق التنبوءات المبنية عليها.

د- يجـــب أن تكـــون مساعدة وموحية بمزيد من الاكتشافات الجديدة في هذا المجال.

وعلـــى الرغم من أن الفرض لا يكون ضرورياً في الدراسة التي تهتم فقــط بتجميع الحقائق والوصول إليها، إلا أن الفرض لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة للأطروحات والبحوث العلمية الرئيسية.

ثانيا: هل الطريقة العلمية أو المنهج العلمي هو سبيلنا الوحيد للوصول إلى الحقيقة ؟

لا أحــد يستطيع أن يزعم بأن الطريقة العلمية هي وحدها السبيل إلى الوصــول إلـــى الحقيقة. فهى أداة ملائمة للكشف عن الحقيقة الموضوعية، وعلـــى ذلك فإن البحث العلمي يمكن أن يدلنا على ما يعتقد الناس- أو كيفية هــذا الاعتقاد – بالنسبة لقضايا اجتماعية معينة.. ولكنه لا يدلنا على ما يجب أن نؤمن به ونعتقده ولا يدلنا على الكيفية التي يجب أن يكون عليها سلوكنا. وكــل مـــا يمكن أن نأمل فيه عندما نمد الطريقة العلمية إلى المجالات غير العلمــية Non- Scientific Fields هو إننا نقوم بتثبيت وترسيخ الحقيقة كلما أمكــن وعرضـــها بموضــوعية وبالتالي يمكننا توسيع الاتفاق العقلانى بين الدارسين وجعل قيمنا أكثر أصالة. فضلاً عن إرساء دعائمها بشكل أكبر في المجالات التي نستطيع تحقيقها وتثبيتها..

إن الحقــيقة التي يتم اكتشافها بالبحث لا تكون بالضرورة الحقيقة كلها أو الحقيقة النهائية عن الحياة وعن الكون.. وكلما اكتشفنا حقائق جديدة وقمنا بصياغة نتائج جديدة .. فإن معارفنا تزيد وتراجع بصفة دائمة.

وأخيــراً، فينبغى أن نؤكد على أن البحث أصبح مفضلاً عن غيره من الطــرق التـــي تزيد من معارفنا ذلك لأنه قد ثبت بما لايدع مجالا للشك أن البحث يؤدى بنا إلى نتائج أفضل وإلى نتائج أكثر دقة من غيره من الطرق.. ولكننا لا نستطيع أن نقول بأن البحث سيحل جميع المشاكل الإنسانية.

ثالثاً: مراجعة مختصرة لطرق الحصول على المعرفة

1- **الخبـــرة:** وهذا المدخل يسميه البعض بالأمبيريقية Empiricism ويعتبر البعض أن الخبرة هي طريق موثوق فيه للوصول للمعرفة ، ولكن التعلم عــن طريق الخبرة وحدها، طريق محفوف بكثير من المحاولة والخطأ Trial and error وهـــناك إمكانية أن تكون النتائج التي يصل إليها الفرد عن طريق الخبرة بالنسبة للشخص نفسه ولكنه ليس صحيحاً ولا ينسحب على الآخرين.

2- **الاعـــتماد على مصادر الثقة:** عندما يصيبنا المرض فنحن نلجأ للطبيب لنتـــبع نـــصائحه وتعليماته لاجتياز الخطر، ولكننا تعلمنا أن الأطباء هم بـــشر أولاً وأخيـــراً، يخطئون ويصيبون، وليس هنا مجال لسرد النتائج الخطيـــرة لأخطاء الأطباء، ومنذ مئات السنين كانت هناك مصادر الثقة الدينـــية حـــيث يـــذهب الناس إلى أن الأرض هي محور الكون، ولكن الاكتشافات التي احرزها كوبرنيكوس بينت أن الأرض هي كوكب يدور حـــول الـــشمس، وخاف كوبرنيكوس من انتقام الكنيسة نتيجة آرائه ولم ينـــشرها إلا بعـــد حـــين، ومن نافلة القول أن الكثيرين من الناس ظلوا يديـــنون بالـــولاء والثقة بأهل الكنيسة وفى حالتنا السابقة كما في حالات أخـــرى في مختلف الأديان ثبت أن هذه الأمور العلمية الدنيوية لا يصل لها أهل الثقة من رجال الدين.

3- **العلـــم** : العلـــم هـــو وســـيلتنا الأساسية للمعرفة فهى الطريقة التي تتبع الملاحظة المنهجية وليس الملاحظة العابرة، والعلم يجمع بين الامبيريقية مع التفكير المنطقى والسعى دائما – باستخدام الأدوات والأجهزة العلمية والتجارب – إلى الوصول إلى دقة الملاحظة والنتائج.

رابعاً: أهداف العلم:

أ- الشرح **Explanation** :

يضع الشرح الظواهر في إطارها الأوسع والعلماء يحتاجون دائماً إلى أفضل الشروحات التي تفسر لنا أسباب حدوث الأشياء وعلى سبيل المثال لا الحصر ففى بحوث تأثير الصحافة والإعلام، يرى بعض "الباحثين" في المجال أن زيادة ميل الناس نحو العدوانية يعود إلى صور العنف الواردة في الصحافة والتليفزيون وغيرها، ويرى آخرون أن زيادة الإثارة الفسيولوجية الناتجة عن التعرض لصورة العنف تعتبر شرحاً للسلوك العدوانى، وهناك شروحات أخرى عديدة تحاول الإجابة على العلاقة السببية بين العنف في وسائل الإعلام والسلوك العدوانى .. ولكننا بعد هذا كله يجب أن نفكر وأن نشرح لماذا يحب الناس في "مختلف الأعمار" العنف في وسائل الإعلام.

ب- الفهم **Understanding**

الشرح الجيد يمدنا بالفهم السليم وعادة ما يتصل الفهم بالمعرفة لتتابع الأحداث السببية التي تكشف عن جوانب الظاهرة، إحدى ديناميكيات العلم هي الطلب المستمر لتحقيق مستويات أعلى من الفهم.

ج- الضبط **Control**

يساعدنا الشرح والتفسير والفهم على الوصول لضبط العوامل الداخلة في الظاهرة ، ولابد من الإشارة هنا إلى أن عملية ضبط المتغيرات الداخلة في الظاهرة هي إحدى الخصائص المميزة للبحث في العلوم الطبيعية ولكن حصر المتغيرات الداخلة في الظاهرة الاجتماعية تكون أكثر صعوبة.. ولعل ذلك يعكس إمكانية بل و دقة الوصول إلى حلول في بحوث العلوم الطبيعية والوصول فقط إلى بدائل alternatives وأفضليات Choices في العلوم الاجتماعية.

د – التنبؤ Prediction

لعلنا في نهاية المطاف أن نصل إلى إمكانية التنبؤ بعد الشرح والتفسير والفهم وضبط المتغيرات، والتنبؤ في مجالات العلم الطبيعي واضحة فجدول الدوريات Periodic Table الخاص بالعناصر وترتيبها الكيميائى حسب عدد الذرات جعل بعض العلماء يتنبأون بعلوم وتخصصات جديدة تم اكتشافها في المـستقبل، ولا يصدق هذا التنبؤ بنفس الدرجة على العلوم الاجتماعية، كما لا يـصدق هـدف الـضبط ايـضاً على العلوم الاجتماعية، ذلك لأن حصر المتغيـرات الداخلـة فـي الظاهـرة الاجتماعـية أكثر صعوبة من حصر المتغيـرات الداخلـة فـي الظاهرة الطبيعية، وفى نفس الوقت لانستطيع أن نعزل إحدى المتغيرات في العلوم الاجتماعية لنعرف مدى تأثيرها.



الفصل الثالث

الصحافة مهنة المهن: اتجاهات وتكامل بحوث علوم الإعلام مع العلوم الأخرى

أولاً: نظرة بيوجرافية للمؤلف عن دخوله مجال الصحافة والإعلام والمعلومات:

الصحافة مهنة المهن.. هي عبارة كان يرددها علينا أستاذنا الدكتور محمود عزمي رئيس وفد مصر في الأمم المتحدة، في محاضراته السياسية على طلاب الصحافة في معهد التحرير والترجمة والصحافة بكلية الأداب جامعة القاهرة في بداية الخمسينيات، وكان ذلك نابعا من قناعته بأن الصحافة بمعناها الواسع الذي يشمل الإذاعة والتليفزيون لا تخدم كل المهن فحسب، ولكن الإعداد الاكاديمى للصحفى لهذا السبب يجب أن يتناول علوم الإعلام مع خلفية ضرورية في الإنسانيات كاللغتين العربية والانجليزية وفى العلوم الاجتماعية كالجغرافيا السياسية والعلوم السياسية وفى القوانين كالقانون الدستورى والقانون الدولى والقانون الجنائى (فى الجانب المتمثل بجرائم الصحافة والنشر) وغيرها، وهذه فعلا هي العلوم التي كانت تدرس بالمعهد وهي التي تدرس حالياً بتوسع في كليات وأقسام الإعلام المعاصرة.

لقد كانت الدراسة في معهد الصحافة دراسة عليا حيث يقبل في الدراسة الخريجون من جميع التخصصات والكليات الجامعية، وكنت من بين المقبولين -وأنا خريج من كلية العلوم- وكان من بين زملائنا أيضاً مجموعة كبيرة نسبياً من خريجى الكليات العسكرية (ضباط أركان حرب)، ولعلنا نذكر أن صلاح جلال نقيب الصحفيين السابق كان من خريجى كلية العلوم، كما تولى خريجوا معهد الصحافة من العسكريين رئاسة تحرير بعض الصحف المدنية والعسكرية، وبعض خريجى المعهد تقدم مباشرة للحصول

على درجة الدكتوراه (والدبلوم العالى للمعهد ثلاث سنوات معادل للماجستير) وأصبحوا أعضاء في هيئة التدريس بمعاهد وكليات الإعلام.

ويحــضرنى فــي هذه المناسبة- أى قبولى بمعهد الصحافة – امران أولهمــا أنه فتح شهيتى العلمية لدراسة العلوم السياسية بمعهد العلوم السياسية الــتابع لكلــية الحقوق بجامعة القاهرة في المبنى المقابل لكلية الأداب جامعة القاهرة حيث كنا ندرس علوم الإعلام والصحافة.

وقــدمت أوراقى للدراسة بمعهد العلوم السياسية وكان رئيسه أ.د. أحمد ســويلم العمرى في ذلك الوقت الذي استدعانى لسحب أوراقى من التقدم لمعهد العلوم السياسية، قائلا هذا المعهد يقبل فيه خريجوا الكليات النظرية وليس كلية العلــوم أو الطــب أو غيرها.. وبادرته قائلاً.. سيادة الدكتور.. أنتم تشترطون النجاح في الامتحان الذي تعقدونه للمتقدمين للمعهد.. وبالتالي فسوف ترفضون طلبــى إذا رسبت، فكان رده على .. لا سنرفض طلبك حتى في حالة نجاحك في امتحان القبول .. لقد كانت هذه الواقعة سبباً مباشراً لإصرارى على دراسة العلــوم الــسياسية (والعلاقــات الدولــية بالذات) كجزء من استكمال دراستى للدكــتوراه فــي جامعة كيس وسترن ريزرف بأمريكا، وبالتالي كنت أول من ألف كتابا بالوطن العربى عن "الإعلام الدولى" وقمت بتدريس هذا المقرر بقسم العلوم السياسية بجامعة الكويت (1970–1975) وتدريسه مع الرأى العام أيضاً بكلــية الإعــلام بجامعة القاهرة (1976–1978)، وصدور كتابى عن الصحافة الكونية Global Jounalism عام 2007م.

أمــا الأمــر الثانــى المرتبط بقبولى للدراسة بمعهد الصحافة بجامعة القاهــرة، هــو أن المعهد يشترط التدريب العملى، وسألت أخى الأكبر وكيل وزارة الإعلام في ذلك الوقت، أن يدبر لى أمر هذا التدريب العملى، وعملت بــناء على توصية العديد من زملاء أخى بوزارة الإعلام- بمجلة آخر ساعة كمندوب صحفى "علمى" تحت إشراف الصحفى النابه أ. محمد حسنين هيكل

وكانــت الألمعية الصحفية المبكرة للأستاذ هيكل واضحة للكثيرين في ذلك الوقت (1952/1953) .

وإذا كــان عملــى كمندوب صحفى علمي يتطلب تجميع الأخبار عن المؤســسات العلمــية المــصرية، فقد كان لقائى بالاستاذ الدكتور أحمد زكى رئــيس معهد فؤاد الأول الأهلى للبحوث ومدير مكتبه أ.عادل أحمد ثابت(*) نقطــة تحول جذرية في حياتى العملية والاكاديمية وكان الأستاذ عادل نفسه يعمــل مديرا لمركز المخابرات العلمية بالمركز القومى للبحوث، وكان معه خبــراء هيــئة اليونسكو الدولية للتوثيق العلمى، وهم الذين رشحونى للعمل كأول أمين مكتبة علمي للمكتبة المركزية للعلوم والتكنولوجيا، وعقب ذلك تم ترشــيحى لبعــثه اليونسكو للدراسة والتدريب في مراكز التوثيق والاتصال العلمي بهولندا والسويد والنرويج وفرنسا وبعدها رشحتنى الحكومة المصرية لدراســة التوثيق والمعلومات بالولايات المتحدة الأمريكية واستمر عملى في المكتبات والتوثيق والمعلومات والإعلام بعد ذلك بالمركز والجامعات العربية حتى الآن لمدة تزيد على الخمسين عاماً.

ثانيا: التكامل المعرفى في بحوث علوم الإعلام:

1/2 تقديم

لقد بلغت المجالات الموضوعية التي تتكامل مع علوم الإعلام حوالى (25) موضــوع، طبقاً لما جاء في الدوريات الأجنبية التي سيشير إليها الباحث في الوحدة الأخيرة من هذا الكتاب، ومن بين الموضوعات المشمولة ما يلى:

(*) الاستاذ عادل أحمد ثابت حاصل على ماجستير من كلية العلوم بالاضافة إلى أنه خريج معهد التحريــر والتــرجمة والــصحافة جامعــة القاهرة، وقد اختلف أ.عادل مع فلسفة عمل خبراء اليونــسكو في مجال التوثيق العلمي وترك أ. عادل العمل وجاء بعده دكتور أحمد كابش الذي كــان يعمل استاذاً مساعدا للفيزياء بكلية هندسة القاهرة – ليتولى إدارة المركز القومى للإعلام والتوثيق بوزارة البحث العلمى.

*الانثروبولوجيا *العلوم السلوكية *بحوث التربية والتعليم *علم النفس *العلـوم الـسياسية *الاتـصال *بحوث البيان Speech *الاتصال التعليمى *القانـون *الدراسات النقدية لبحوث الاتصال الجماهيرى *بحوث الاتصال الإنـسانية *بحـوث المـيديا المتداخلة *الإعلام *بحوث الاتصال التطبيقى *الاذاعـة والمـيديا الالكترونية *بحوث التسويق *تاريخ الصحافة *الثقافة والمجتمع *الاتصال السياسى والاستمالة Persuasion *الثقافة العامة *الرأى العـام *العلاقـات العامـة *العلامـات وثقافة المجتمع *الاتصال عن بعد *النظرية والمجتمع *الاتصال المكتوب.

هـذا بالإضـافة إلى موضوعات علمية ذات طبيعة محلية ثقافية مثل الإسلام وعلوم الإعلام ومن بين الكتب والدراسات الهامة المتعلقة:

- محـى الـدين عـبد الحليم (1984) الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية. القاهرة: مكتبة الخانجى
- محـى الدين عبد الحليم (1990) الرأى العام في الإسلام .ط2. القاهرة : دار الفكر العربى
- عـبد العزيـز شـرف (1998) الإعلام الإسلامى وتكنولوجيا الاتصال القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 144ص.
- محمـد منيـر حجـاب (2003) الإعـلام الإسلامى : المبادئ. النظرية التطبيق. القاهرة : دار الفجر للنشر والتوزيع.

هذا بالإضافة إلى الابتكارات الهندسية والمعملية في الاكاديمية الدولية للهندسـة وعلوم الإعلام التي ترأسها الإعلامية النابهة أ.د. منى الحديدي(*) حـيث تـضم شـعبة علـوم الإعلام (الإنتاج الإذاعى والتليفزيونى والإنتاج

(*) جاءت بعدها أ.د. ماجي الحلواني- عميدة كلية الإعلام بالقاهرة "سابقا".

الـــسينمائى والإنتاج الإعلانى والوسائط المتعددة والإنترنت إلى جانب علوم شعبة هندسة الإعلام.

لقــد حـــدد سمير محمد حسين في كتابه "الإعلام والاتصال بالجماهير والرأى العام" المجالات التالية لبحوث الإعلام.

أ- بحوث تستهدف توفير معلومات وبيانات عن العوامل والمتغيرات المؤثرة في الإعلام والاتصال بالجماهير.

ب- بحوث تستهدف التعرف على اتجاهات جمهور المستفيدين.

ج- بحـــوث تـــستهدف التعرف على خصائص الوسائل الإعلامية والقائمين بالاتصال وأساليب الممارسات الإعلامية.

د- بحوث تستهدف دراسات المواد الإعلامية وتحليلها.

هـــ- بحوث قياس عائد الجهود الإعلامية وتقييم أثر الإعلام.

و- بحـــوث تـــستهدف تقيـــيم أثر الجهود الإعلامية غير المحلية (الاقليمية والدولية) على الأوضاع الإعلامية الوطنية في المجتمعات المختلفة.

أما ولبورشرام Schramm فقد لخص اتجاهات بحوث الاتصال كما يلى طـــبقاً لمـــا جاء في كتاب نافزيجر Nafziger وزملاؤه عن بحوث الاتصال الجماهيرى:

1- الاتجاه إلى الأبحاث السلوكية والكمية.

2- محاولـــة الوصـــول إلـــى نظرية متكاملة لعملية الاتصال، وعمل نماذج واستخدام الأساليب الرياضية.

3- إمكانـــية تغيير الآراء والاتجاهات عن طريق وسائل الاتصال المتباينة.. كمـــا يمكـــن أن نشير إلى أن الرواد الأوائل في مجال بحوث الاتصال كانـــوا مـــن دراسات متنوعة سياسية واجتماعية ونفسية وغيرها.. وإذا

فحصنا بعض إنتاج هؤلاء مثل لاسويل ولزرزفيلد ولوين وهو فلاند مثلاً.. فسنجد اهتمامهم ببحوث الاتصال لخدمة –وفى نطاق– اهتماماتهم الواسعة.. فقد ركز لاسويل على الاعتبارات السياسية، واتبع في تحليله التحليل "الماكرو" Macrocosmic الذي يفترض أن المؤسسات والمجتمعات والثقافات تظهر قانونا ونظاما أبعد من ذلك القانون أو النظام الظاهر لأعداد كبيرة من الناس في أى وقت معين.

أما لازرزفليد وهو فلاند فقد تركز اهتمامها في استجابات الأفراد أى أنهما قد انتهجا في التحليل الاتجاه "الميكرو" Microcosmic الذي يركز على تجميع المعلومات التفصيلية عن الأفراد للتنبؤ بسلوكهم، وأخيراً فتعتبر اهتمامات لوين بالجماعة الاجتماعية الصغيرة وسطا بين الاتجاهين الماكرو والميكرو.

(جيهان رشتى 1971 الإعلام ونظرياته : 39)

ثالثاً: بحوث الاتصال والسياسة العامة:

يذهب هارولد لاسويل في كتابة عن بحوث الاتصال (1972) إلى أن التقدم في بحوث الاتصال والرأى العام، يعتمد على تطوير مفهوم المسئولية المهنية في هذا المجال باعتباره من بين المجالات الأساسية في "العلوم السياسية".. وذلك لأن هناك روابط وصلات بين العاملين في مجال الرأى العام والاتصال وبين عمليات تكوين السياسات وتنفيذها، سواء كان ذلك في القطاعات الحكومية أو الخاصة ولعل هذه النتائج تتبلور فيما يمكن أن يسمى بالمعايير وحدود القبول والتصديق لدى الرأى العام (Norms and Sanctions).

أى أننا يمكن أن نقول بأن بحوث الاتصال، تلعب دوراً ايجابياً متميزا في مرحلة تقييم (Appraisal) السياسية العامة... ذلك لأننا عندما نقيم النشاطات الرسمية، فإن ذلك يتم بناء على درجة تطابق هذه النشاطات مع أهداف السياسية العامة.

كمـــا يمكن أن نلاحظ بأن ما قيل عن المؤسسات التي تكفل المشاركة فـــي تشكيل الرأي العام، بصدق على جميع القطاعات الأخرى في المجتمع.. فالمتصلون بالرأى العام هم المنتجون والموزعون والمستثمرون والمستهلكون وجامعوا المعلومات والناشرون وغيرهم من المؤسسات الأولية (كالأسرة).. والمؤسسات الثانوية (كالجماعات والأصدقاء الخ...).

وإذا كـــان العاملون في مجال الاتصال والدعاية والرأى العام لهم هذا الدور الايجابى في مختلف هذه الأنشطة، فينبغى أن يكون لهم شخصية مهنية ومـــسئولية محددة، غير متحيزة في العمل الذي يقومون به.. ذلك لأنه ليس كافـــيا أن يحـــصل خبـــراء الاتـــصال على المهارات في كيفية عمل المسح Survey وتحلـــيل المضمون وغير ذلك من العمليات الفنية، فالمهنة الأصيلة يجـــب أن تكمـــل المهارة بالوعى Complement Skill With Enlightment ومعنـــى ذلـــك أن الجمعـــيات المهنية في مجال الاتصال، لم تتخذ خطوات ملموســـة لإيـــضاح الأهداف والمعايير التي يمكن أن يقيم على ضوئها دور الاتصال في المجتمع.

2/2 الصوت الثالث

لقـــد دعـــا هارولد لاسويل إلى ضرورة وجود صوت ثالث غير متحيز، ذلـــك لأن عالمنا في حاجة إلى "صوت ثالث" يمكن أن يجذب إليه الانتباه العام عـــن مجـــريات الأمـــور ... فالأصوات الرئيسية في الوقت الحاضر أصوات متحيزة تخدم مصالح ذاتية للحكومة أو الحزب أو التجارة.. الخ.. وهذا الصوت الثالث هو الذي يمكن أن يعرض صورة غير متحيزة للمصادر المختلفة.

ولكـــن المـــشكلة هنا تكمن في أن العاملين بحقل الاتصال، هم أنفسهم جـــزء من جميعات مهنية أو أحزاب سياسية، أو غير هؤلاء من المؤسسات التـــي تلعب دوراً نشطاً في السياسية العامة.. وعلى ذلك فهم غير قادرين أو غير راغبين في أن يقوموا بهذا الدور .. دور الصوت الثالث...

ومـــع ذلك فإن لاسويل لا يفقد الأمل في إمكانية وجود هذا الصوت في الـسنوات القادمة ... وهو يعلل ذلك بقوله أن ثورة الحاسب الآلى قد أدت إلى اختـــراع آلـــة، تستخدم بواسطة الصفوة والسلطة ومؤسساتها المركزية لتدعيم وتثبيت مراكزها، وليس جديداً أن نقول بأن المعرفة هي القوة Knowledge Is Power خـــصوصا تلك المعرفة عن الأفراد والجماعات والتي يمكن الحصول علـــيها على وجه السرعة، واستخدامها في تهديد هؤلاء الأفراد والجماعات أو استمالتهم.

3/2 بحوث الرأى العام هي بحوث للاتصال:

يمكـــن أن نعتبـــر بحـــوث الـــرأى العام كجزء من نظام الاتصال في مجتمعنا المحلى وفى المجتمع العالمى .. ذلك لأن نظام الاتصال يعتبر واحداً مـــن أهـــم التـــركيبات الأساســـية في المجتمع، ولعله أهمها جميعاً، فالنظام الاتـــصالى يـــربط الجماعات والثقافات، بل والأمم مع بعضها كما أن كفاءة نظـــام الاتصال تعكس-إلى حد كبير- كفاءة ومرونة النظام الاجتماعى نفسه كمـــا جـــاء فـــي كـــتاب دافيـــسون عن بحوث الرأى العام كبحوث اتصال (Davison,w.p,1972) .

ولكـــن ماذا يمكن أن يسهم به الباحثون في مجال الرأى العام في نظم الاتـــصال هـــذه ؟ إن أهمـــية نظـــام الاتصال يمكن أن تتضح إذا فكرنا في المجتمع أو الأمة كهرم مقسم افقيا إلى قطاعات، وهناك في قمة الهرم قطاع الـــصفوة أو صـــناع القـــرارات، وتحـــت هؤلاء يوجد قطاع أو أكثر، من الجماعـــات التـــي تلـــى الصفوة الحاكمة، وهذه الجماعات الأخيرة هي التي تمـــارس تأثيراً مباشر على صناع القرارات وتعينهم على تنفيذ قراراتهم وهم الصحفيون أصحاب الأعمدة الصحفية المستمرة الثابتة ورؤساء التحرير. إن العملية الاتصالية التي تتم إلى أعلى- وهي التي يهتم بها الباحثون في مجال الرأى العام أكثر من غيرها- يمكن أن تكون لها الوظائف التالية:

1. شـــرح وتوضيح الرأى العام بالنسبة لأى قضية معينة، خصوصاً بالنسبة لـتحديد الجماعــات ذات الاتصال المباشر بهذه القضية وأسباب ذلك... وهــل يعتبــر هــذا الــتجمع في الرأى مثلا لأقلية أو لموجة كبيرة من المــشاعر الشعبية؟ وقد تناول الباحثون هذه الوظيفة الاتصالية في بحوث المسح بكثير من التفاصيل.

2. إن بحوث الرأى العام تمد صناع القرارات بتركيب يشرح التغذية المرتدة Feedback أى عــدد الناس الذين لديهم معلومات عن القضية المطروحة ودرجــة عمــق هذه المعلومات وصحتها .. كما تدل هذه البحوث على درجــة فهم الجمهور لقرارات الحكومة وتصريحات الزعماء، وعلى رد فعــل الجمهور للقرارات السياسية. أى أن وظيفة التغذية المرتدة الخاصة ببحوث الرأى العام قد حظيت باهتمام كبير هي الأخرى.

3. أمــا الوظــيفة الثالث لبحوث الاتصال من القاعدة للقمة فهى غير معروفة وغير موثقة بما فيه الكفاية.. وهذه هي ما يعبر عنه بالبديل عن الرأى العام Substitute For Pubic Opinion ويعبر الباحثون عن هذه الفكرة بقولهم إن صــانعى القرارات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، كانوا يتعرفون على الــرأى العام بعد أن يصبح كثير من الأفراد واثقين من مواقفهم لأن الكثير يــشاركونهم فــي هــذه المواقــف.. وكان هذا الرأى العام يعبر عن نفسه بالمظاهرات الجماهيرية، وبالاضطرابات والمقاطعات أو بأى شكل آخر من أشكال التعبير الشعبى، التي تتسم بقليل أو بكثير من العنف..

ثالثا: علاقة علوم الاتصال بعلم المعلومات

1/3: هل علم المعلومات جزء من علوم الاتصال؟

يــرى العديــد من الباحثين أن علم المعلومات Information Science جزء من علوم الاتصال: لأنها جميعاً علوم تهتم بالاتصال الإنسانى human Communication كما يرى العالم جيسى شيرا Shera أحد علماء المعلومات

والاتـــصال في أمريكا أن مركز المعلومات هو أحد عناصر النظام الاتصالى الكلى في المجتمع والذي يحفظ لهذا المجتمع هويته وثقافته، أما الباحث جلين هارمـــون Glynn Harmon فيسجل في بحثه عن تطور ونمو علم المعلومات العديـــد من التعاريف التي تحتوى على مصطلحى "المعلومات" و"الاتصال". أمـــا جوزيـــف بيكر Joseph Becker فقد قدم تعريفا لعلم المعلومات على أنه دراسة كيفية قيام الناس بإنشاء واستخدام وتوصيل المعلومات.

2/3 الارتباطات الببليومترية بين علوم الاتصال وعلم المعلومات:

يتركـــز الاهـــتمام الأول هـــنا كمـــا يـــذهب الـــباحث ولـــيم بزلـــى (Paisley,w:14) في علاقة الاتصال بين علم المعلومات مع الحقول المرتبطة كمـــا تعكـــسه مـــصفوفة استـــشهادات الدوريات Cross-citation خصوصاً بالاســـتعانة بكـــشاف استـــشهادات العلـــوم الاجتماعـــية الذي يصدره معهد المعلـــومات العلمية (ISI)،ففى الجدول التالى تظهر استشهادات الدوريات في علم الاتصال والحقول المرتبطة (حيث تدلنا معدلات الاستشهاد لكل ألف من الاستشهادات في الدوريات المشهد بها Citing Journals) وذلك عام 1980.

الاستشهادات الكلية المعطاة	الدوريات المستشهد بها Cited Journals														الدوريات Citing جاء بها الاستشهاد
	JPSP	ASR	APSR	QJS	CM	CSSJ	J.D	JASIS	IPM	PoQ	JQ	Jc	JB	CR	
470	19	13	-	-	-	-	-	-	-	43	36	38	11	47	Com.Research
588	-	-	-	-	-	-	-	-	-	18	25	29	57	5	J.Broadcasting
1312	-	-	-	-	-	-	-	-	-	14	24	44	18	5	J.Communication
1199	-	8	9	-	-	-	-	-	-	23	118	20	20	-	Journalism Quarterly
744	-	22	20	-	-	-	-	-	-	90	15	17	-	-	Public Opin.Q.
308	-	-	-	-	-	-	39	88	13	-	-	-	-	-	Inf.Proc.Mgt
786	-	-	-	-	-	-	-	108	-	-	-	-	-	-	JASIS
639	-	-	-	-	-	-	-	16	47	-	-	-	-	-	J.Doc
819	12	-	-	46	74	13	-	-	-	-	-	15	-	-	C.s. Speech J.
678	49	-	-	22	47	12	-	-	-	-	-	-	-	-	Comm. Manag
1014	-	7	-	58	32	12	-	-	-	-	-	8	-	-	Q.J.Speech
1873	-	-	56	-	-	-	-	-	-	7	-	-	-	-	A.Pol Sc Rev
2837	2	115	5	-	-	-	-	-	-	3	-	-	-	-	Amer.Sociol.Rev.
5526	185	4	-	-	-	-	-	-	1	-	1	-	-	-	J.Pers.& Soc. Psych.
	5949/4353/1622			211/60/75			185/357/6			827/408/443/143/73					الاستشهادات الكلية التي تم استلامها

المـــصدر: محسوبة من كشاف استشهاد العلوم الاجتماعية J.citation Reports V.6 1991 وكـــشافات المصفوفة Cross-Citation تعنى أن الدورية الأولى مثلاً وهي Commurication Research تستشهد بنفسها عدد (47) مرة فـــي كـــل ألف استشهاد تعطيه، كما أنها تستشهد بمجلة الرأى العام الفصلية Public Opinion Quarterly عدد (43) مرة في كل ألف استشهاد.

والجدول السابق يظهر عدد مرات تكرار استشهاد الدورية بين الحقول الفـــرعية للاتـــصال الجماهيـــرى وعلم المعلومات والاتصال بين الأشخاص Interpersonal Communication فـــضلاً عـــن الاستشهادات من وإلى ثلاث دوريات يكثر الاستشهاد بها في علم الاجتماع.

أما الدوريات التي تمثل علم المعلومات فهى:إدارة وتجهيز المعلومات (IPM)، ومجلـــة الجمعية الأمريكية لعلم المعلومات (JASIS)، ومجلة التوثيق (J.D.).

ويـــتوجه الجــدول المذكور إلى مستويين أولهما: ما مدى التوازن بين حقــل فرعـــى إلى حقل آخر؟ وثانيهما: ما مدى التوازن داخل هذه الحقول الفـــرعية؟ أمـــا السؤال الأول فتتم الإجابة عليه بوضوح عن طريق الأقسام الخالـــية (...) مـــن الجـــدول والتي تدل على غياب كامل للاستشهادات بين الحقول الفرعية التي تمثلها تلك الدوريات المحددة.

أما السؤال الثانى فتتم إجابته بطرق مختلفة في كل حقل فرعى، حيث يلاحـــظ أنـــه فـــي الاتـــصال الجماهيـــرى والاتـــصال بين الأفراد، تظهر الاستـــشهادات بـــين الـــدوريات بطـــريقة مـــتوازنة نسبياً.. أما بالنسبة لعلم المعلـــومات فهناك دورية واحدة وهي (JASIS) لا تقوم باستشهاد الدوريتين الأخريين نهائياً، أما دورية إدارة وتجهيز المعلومات (IPM) فتقوم بالاستشهاد بالدوريتين الأخريين أكثر مما تستشهد بنفسها.

ويلاحـــظ أن الدوريات في علم الاجتماع (APSR/ASOR/JPSP) تتسلم عـــدد (123) استـــشهاداً مـــن دوريات الاتصال الجماهيرى، ويرد لـــه عدد (12) استشهادا فقط، عدد (11) منها للدورية الجسر وهي الرأى العام الفصلية (POQ)، أما دوريات الاتصال بين الأشخاص فتقوم باستشهاد دوريات العلوم الاجتماعـــية عـــدد (68) مـــرة ولا تتـــسلم بالمقابل أى استشهادات، وأخيراً فدوريات علم المعلومات لا تقوم باستشهاد دوريات علم الاجتماع ولا يتم في المقابل الاستشهاد بدوريات علم المعلومات.

وخلاصة هذا التحليل أنه على الرغم من أن مجالات البحث بين علم المعلومات وعلوم الاتصال والاجتماع موجودة إلا أنها مازالت في حاجة إلى التحالف لتكوين حقل بحثي متميز بالتعددية الموضوعية وهو علم المعلومات.

3/3 بحوث الاتصال وعلم المعلومات:

لاحظ العديد من الباحثين مثل برجمان وزميله (Bergman, C And Schement, J.) أن هناك اشتراكاً بين المجالين (علم المعلومات وعلم الاتصال) في الموضوعات التي يقومان ببحثها وذلك مثل فجوات المعرفة Knowledge Gaps، الكليات غير المنظورة InvisibleColleges ، بث الاختراعات Diffusion Of Innovations، التفاعل الإنساني مع تكنولوجيا الاتصال، سلوك البحث عن المعلومات والببليومتريقا والسيانتومتريقا، نظرية المعلومات، نظرية النظم، النشر الإلكتروني ومجتمع المعلومات وغيرها.. حيث تظهر هذه الموضوعات في دوريات المجالين، كما عمل بعض الباحثين في كل حقل من الحقلين في العمل بمدارس الاتصال ثم في مدارس علم المعلومات والعكس صحيح.. فضلاً عن أن بعض المعاهد والجامعات في كل من أمريكا وبريطانيا –على سبيل المثال لا الحصر– قد دمجت بين المجالين في مدرسة واحدة مثل جامعة راتجرز في أمريكا وجامعة شمال لندن وغيرها من الجامعات بما فيها جامعة قطر كما يلي في جامعة راتجرز بأمريكا وهي:

كلية دراسات الاتصال والمعلومات والمكتبات بجامعة راتجرز.

School of Communication, Information and Library Studies (SCILS)

فضلاً عن النماذج الكثيرة في بريطانيا ومن بينها الجامعات التالية التي تمنح درجة البكالوريوس في المعلومات والوسائط أو المعلومات والاتصال.

Aberdeen

School of Information and Media. The Robert Gordon University. 352 King Street, Aberdeen AB9 2TQ, UK.

Edinburgh

Department of Communication and Information Studies Queen Margaret College Clerwood Terrace, Edinburgh Eh 12 8Ts. UK.

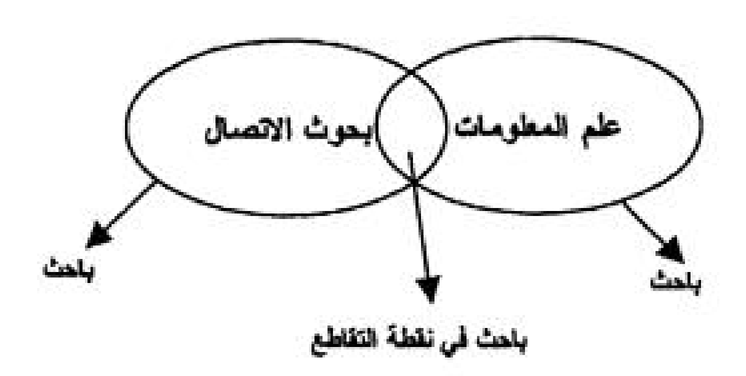
North London

School of Information and Communication Studies University of North London Ladbroke House, 62-66 Highbury Grove, London N52 AD, UK

وأخيـــراً فقـــد دمجت جامعة قطر بين علم المعلومات والإعلام (حيث يـــدرس في هذا القسم أعضاء هيئة تدريس من كل من المكتبات والمعلومات وعلوم الإعلام).

فالمجـــالان يمكن أن يكون لهما عدد من حقول البحث المشتركة In Common ولكن كل مجال لـــه حقوله الأخرى المميزة له.

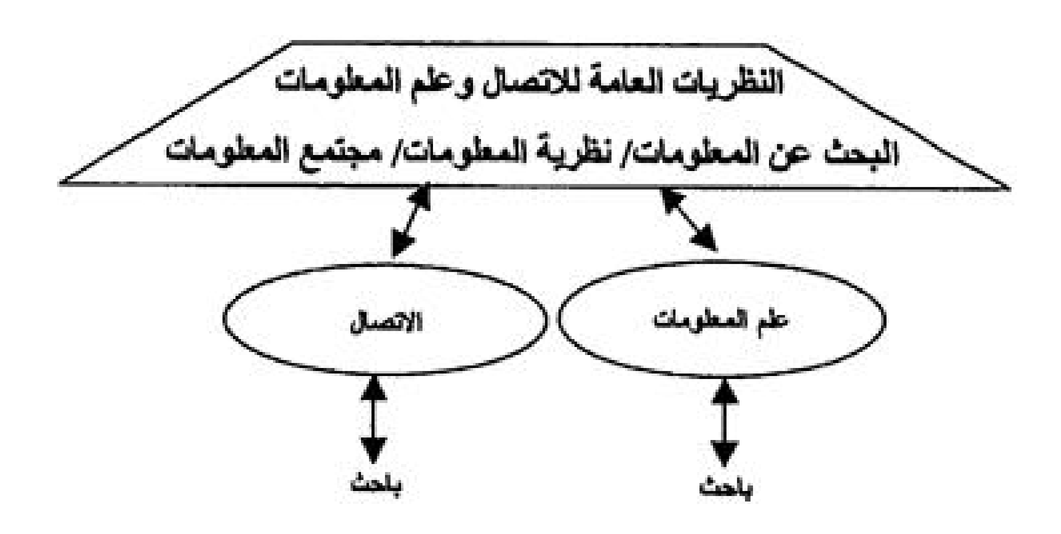
فالباحـــثون الـــذين تغطى دراستهم المجالين سيكون موقعهم في نقطة التقاطع، ومن بين أمثلة موضوعات التقاطع: بث المخترعات Diffusion Of Innovations. ســـلوك الـــبحث عـــن المعلـــومات، فجوة المعرفة، السياسة المعلوماتية ، ومجتمع المعلومات.



أمـــا في الجزء الخاص بالاتصال فنجد موضوعات مثل الاتصال بين الأشخاص interpersonal، تأثيرات الاتصال الجماهيرى والاتصال التنظيمى.

علـــى حـــين يـــشمل الجزء الخاص بعلم المعلومات موضوعات مثل الفهرسة والتصنيف وأساليب استرجاع المعلومات والتوثيق.

وأخيراً هناك نموذج النظرية المشتركة Common Theory حيث يرى المجالان متفرقين على مستوى الأقسام الأكاديمية، فالباحث في أى واحد من الحقلـــين يمكـــن أن يـــستمد نظرياته العامة من جسد مشترك من المعرفة.. وخـــصوصاً مـــع اســـتخدام مـــناهج بحث مختلفة .. وبالتالي ستكون هناك استشهادات مشتركة Citing Common Literature وذلك كالرسم التالى:



ويمكن في هذه الحالة أن نشير إلى أن ظهور المنظرين على الجانبين الاتـــصالى والمعلوماتـــى كمـــا يتضح في تحليل الاستشهادات سيساعدنا في

التعرف على أى نظرية ذات جذور في الحقلين. فعلى سبيل المثال نرى أكثر المؤســسين لنظــرية مجتمع المعلومات وهم ما كلوب Machlup وبيل Bell وبورات Porat وروبين Rubin، ظلوا بعيدين لفترة عن البيئة الأكاديمية لكل من الاتصال وعلم المعلومات.. حيث عمل ماكلوب كباحث اقتصادى وعمل بــيل كباحث اجتماعى، أما بورات فعلى الرغم من تعليمه كباحث اتصال إلا أنه غير بارز في هذا المجال.. واندماج هؤلاء الباحثين واسهامهم كمنظرين لمجتمع المعلومات سيولد لنا نظرية مشتركة، ولعل هذه الجهود المشتركة قد أدت إلى تبنى اقتصاد المعرفة Knowledge Economy .

وعلــى كــل حال فإذا كان علم المعلومات لــه هذه العلاقات مع علم الاتــصال وخــصوصاً مــع تنقل العديد من الباحثين بين المجالين والاهتمام بنظريات مشتركة كقاعدة انطلاق، فهناك علاقات لعلم المعلومات مع مجالات أخــرى عديدة بنفس القوة والميل للتنظير المشترك، كما هو الحال مع التربية والإدارة والحاسبات وغيرها من العلوم.

4/3 النشر الالكترونى: حيث التقى الجمعان في أصل وأداء واحد:

قــام أ.د. محمد فتحى عبد الهادى –وكيل كلية آداب جامعة القاهرة – بنــشر كــتابه عــن النــشر الالكترونى عام 2001 وكان الناشر هو المكتبة الاكاديمــية وقــد احتوى على عدة بحوث جمعت بين أساتذة علم المعلومات (أ.د. أحمــد أنــور بــدر) وعــنوان مقالــه : النشر الالكترونى ومشكلاته المعاصــرة، أمــا أســاتذة الــصحافة فمنهم أ.د.أشرف صالح وعنوان مقاله الطــريق الــسريعة للمعلومات في العالم العربى وأ.د. شريف درويش اللبان وعــنوان مقاله التطورات الحديثة في تكنولوجيا النشر الالكترونى وتطبيقاتها فــي مجال الصحافة فضلاً عن كتبه الأخرى عن تكنولوجيا الطباعة والنشر الالكترونى والإخراج الصحفى والطباعة الملونة والتطور التكنولوجى وأثره في الارتقاء بالفنون الجرافيكية.

رابعًا: ملخص اتجاهات البحوث والدراسات في علوم الإعلام في مجلة الرأى العام الفصلية:

قـــام العالم تشايلدز Childs بتحليل محتويات مجلة الرأى العام الفصلية Public Opinion Quarterly مـــنذ صـــدورها عام 1937ولمدة ثلاثين عاما.. حيث تبين لـــه أن اتجاهات البحوث تشمل الاقسام الرئيسية التالية:

(أ) استفتاءات الرأى العام:

- أساليبها الفنية.
- دور الاستفتاءات في السياسة العامة.
- الاستفتاءات في دولة معينة أو دول مختلفة.
- تقييم الاستفتاءات.

(ب) الـــرأى العـــام لجماعات مختارة بالنسبة لقضايا محددة تشغل بال الرأى العام المحلى أو في الدولة الأجنبية.

(ج) أثر بعض العوامل المختارة في تشكيل الرأى العام:

- بصفة عامة.
- عوامل معينة.
- بعض المكونات الأساسية.
- التأثير النسبى لهذه العوامل.

(د) السلوك الانتخابى:

- الانتخابات.
- المرشحون.
- التنبؤ.
- الأحزاب.

- بعض العوامل المؤثرة

(هـ) الاتصال Communication:

- الصحافة والمطبوعات.
- السينما.
- وسائل اتصال أخرى.
- الراديو.
- التليفزيون

(و) الدعاية:

- بصفة عامة.
- بالنسبة لبلاد معينة.
- العلاقات العامة.
- التعليم.
- الحرب النفسية.
- الأمم المتحدة.
- الإعلام.
- الزعامة.

(ز) البحث في مجال الرأى العام:

- بصفة عامة.
- اقتراحات ومناهج.

(ح) نظرية الرأى العام:

- تعريف.
- بعض النماذج.

– بعض الفروض Hypotheses

وهناك بعض النتائج التي انتهى إليها الباحثون في عرضهم لاتجاهات بحوث الرأى العام وهي كما يلي:

1. تركـز الاهـتمام بـصفة أساسـية على استفتاءات الرأى العام وأجهزة الاتصال وهيئاته.
2. كان هناك اهتمام ملحوظ باتجاهات الناخبين وآرائهم وبالسلوك الانتخابى.
3. لـم تحـظ دراسـات الـسيطرة على الرأى العام عن طريق الحكومات وجماعـات المـصالح Lobbies والـزعماء وإخصائى الإعلام كخبراء العلاقات العامة والمعلنين، هذه لم تحظ باهتمام دراسى الرأى العام بنفس درجة الموضوعات الأخرى.
4. الدراســات النظرية عن الرأى العام ومفاهيمه Conceptual، كانت نادرة للغايــة ويــبدو أن هذه الدراسات لاتحتل موقعاً أساسياً في مشاكل علوم الإعلام خصوصاً في الدول النامية.
5. تركــزت بحوث الرأى العام في محاولة التعرف على طبيعة الرأى العام وتعريفه، وعلى دور وكالات الاتصال والإعلام في عملية تكوين الرأى.
6. تعتبــر كثير من بحوث الرأى العام، بحوثاً تطبيقية، تسعى لحل المشاكل المباشــرة للقائمــين بعملـية اسـتفتاءات الرأى العام، وبحوث التسويق والمسئولين عن وكالات الاتصال وأجهزتها، والمعلنين وخبراء العلاقات العامة والدعاية بأشكالها المختلفة.
7. أن مـا تحـتاجه البحوث في الوقت الحاضر، هو مزيد منها في مجالات "المـصالح العامة" لا "المصالح الخاصة" ومزيد من البحوث لحل مشاكل الـرأى العام التي تهتم الجماهير، وليست تلك التي تهم المصالح التجارية الخاصة.

8. هناك حاجة ماسة كذلك للبحوث الخاصة بنوعية الرأى العام، وبدوره في السياسية العامة وفى صراعات الرأى Opinion Conflict. وإذا كان لنا أن ندلى ببعض الملاحظات على اتجاهات البحوث في هذا المجال، فنحن نؤكد على ضرورة الاهتمام ببحوث "الإعلام والتنمية القومية" لما لذلك من أهمية كبرى بالنسبة لخطط التنمية التي تقوم بها دول العالم الثالث على وجه الخصوص، وذلك من أجل تقريب الهوة بين الدول الغنية والفقيرة، ومن أجل الدخول في نظام إعلامى عالمى يتيح لهذه الدول الإفادة من المعلومات العلمية والتكنولوجية، وحيث تتفاعل ثقافة تلك الدول النامية مع ثقافات الدول المتقدمة.

خامسًا: منهج الدراسة وتنظيم الفكر:

Methodology and Organization of Thought

تهتم علوم السياسة والإعلام بصفة أساسية بتحليل الظواهر الإعلامية والسياسية أكثر من اهتمامها بالوصف التاريخي لها.. وتهتم كذلك بالقوى Forces والعوامل Factors التي لها أثر في تغيير انحياز القوة السياسية.. وتهتم أخيراً بالأهداف التي يمكن تحقيقها من وراء العمل السياسى.. وعلم السياسة كمنهج للتحليل يهتم **بالسؤال الأساسى وهو**: من يحصل على ماذا ومتى وكيف وبأى هدف؟ ولما كان الرأى العام يعتبر إحدى القوى والعوامل ذات التأثير في الحياة السياسية، ولما كانت الدراسات المختلفة للرأى العام لم تخرج لنا بنظرية متكاملة لهذه الدراسة فسوف يتركز منهج دراستنا حول المشكلة المركزية التالية:

"الرأى العام كقوة في مجال السياسة الداخلية والخارجية، وديناميكية تكوينه أو تغييره ثم الأثر الذي تحدثه وسائل الاتصال الجماهيرى والدعاية بالنسبة للرأى العام.

هـذا وسـوف تشمل دراسة الأثر الذي تحدثه وسائل الاتصال"عملية الاتـصال التـي عبر عنها لاسويل بشكل مبسط في السؤال التالي: من يقول ماذا وبأى وسيلة وإلى من وما هو الأثر المتوقع؟ مع بيان النقد والتعديل الذي قـام بـه الباحثون في هذا المجال (أنظر الصفحة التالية) وهو شرح مبسط لنموذج الاتصال الذي وضعه لاسويل.

وأخيـراً ينبغـى على دارس الموضوعات السياسية والإعلامية بصفة عامـة، أن يضع نصب عينيه العناصر التالية أثناء قراءاته واستيعابه للمادة كمحاولة لتنظيم التفكير والتحليل:

1- الافتراضـات الأساسية Basic Assumptions وهذه الافتراضات تشمل ما يلى:

الطبـيعة الإنـسانية Human nature طبـيعة المجتمع Society طبيعة الدولة State طبيعة العالم World المعاصر؟

النتيجة : نموذج استنباطي للتفكير Deductive

السؤال الأساسي	ماذا تعني كلمات السؤال	مجالات البحث
من Who ↓	المرسل Communicate	تحليل المصدر الذي يتحكم في عملية الإعلام Control analysis
يقول ماذا Says What ↓	الرسالة Message	تحليل مضمون الرسالة الإعلامية Content Analysis
وبأى وسيلة How ↓	الوسائل المطبوعة الراديو- التليفزيون Mass Media	تحليل الوسط الإعلامي Media Analysis
وإلى من To Whom ↓	الأشخاص الذين توجه إليهم الرسالة	تحليل الجمهور المستهدف بالرسالة الإعلامية Audience Analysis
وما هو الأثر With What effect	الأثر المتوقع حدوثه	تحليل الأثر المتوقع Effect Analysis تحت الظروف والعوامل المختلفة

نموذج تحليل عملية الاتصال كما وضعها لاسويل Lasswell

2- إطار البحث وعناصره:

المـــصالح الوطنـــية- الأهداف القومية- عناصر القوة المتاحة- طرق استخدام القوة وحدودها (السياسية- النفسية- الاقتصادية- العسكرية....)

النتيجة: السياسة التي يمكن اتباعها

3- الطريقة العلمية:

تحديـــد المشكلة وحصر الحقائق/ وضع الفروض Hypothesis/ تحليل المعلومات والحقائق مع تحقيقها أو تعديلها أو رفض الفرض نهائياً- محاولة الوصول إلى حل للمشكلة، مع وضع البدائل وأولوياتها.

كـــن حريـــصاً علـــى ألا تخلط بين آرائك الشخصية وما تتحيز لـــه Prejudices and Bias وبـــين الموضوعية Objectivity في البحث، يجب أن تكون محدد الاتجاه رغم عرضك لمختلف وجهات النظر المتعارضة.

الفصل الرابع

تكامل البحوث النوعية والكمية مع دراسة مقارنة للمقابلات والملاحظات ونماذج من مناهج البحث فى دراسات علوم الإعلام

أولاً: عن التعريف والمقارنة بين البحوث النوعية والكمية:

1/1 مقدمــة

يــذهب الباحث ارثر برجر (Berger,A.A.2000:13) إلى أن مصطلح "نوعى Quality" يعود إلى الجذور اللاتينية وهى Qualitas والتى تعنى "من أى نوع" Of What Kind وعندما جاء مصطلح النوع Quality فى نصوص دراســات الإعلام فإنها تتضمن جوانب مثل نوعيات وصفات النص Text's Properties وكــذلك درجة التميز والصفات المميزة بصفة عامة ... أى أن هناك عنصراً للتقييم والحكم والمذاق يرتبط بمصطلح النوعى.

أمــا مــصطلح الكمــى Quantity فتــرجع جذوره إلى الكلمة اللاتينية Quantitas والتى تعنى "مدى الضخامة How Great أو كم مقداره How Much.

وعــندما نفكر عن البحث الكمى فى دراسات الميديا والاتصال، فنحن نفكر فى الأعداد والحجم والقياس، أى أن الباحثين الكميين يقومون بعدّ أشياء معيــنة، ولــيس كل شىء، وواقع الأمر أن هناك أشياء لا يمكن وضعها فى التعبير الكمى وتحمل أهمية كبرى فى بعض البحوث.

وبالتالــى فإن الباحثين الذين يهتمون بالكم يتهمون بالكم يتهمون أحياناً بأنهم ضيقوا الجوانب، أى أنهم ضيقوا الجوانب المحصورة فيما يمكن عدّه أو قياسه أو ملاحظته، فى الوقت الذى يهملون فيه أشياء أخرى، كما أن الباحثين الذين يهتمون بالنوع أو الكيف وحده يتهمون بأنهم يقرءون داخل النص أشياء

ربمــا تكون غير موجودة، أو أن لهم آراء أو تفسيرات تبدو غريبة أو حتى فطــرية idiosyncratic (ومصطلح idios يعنى خاص private والتفسيرات الفطرية للميديا والنصوص هى تفسيرات شخصية تماماً)، وقد وضع الباحث أرثــر بيرجــر (Berger,A.2000:14) جــدولاً للمقارنة بين البحوث النوعية والكمية كما يلى ثم نماذج من الدراسات النوعية:

البحوث النوعية	البحوث الكمية
• تقيم • تستخدم مفاهيم للشرح • تركز على الجماليات فى النصوص • نظرية • تفسر • تؤدى إلى التقييم • يمكن مهاجمة ونقد التفسير	• تقوم بالعدّ والقياس • تقوم بتجهيز البيانات المجمعة • تركز على الأحداث فى النص • إحصائية • تصف وتشرح وتتنبأ • تؤدى إلى الفرض أو النظرية • يمكن نقد ومهاجمة المنهجية

ثــم أشــار بيرجر Berger إلى منشور وضعه قسم الدراسات النوعية لجمعية تعليم الصحافة والاتصال الجماهيرى.

Qualitative Studies Division of the association for Education in journalism and mass communication.

وكانت نماذج الدراسات النوعية كما يلى:

- الثقافة الشعبية .
- فلسفة الاتصالات.
- التحليل النصى والأدبى للمضمون الاتصالى.
- دراسات الأداء فى الاتصال الجماهيرى.
- الدراسات الإيديولوجية.
- نقد الميديا Media Criticism.
- العمل الامبيريقى والنظرى فى الدراسات الثقافية.
- إنتاج وتنظيم دراسات الاتصالات الجماهيرية

أما نماذج الدراسات المنهجية الكمية فتشمل التجارب وتحليل المضمون والمسوحات والاستبيانات والأساليب الفنية التى تؤدى إلى التطويع الاحصائى للحصول على المعلومات.

أى أن هـناك مدرستان فى الفكر البحثى لعلوم الإعلام إحداهما كمية والأخـرى نوعـية/ وإذا كانت المدرسة الأولى تركز على القياس والاختبار والـسببية وتقتـرب بذلك من القاعدة المعرفية للعلوم الطبيعية فإن المدرسة الثانية تركز على الوصف والتحليل وعلى دراسة الحالة بتعمق وعلى السياق العـام وتقـبل المواقـف الذاتـية للأفراد وتقترب بذلك من القاعدة المعرفية للإنـسانيات ولعل بحوث علوم الإعلام تعكس التكامل بين الاتجاهين الكمى والنوعى.

كمـا تبـرز هـنا مـشكلة المـصطلحات وبالذات مصطلح النوعية Qualitative حـيث يـرى بعـض الباحثـين أن هـناك تعارضاً زائفاً بين المـصطلحين النوعـى والكمى، ذلك لأن التعبير الكمى سيكون للخصائص النوعـية وأنـنا يمكن أن نصف شيئاً ما بأن له صفة نوعية أو كمية اعتماداً على كيفية اختيارنا لتمثيل هذا الشىء فى التعبير الرمزى Symbolism.

2/1 التميز بين البحوث النوعية والكمية:

1/2/1 طيف البحث بين الذاتية والموضوعية:

تـضم معظـم البحوث الاجتماعية -والتى يطلق عليها بحوث علمية- جـوانب نوعية وعناصر ذاتية Subjective عديدة، وحتى فى العلوم الطبيعية هـناك عناصـر ذاتـية تتصل باختيار العوامل الداخلة فى تصميم التجربة المحكـومة، وفـى بحـوث العلوم الحيوية والطبية هناك الملاحظة الحذرة والقـياس الـلازم للنبـضات القلبية ومعدل التنفس وضغط الدم وغيرها من العـوامل المتغيرة، .. وإذا كان الهدف من الدراسة فى المجالات السابقة هو الإنسان فإن ذلك يتطلب دخول بعض العناصر النوعية وغير المحكومة حتى

فـــى العلـــوم الطبيعـــية والحيوية الطبية.. ويلاحظ ذلك فى الارتفاع المؤقت لضغط دم المريض وتوتر أعصابه من الفحوص التى يتعرض لها، والتى قد تتأثـــر حتـــى بواسطة رؤيته للممرضة أو الطبيب المعالج الذى يأنس/ أولا يـــأنس إليه، كما يختلف تعبير المرضى عما يحسونه من آلام ومستويات هذا الألم ومواضعه.

وعلـــى كـــل حال فالبحوث الاجتماعية والإعلامية تهتم بنماذج سلوك الناس والتفاعل بينهم أو بين الناس والنظم أو الأشياء أو الحيوانات، وبالتالى فـــلا بـــد أن يكون الباحثون الاجتماعيون على استعداد دائم لشرح مبررات اســـتخدام الطرق النوعية والدفاع عنها وأن يكون الباحث على وعى مستمر بمزايا وسلبيات المدخل النوعى فى البحث.

2/2/1 طبيعة البحث النوعى وارتباطه بالعلاقات العامة واتصالات التسويق:

تلاحـــظ الباحثة كريستين ديومون (Daymon, Christine D.2002) فى دراستها عن البحث النوعى، أن له مميزات ثلاثة وهى:

أ- إذا كـــان هـــناك علـــى المستوى العالمى وجهتى نظر عن معظم بحوث الاتـــصال الإدارى، وهى التفسيرى والواقعى، فإن البحث النوعى عادة – وليس دائماً – يتصل بالجانب التفسيرى.

ب- هـــناك افتراضـــات (أو مـــسلمات) assumptions فلسفية عديدة ترتبط بالبحوث النوعية.

ج- يتميز البحث النوعى بصفات عديدة من بينها الطبيعة الذاتية.

د- هناك وعى متزايد فى العلاقات العامة المعاصرة بالحوار التعاونى والذى يحققه البحث النوعى.

وإذا كـــان البحث الكمى يركز على القياس والاختبار فإن البحث النوعى يركـــز علـــى المشاركين والعوامل الكامنة فى السياق، كما يطلق على البحث الكمى فى العلوم الاجتماعية "بحثا علمياً" لأنه عادة ما يتم فيه صياغة مشكلات بحثـــية فـــى شكل يصلح لاختبار الفرض، ويحاول التعرف على العلاقات بين المتغيرات وقياسها مع التقليل على قدر المستطاع من تدخل الباحث.

والفـــروق بـــين البيانات الملاحظة والمتوقعة تقدم للباحث القضايا ذات الدلالـــة الاحـــصائية. وتصميم ذلك يطلق عليه التصميم التجريبى، لأنه يشبه التجـــريب العلمى.. والتصميمات الأكثر تعقيداً تضم الاختبار القبلى والاختبار البعدى حيث يقوم الباحث بقياس التعرض القبلي والبعدي مع الميديا مع التحكم فـــى العوامل التى تحول بين التأثير الذاتى للباحث وبين التجربة الموضوعية، وواضـــح أن هذا التصميم البحثى لا ينطبق على جميع الظروف خصوصاً إذا كانت المتغيرات المتعلقة غير ممكنة القياس (Hannabuss, S.1995:6)

ويلخـــص جاميسون (Gummesson, E.1991) بعض الفروق الرئيسية بـــين هذين المسارين الكمى والنوعى حيث يسميهما الايجابى والهيرمانتيكى (Positivistic And Hermeneutic) حيث يركز المسار الايجابى على القواعد والشروط التى يمكن بواسطتها اكتشاف وشرح الظاهرة بطريقة موضوعية، مـــع تعريف المعرفة الصحيحة بمصطلحات علمية، أما المسار الهيرمانتيكى فـــيؤكد على الفهم والتصور Perception والفطرة Idiosyncrasy، فضلاً عن طـــرق المشاركين فى فهم التجربة وتصميمها، ويطلق على هذا المسار أيضاً مـــصطلحات أخـــرى مثل: الانسانى Humanistic أو الطبيعى Naturalistic مضيء Illuminative الاستكشافى Exploratory أو النوعى Qualitative.

ويرى الباحث جاميسون Gummesson أن المسار الايجابى Positivism يركـــز علـــى الوصـــف والشرح وعلى الدراسات ذات الإطار المحدد وعلى النظـــريات والفروض الواضحة Explicit فضلاً عن التمييز بين الحقائق والقيم وبين العقلانية والمنطق .

أمـــا الباحثة كريستين ديومون (Daymon, Christine, 2002) فترى أن الــبحث النوعى هو فى حقيقته تجمع متباين من الفلسفات والتقاليد التاريخية والمفاهيم المحددة والممارسات المفيدة.. وتضيف إلى ذلك أن البحث النوعى يميل إلى التركيز على التفسير أكثر من الشرح وعلى دراسات الحالة العميقة أكثـــر مـــن التركيز على حالات التحليل المحكومة العوامل، كما تركز على الوصف والتحليل أكثر مما تركز على اختبار الفروض الرسمية،وتركز على التقريـــر الروائـــى للنتائج اكثر مما تركز على تقديم التحليل الاحصائى، كما أنهـــا تركز على تقبل المشاركة الذاتية اكثر مما تسعى إلى الوصف والاتجاه الحيادى الموضوعى، وأنها تركز على الانتباه إلى تفرد السياق Uniqueness Of The Context مـــع سماحة تقبل تعدد مسارات المعرفة.. وعلى كل حال فهـــذه ليست قائمة حاصرة أو شاملة لخصائص البحث النوعى كما أن العديد من بحوث العلوم الاجتماعية ذات صفات مهجنة Hybrid فى طبيعتها أى أنها تتاح بالأساليب النوعية والكمية وبالتالى فإن محاولة عزل الدراسات النوعية يعتبر إجراء اصطناعياً.

وقـــد فـــصلت الباحثة كريستين دايمون (Daymon, C., 2002) البحوث النوعية كجزء من النظرة العالمية التفسيرية بالخصائص التالية:

3/1 – خصائص البحوث النوعية:

- **الكلمـــات** : تركز البحوث النوعية علي الكلمات وليس على الأرقام على الـــرغم مـــن أن الأرقام تستخدم أحياناً لبيان مدى التردد لموضوع محدد Theme فى النصوص .
- **اشـــتراك الباحث Researcher involvement** الأداة الرئيسية فى البحث النوعى هو الباحث الذى يشترك مع الجمهور الذى يقوم الباحث بدراسته، وهـــذا يخـــتلف عن البحث الكمى حيث يعتبر الباحث بعيداً عن الجمهور (حيث يستخدم المسح مثلا)..

- التفسير يتأثر بوجهة نظر المشاركين، أى أن تفسير البيانات يتأثر بوجهة نظـــر الـــباحث وتاريخ حياته بالإضافة إلى المشاركين من الجمهور فى الدراسة.

- **دراسات ذات نطاق صغير:**

يـــستخدم فـــى الدراسات الكيفية عادة عينات صغيرة لتزويدنا بوصف ثرى مفصل شمولى فضلاً عن الشرح.

- **المرونة:**

علـــى الـــرغم من أن الباحثين لديهم موضوع وتساؤلات تشغل البحث وتقدمه، إلا أن هذه البحوث تلتزم بمحاولة استكشاف طرق جديدة مثيرة.

- **الاستقراء ثم الاستنباط:**

تميل البحوث الكيفية إلى البدء بالتبرير الاستقرائىInduvtive Reasoning ثم عن طريق العمليات التتابعية تنتهى للتبرير الاستنباطى.

ثانياً: المقابلات وأنواعها وأسباب استخدمها

يـــتمكن الباحـــثون عن طريق المقابلة من الحصول على المعلومات التى لا يـــستطيعون الحصول عليها عن طريق الملاحظة وحدها، ويرى البعض أن مـــصطلح المقابلـــة يرد إلى المصطلح الفرنسى entrevue والذى يعنى أن ترى شخـــصاً آخر أو تقابله "أى أن هناك علاقة وجهاً لوجه عادة، وليس دائماً، ذلك لأن هناك بعض المقابلات التى تتم بالتليفون أو غيرها من الأساليب الالكترونية كالانترنت، فضلاً عن أن البعض يعرف المقابلة بأنها استبيان شفوى.

هـــذا وتستخدم المقابلات فى البحث بكثرة لا لتوضيح المعلومات عن المـــستجيبين ولكن للتعرف على أفكارهم بالنسبة للقضايا والمواقف المختلف علـــيها، أى أن المقابلات هامة فى التعرف على سلوك وخبرات المستجيبين فضلاً عن آرائهم وقيمهم ومعتقداتهم ومشاعرهم، وعادة ما ترتب الأدلة التى

يصل إليها الباحث من المقابلات فى نماذج من الإجابات كما يلى على سبيل المـثال لا الحصر: وجهات النظر التى يعبر عنها المستفيدون من المعلومات عـن جوانب الخدمة/ سلوك المستفيدين بالنسبة لأنماط إدارية معينة/ تأثيرات تقـديم الـتدريب على دافعية العاملين/ مواقف تعتبر عناصر ضاغطة على العامل/.. ومن اللازم فى هذا التقسيم السابق إظهار الأدلة المتعارضة.

كمـا أن هـناك بعض الأوقات التى يقول فيها المستجوب شيئاً ولكنه يحمـل معنى مضاداً من خلال نغمة مختلفة لحديثه أو اللغة التى يعبر بها.. ويضع بعض الباحثين أكواداً معينة لتسجيل الاتجاهات العامة أو ردود الفعل، حتى يساعد هذا الترتيب عند مرحلة التحليل.

وخلاصـة هذا كله أن البحوث النوعية عن طريق المقابلات والمناقشة الجماعـية لها أدوار متعددة، من بينها وضع خريطة لطبيعة المشكلة البحثية وتحديـدها .. أى أن الـبحوث النوعية ليست مجرد مقدمة للبحث الكمى أو معاونـة لتفسير نتائجه، بل تعتبر البحوث النوعية قائمة بذاتها كطريقة بحثية رئيـسية، فـإذا أردت الكشف عن التفاعل الاجتماعى والاستجابات المتعددة فيمكنك استخدام المناقشات الجماعية، وإذا أردت التعرف بعمق على الحالات التاريخية أو ردود الفعل أو الدوافع الفردية فيمكنك استخدام المقابلات.

1/2 البحوث التليفونية وتكنولوجيا المعلومات الحديثة وبعض جوانبها النوعية:

تعتبر المقابلات التليفونية وجماعات المناقشة والاستبيانات والدراسات التـى تـتم عبر البريد الالكترونى ومن خلال الانترنت .. هذه تعتبر جوانب جديدة فى البحوث المسحية.

فهـناك زيـادة هائلـة فـى عدد التليفونات بالمنازل فضلاً عن أنواع التلـيفونات الأخرى المحمولة والمرئية وغيرها.. وهذه تقدم لنا طريقة فاعلة من ناحية الاقتصاد فى الوقت والتكاليف مع الاتصال بعينات ضخمة منتشرة

جغــرافياً خــصوصاً مع استخدام نظم المقابلة التليفونية بالاستعانة بالحاسب الآلـــى CATI Computer Aided Telephone Interviewing كمــا عاونــت الانتــرنت (خصوصاً عن طريق البريد الإلكترونى) فى إجراء بحوث المسح بسرعة هائلة.

هــذا ويعتبــر معظـــم الناس أن المقابلات والاستبيانات التى تتم عبر تكنولوجيا المعلومات المعاصرة هى بالضرورة بحوث كمية، ولكنها فى واقع الأمر يمكن أن تكون نوعية وكمية فى نفس الوقت حسب متطلبات موضوع البحث وحسب مهارات المقابلة والاستبيان حتى لا تكون الأسئلة مجرد أسئلة سطحية تقتصر على سؤال وإجابة (خطأ) أو (صواب).

وإذا كانـــت الأسئلة التى يستخدمها الباحث بواسطة تكنولوجيا المعلومات والاتـــصالات الحديـــثة يفـــضل أن تكون أسئلة قصيرة و بسيطة، يمكن فهمها بـــسرعة.. الخ فهذه تعتبر فى نفس الوقت واحدة من عيوبها.. إلا أن لها مزايا أخـــرى عديـــدة تتمـــثل فى الاقتصاد فى الوقت والتكاليف وكذلك عدم التأثر بشخص القائم بالمقابلة (فى شكله وسلوكه وجنسه وسنه وغيرها من العوامل).

2/2 أنواع المقابلات

تقـــسم بعض الباحثين (Berger ,A.A,2000:111) المقابلات إلى أربعة أنواع وهى:

أ- المقابلات غير الرسمية Informal Interviews

وتـــتم هـــذه المقابلات دون رقابة أو تنظيم أى أنها تتم تلقائياً وهى فى جوهـــرها محادثـــات تخدم فى كسب ثقة الآخرين الذين ستتم إجراء المقابلة معهم.

ب-المقابلات غير المقننة Unstructed interviews

وهـــذه تـــتم بحـــيث لا يمـــارس الـــباحث إلا رقابة قليلة نسبياً على المستجوبين.

ج- المقابلات شبه المقننة Semistructional

ويكـــون مـــع القـــائم بالمقابلـــة عادة قائمة مكتوبة من الأسئلة لسؤال المـــستجوبين، للحفـــاظ علـــى النوعية السببية الموجودة فى المقابلات غير المقنـــنة، هذا وتعتبر الجماعات البؤرية Focus groups المستخدمة بكثرة فى بحـــوث التسويق مقابلات شبه مقننة وتعتبر الجماعات البؤرية شكلا حرا من المناقشات بواسطة جماعة من الناس يقودها منظم أو وسيط Moderator.

د- المقابلات المقننة:

فـــى هـــذا الـــنوع من المقابلات يستخدم الباحث مجموعة محددة من التعلـــيمات التـــى ترشـــد القائمين على المقابلات التى تسعى للحصول على إجابـــات علـــى الأسئلة المحددة، كما يعتبر أسلوب المقابلة عنصر هاماً من بحوث المسح.

3/2 أسباب استخدام المقابلات:

إذا كنا نحصل على المعلومات عن الناس عن طريق ملاحظتهم وعن طريق سؤالهم عما يفعلون ثم عن طريق تحليل النصوص التى ينتجها الناس (وهـــذا هـــو تحلـــيل المـــضمون الذى سنتناوله فيما بعد)، وإذا لم يكن لدنيا الفرصـــة لملاحظة الناس لفترة طويلة، فإننا لا نستطيع أن نعرف كثيراً عن أنشطتهم السابقة وتاريخهم .. ولكننا نستطيع اكتشاف ذلك بسؤالهم عنها.

كما نستطيع أن نتعرف على أفكار الناس وآرائهم واتجاهاتهم ودوافعهم عن طريق سؤالهم الأسئلة السليمة وقد أشار الباحث برجر (Berger, A. A., 2000 :113) إلـــى الجـــدول التالى الذى يوضح بعض الفروق بين الملاحظة والمقابلة كما يلى:

الملاحظة	المقابلة
الحاضر	الماضى والحاضر
الأفعال	الاتجاهات
السياق	الدوافع
الرؤيا	الاستماع وسبر الباطن probing

ويمكـــن اســـتخدام كـــل مـــن الملاحظة والمقابلة فى نفس الوقت، فالملاحظة تعطينا أحساساً بالسياق ولكنها لا تساعدنا فى الوصول إلى أعماق الناس لفهم أسباب قيامهم بأشياء معينة، أى ما هى دوافعهم وما يقلقهم.

ولعـــل أهـــم ميزة للمقابلة هى إمكانية تسجيل المقابلات أى أننا سنخرج سجلاً مكتوبًا ولعله مرئى أيضاً يمكن تحليله بالتفصيل فيما بعد، فضلا عن أننا فى النهاية نكتسب بالمقابلة قدراً من التحليل النفسى، أى أن القائم بالمقابلة يمكن أن يـــستخرج من المستجوب أموراً ومعلومات لا يعرفها عن المستجوب، وقد وضـــع برجـــر Berger بعـــض المـــبادئ الأساسية فى كيفية إجراء المقابلة الإعلامـــية منها اكتساب ثقة المستجوب ودقة السجل المكتوب بتاريخه ومكانه واســـم الشخص المستجوب فضلاً عن ضرورة تحديد المصطلحات المستخدمة مـــع الاهتمام الاساسى بعدم الخروج عن الموضوع وأن تكون الأسئلة واضحة محددة لا تحتمل التأويل والتفسير .. ويتم هذا كله بناء على قيام القائم بالمقابلة بالإعداد الجيد لأسئلته قبل المقابلة، مع الابتعاد عن إعطاء أحكام تقيميه.. ولكن لابد أيضاً من تسجيل ملاحظات جانبية أخرى عن حالة المستجوب العصبية أو أنه كان فى حالة اطمئنان واسترخاء Relax.

وفى النهاية لابد من الاشارة إلى أن إجراء المقابلات ليس أمراً يسيراً، ذلك لأنه يحتاج إلى نشاط متعدد (فى التسجيل المكتوب أو المرئى وفى نسخه وتكويده) ،كما يجب الحذر من عدم التعميم نتيجة المقابلات ولكنها فريدة فى إمكانية الدخول فى أفكار المستجوب واتجاهاته.. وإذا ما تمت المقابلة بنجاح فهو نشاط عالى الأهمية ويقدم مكتسبات ربما لا تتحقق بالوسائل الأخرى.

ثالثاً: المبادئ التى ينبغى مراعاتها اثناء المقابلة

1. كـــسب ثقـــة الشخص الذى تجرى معه المحادثة لضمان تعاونه فى الرد على الأسئلة.

2. وضوح الأسئلة حتى تشجع المستجوب على أن يعبر عن اتجاهاته بحرية تامـــة (أى أن تـــشمل اسئله مفتوحة ومقفلة) . ومن الضرورى أيضاً أن يسيطر المقابل على المناقشة حتى لا يخرج المستجوب عن الموضوع.
3. يجــب أن تتم المقابلة فى وقت ملائم .. وألا تكون فى حضور أشخاص آخرين قد يتدخلون فى الإجابة، أو قد يتحرج المستجوب فى التعبير عن رأيه بصراحة أمامهم.
4. يجــب ألا تـــزيد المقـــابلات مع نفس الأفراد عن مرتين فى العام، حتى نتجـــنب العينة المتحيزة (Biased) وسنعود لمناقشة ذلك عند الحديث عن طريقة أسلوب القياس التكرارى.
5. يميل الأشخاص عادة إلى الإجابة بصراحة أكثر على الأسئلة التى يلقيها عليهم أشخاص آخرون من نفس طبقتهم أو جماعتهم. ولذا فمن المفضل اختـــيار الـــشخص الـــذى يقوم بالمقابلة اختياراً سليماً كما يفضل ألا يتم تـــسجيل بيانات المقابلة أثناء المقابلة ذاتها، بل بعدها مباشرة وذلك حتى يكون المستجوب منطلقاً ومنبسطاً وحراً أثناء المقابلة.

رابعاً: بعض النتائج المتصلة بالبحوث الكمية والمقابلات:

1. تـــتطلب مـــشكلات بحوث علوم الإعلام منهجية متعددة الجوانب كما أن هناك تكاملاً فى المسارين النوعى والكمى لهذه البحوث.
2. هـــناك ميل شديد نحو الأساليب الكمية كطريقة وحيدة فى بعض الأحيان للدراســـات الإعلامية كما يعكس الإنتاج الفكرى وعياً قليلاً جداً بالمناهج النوعية التى طبقت على مدى عقود عديدة فى العلوم الاجتماعية.
3. تهتم بحوث علوم الإعلام – كجزء من العلوم الاجتماعية– بنماذج سلوك الـــناس والـــتفاعل بيـــنهم أو بين الناس والنظم، وبالتالى فلابد أن يكون الباحـــثون علـــى اســـتعداد دائم لشرح مبررات استخدام الطرق النوعية

والـــدفاع عـــنها وأن يكـــون الباحث على وعى مستمر بمزايا وسلبيات المدخل النوعى.

4. يركـــز الـــبحث الكمى (الإيجابى) على القياس والاختبار ويركز البحث النوعى (الهيرمانتيكى) على المشاركين والعوامل الكامنة فى السياق.
5. تعتبـــر المقابلات التليفونية وجماعات المناقشة والاستبيانات والدراسات التى تتم عبر البريد الاليكترونى ومن خلال الانترنت، تعتبر هذه جوانب جديـــدة فى البحوث المسحية الكمية، ويمكن أن تكون أيضاً نوعية وكمية فى نفس الوقت حسب متطلبات موضوع البحث.

خامساً: الملاحظة والبحث النوعى

تلعـــب الملاحظـــة دوراً هاماً فى البحث النوعى، سواء على المستوى الجماهيرى أو على مستوى التحكم المعملى، هذه وتتراوح أساليب الملاحظة مـــن الملاحظـــة المقـــنعة Covert Observation إلـــى ملاحظـــة المشاركة Participant، والقـــائم بالملاحظـــة بالمشاركة يلعب دوراً فيها، فقد يكون هو نفـــسه المـــستفيد يسأل أسئلة معينة أو يسلك سلوكاً معيناً ثم يلاحظ رد فعل الآخـــرين علـــيه، وأن كان بعض الباحثين يرون النوع الأخير من الملاحظة لا يضمن الحيادية فى النتائج.

هـــذا وتعتبر الملاحظة بالمشاركة عملية استطلاع غير مباشرة للرأى، فهـــى أقـــرب إلـــى الأســـلوب العلمـــى التجريبى. كما تعتمد على ملاحظة الانفعالات والتصرفات والحركات والنبرات والإشارات والهمسات وغير ذلك ممـــا يـــؤدى معنـــى... وهـــى تتم بالتدوين السريع والتسجيل الأمين للرأى وللأسلوب الذى يستخدم فى التعبير عنه وملابساته.

والـذين يقومـون باسـتطلاع الـرأى بطريقة الملاحظة بصفة عامة يتـصلون مباشـرة بالـناس فـى أماكن العمل والالتقاء كالنوادى والمقاهى والسينما والمساجد والكنائس والقطارات وغيرها.

وتكتب البيانات.. ثم تتولى جهة استطلاع الرأى العام فحصها وتبويبها واستخلاص نتائجها. ويجب ألا يكون التدوين في وقت بعيد عن وقت إجراء الملاحظة ذاتها.

وتزداد قيمة الملاحظة كطريقة من طرق البحث فى الحالات التى يزيد فـيها احـتمال مقاومـة الأفراد لما يوجه لهم من أسئلة، أو عدم تعاونهم مع الـباحث أثـناء المقابلـة، وعلى كل حال فتكاليف طريقة الملاحظة أقل من تكاليف غيرها من الأساليب.

وكثيـراً ما تعتبر التقارير التى يكتبها الصحفيون تقارير غير صحيحة بـل ومـضللة.. وذلـك إذا بنيت على عينة غير ممثلة أو إذا اعتمدت على ملاحظـات عابـرة أو انطباعات وتحيزات شخصية أو غير ذلك من أخطاء الأداة (Instrument Errors) التى يمكن أن يرتكبها الصحفى.

ومع ذلك فمن الممكن ملاحظة الناس بطريقة أخرى منظمة ومستمرة.. وذلك للحصول على بيانات لا يتم التعبير عنها بشكل إحصائى.. ولكنها تعتبر بـيانات صـحيحة وموثـوق بها، كتلك التى يتم الحصول عليها عن طريق الاقتراع أو قياس الاتجاه .

سادساً: الملاحظة النظامية والملاحظة الجماهيرية فى قياس الرأى العام

ويـرى كثيـر مـن الباحثـين أن الملاحظـة النظامـية (Systematic Observation) وخصوصاً تلك التى يشترك فيها الباحث والمستجوب فى خبرات مـشتركة- مـن شـأنها أن تقدم للباحث بيانات عن الرأى العام فى مضمونه السياسى والاجتماعى Political and Social Context . وللتقليل من خطأ التحيز

الشخصى فإن إعداد تقارير -موثوق بها- يمكن أن يتحقق عندما يشترك عدد من الباحثين فى موضوع معين، ثم تقارن نتائج الانطباعات الخاصة لأكثر من باحث واحد للمسألة موضوع الدراسة وهكذا.

وهناك طريقة أخرى لقياس الرأى العام تسمى طريقة الملاحظة الجماهيرية Mass Observation وتتلخص هذه الطريقة فى تعيين ملاحظين ميدانيين متفرغين، ينتشرون فى أماكن متفرقة ومحددة فى الدولة.. وبالإضافة إلى ما يقوم به هؤلاء الملاحظون من مقابلات عادية (Interviews) فإنهم ينغمسون مع الناس فى الأماكن العامة، حيث يلاحظون ويسجلون المناقشات التى تدور بين الناس وكذلك الحوادث والشعائر الدينية والاحتفالات ورسوم الحائط وغيرها من المعلومات التى تتصل بقنوات تكوين الرأى Channels of Opinion Forming ويقوم هؤلاء الملاحظون كذلك بتسجيل ردود فعل الناس بالنسبة لمسائل محددة. وبعض هؤلاء الملاحظين يحتفظون بمفكرات Diaries يبعثون بها فى نهاية مدة معينة إلى المكتب المركزى الذى يتولى فحصها ومعاملتها إحصائياً.

وتظهر النتائج بشكل إحصائى ولكن الأرقام تكون مصحوبة عادة بتعليق كيفى "Qualitative Statement" يكتبه الملاحظون أنفسهم. وهناك طريقة أخرى تعتمد على الملاحظة المباشرة "Direct Observation" ويجب الإشارة إليها كذلك. فمن الممكن تحت ظروف معينة الوصول إلى استنتاجات تتعلق بالرأى العام عن طريق تحليل مضمون وسائل الاتصال، أى أن تحليل محتوى وسائل الإعلام يمكن أن يستخدم كوسيلة لقياس الرأى العام، خصوصاً فيما يتعلق بالرأى العام الأجنبى، وقد عمدت الحكومات أثناء الحرب العالمية الثانية إلى تحليل محتوى صحف وإذاعات العدو للتعرف على اتجاهات الرأى العام.

ومــن الواضــح أن الاعتماد على الصحف والإذاعات المحلية للعدو، للتعرف على اتجاهات الرأى العام- أمر فيه مخاطرة كبيرة خصوصاً والعدو نفــسه يعلــم أن صــحفه وإذاعاته تتعرض للتحليل والتفسير من قبل الجانب المعــادى له. وعلى ذلك فالعدو يتحكم عن طريق الرقابة- فى أساليب أخرى للتــضليل والتمويه. كما أن المقالات والأخبار الصحفية لا تعتبر دائماً مرآه للــرأى العام. وذلك لأن الصحف لا تعكس اتجاهات الجماهير فحسب .. بل تؤثر الصحف كذلك فى هذه الاتجاهات...

وأخيــراً فيدخل فى نطاق الملاحظة النظامية طريقة أخرى تعتبر ذات أهمــية لقياس الرأى العام فى المجتمعات الديمقراطية، خصوصاً أثناء السلم، وهى طريقة تحليل الشائعات المتداولة . ذلك لأن الشائعات تعتبر كشافات لما يعتبره الناس أموراً لها أهميتها، كما أنها تعكس المشاكل والمواقف والمسائل الغامــضة بالنــسبة للجمهور سواء تم انتشار هذه الشائعات عن قصد أو عن غير قصد (All port, Gordon,1947,ch.2.).

وعلــى كــل حــال فيرى معظم خبراء الرأى العام أن طريقة تجميع الشائعات وتحليلها تؤدى إلى كثير من الالتباس وعدم الدقة فى النتائج.وكل ما يصل إليه البحث من وراء ذلك هو مجرد الحدس والتخمين.

لــذا يــرى هؤلاء الخبراء أن تقتصر هذه الطريقة -بما تؤدى إليه من الحدس والتخمين- على بيانات الرأى العام الخاصة بالعدو أثناء الحرب حيث تكون هذه المعلومات والبيانات غير متوافرة بالقدر الكافى.

وإذا كــان الحديث السابق.. قد تركز على طريقة الملاحظة، كأسلوب للتعــرف علــى الرأى العام، فينبغى ألا ننسى الدور الأساسى الذى يقوم به ملاحــظ الميدان Field Observer الذى يجب أن تتوافر فيه كثير من الصفات الشخــصية التــى تجعلــه قادراً على القيام بوظيفته على الوجه الأكمل. هذا بالإضافة إلى ضرورة إحاطته بخطة البحث العلمى وفروضه وأدواته وطرق اختيار العينات وطرق تحليل وتفسير النتائج وشروط المقابلة والملاحظة. كما

ينبغى أن يكون لديه الدافع القوى للقيام بمهمته والإحساس بأهمية النتائج التى يصل إليها.

وأخيراً فإن نجاح ملاحظ الميدان يعتمد على خبرته وتدريبه. وكثيراً ما يـتم تـدريب ملاحـظ المـيدان عن طريق تمثيل الأدوار، أى أن يقوم أحد ملاحظـى المـيدان بتمثيل دور المتحدث إليه فيما يقوم ملاحظ آخر بإجراء الملاحظة فى حين يقوم باقى الملاحظين بالمشاهدة.

سابعاً: الملاحظة بالمشاركة participant Observation

1/7 تعريف ومتطلبات:

تعتبـر الملاحظـة بالمشاركة أسلوباً بحثيا كيفيا، يمدنا بإمكانية دراسة الـناس فى المواقف الحياتية الفعلية، أى أنه اسلوب يجعل الباحث يغوص فى البـيانات ويتعلم الكثير عن موقف معين نظراً لتواجده وحضوره مع الناس، هـذا وتعتبـر الملاحظـة بالمشاركة شكلاً من أشكال البحث الميدانى، وكما يعكـسه الاسم نفسه فإن الباحث سيشارك فى الجماعة أو المنظمة التى يقوم بدراستها، وعلى الباحث أن يوازن بين دورين هامين وهما أن يكون الباحث مـشارك وأن يكون ملاحظاً.. على ألا يفقد هويته وموضوعيته فى الدراسة، أى أن الـباحث مشارك بالملاحظة وكملاحظ بالمشاركة، وفى الحالة الأولى هو جزء وظيفى Functional فى الجماعة، يستمتع بالفهم القريب من السياق Context بالإضـافة إلى الدور الإضافى كملاحظ ومسجل، أما الحالة الثانية كملاحـظ بالمـشاركة فالمقصود هنا هو أن يكون الباحث كملاحظ خارجى محايد، الذى أعطى مزية المشاركة بغرض تسجيل بعض الملاحظات ، وفيما يلى بعض الاشياء التى نأمل فى اكتشافها عن طريق الملاحظة بالمشاركة:

- أين يفعل الناس ما يقومون به من أنشطة؟
- ماهى الأفكار العامة والخلفية المعرفية التى يمتلكها الناس؟
- ماذا يفعل الناس؟

- من الذى يفعل ماذا ولمن؟
- من الذى يبدأ بالفعل ومن الذى يتفاعل معه وكيف؟
- لماذا يفعل الناس بالناس؟
- متى (وما هى عدد مرات) القيام بهذا العمل؟
- ما طول الزمن الذى يستغرقونه فى هذا العمل؟

2/7 ما هى المتطلبات التى يجب أن يتبناها القائم بالملاحظة المشاركة؟

- هناك بعض المتطلبات المسبقة لجميع الملاحظين بالمشاركة وهى أن الباحث يجب أن ينال ثقة الأشخاص الذين يقوم بدراستهم وأن وجوده لا يمثل لهم إلا أقل التدخل، ومن الأهمية بمكان أن يزوده المبحوثون بالاستجابات الأمينة وألا يخفوا أنشطة أو اتجاهات أساسية.
- الملاحظ بالمشاركة يعتمد بالتالى على المهارة فى العلاقة المتبادلة مع الأشخاص المفحوصين، فضلا عن مقدرته على قراءة ما بداخلهم.
- لابد من تعرف الباحث على المشاركين فى الملاحظة التى يقوم بها، وما عددهم وما هى علاقتهم بعضهم ببعض، ومن الأهمية بمكان معرفة وتسجيل البيانات الديموجرافية عنهم (كالعمر والجنس والوظيفة...)

3/7 ماهى اهم المشكلات المتصلة بالملاحظة المشاركة وما هى مزايا هذه الدراسات؟

من بين المشكلات الهامة التى يضعها الباحث أمام عينية هى:

- استحالة دراسة كل شىء أى أن الباحث يجب أن يركز Focus على شىء محدد.
- وجود أفراد ضمن الجماعة المفحوصة ممن يؤثرون على سلوك الجماعة وهل وجودك كملاحظ بالمشاركة يغير الطريقة التى يتعامل بها أفراد الجماعة مع بعضهم؟

- مشكلة قراءة ما فى عقول الذين نلاحظهم بالمشاركة، كما يجب الحذر أن نفترض بأن تفسيراتنا لسلوك بعض الأشخاص هى ما يعنيه هؤلاء الأفراد بهذا السلوك؟

وإحدى طرق تجنب الخطأ فى قراءة العقول، هى أن نوجه إليهم الأسئلة عن قيامهم بفعل شيء معين والمقارنة بين أقوالهم وأفعالهم أما من ناحية **مزايا دراسات الملاحظة بالمشاركة فيمكن الإشارة لما يلى:**

- الملاحظة بالمشاركة تساعد فى فهم ما يجرى داخل جماعات معينة نقوم بدراستها، فالعيش مع الجماعة سيجعلك ترى أشياء لم تكن ظاهرة أو واضحة أمامك، وعقولنا تبحث باستمرار عن المعنى، وهذا المعنى ندركه بفهم العلاقات والنماذج، والملاحظة المنهجية بالمشاركة للجماعات تساعدنا على اكتشاف هذه النماذج والعلاقات.
- تساعدنا الملاحظة بالمشاركة على تحديد الأسئلة التى يجب سؤالها للمشاركين معك، والإجابات على هذه الأسئلة هى التى تفتح أمامك خبايا أفكارهم.

4/7 خلاصة:

الملاحظة بالمشاركة واحدة من أهم أشكال البحث الواسعة الانتشار، ولكنها واحدة من أكثر الأشكال صعوبة، لأن هناك صعوبة فى استخراج المطلوب للبحث والموجود فى أعماق الناس، كما أن الاتصال بين الأفراد وعلاقاتهم بعضهم ببعض أمور فى غاية التعقيد، والملاحظة بالمشاركة تتم فى الأحوال الطبيعية (وليست الأحوال المحكومة المعملية) وبالتالى الحصول على معلومات عما يفعل الناس بالمقارنة بما يقولون إنهم يفعلون.

ويذهب الباحث بيرجر (Berger, A.A 2000: 170) إلى أننا يمكن أن نستخدم نفس الطرق فى الملاحظة بالمشاركة فى تحليل نصوص الميديا

الجماهيــرية كما هو الحال بالنسبة للإعلان أو الفيلم عن مستشفى أو رواية علمية Science Fiction.

ثامناً: أسلوب القياس التكرارى: Panel Technique

يتــضمن أسلوب القياس التكرارى -كأسلوب للبحث- تكرار المقابلات مــع نفــس مجمــوعة الأشخاص. والأشخاص الذين يشتركون فى الدراسة يعــرفون بأعضاء الحلقة Panel Members أما العملية كلها فقد أصبح اسمها أسلوب القياس التكرارى Panel Technique (Berelson,B,645-53).

وإذا كانــت مراكــز قياســات الــرأى العــام تحذر القائمــين بالمقابلة (Interviewers) مــن القــيام بالمقابلات مع نفس الأشخاص أكثر من مرة أو مــرتين فــى العام -حتى لا تكون العينة متحيزة بعد كثرة المقابلات- كما أن الأســلوب التكرارى ينقض هذه القاعدة عن عمد.. أى أن الأسلوب التكرارى يتطلب تصميم عينة ممثلة ثم يشجعها على التعاون مع المقابل، على أن تتكرر المقابلة مع نفس الأشخاص بعد ذلك. ويتضح ذلك فى الدراسات التالية:

1- دراسة آثار Effects حدث أو أحداث معينة على الرأى العام:

وذلــك كدراســة الآثــار التــى تحدثها الحملات الإعلامية أو الدعاية الانتخابية أو الجهود الإعلانية على الرأى العام.

وربمــا يقــول قائل: إذا كنا نريد أن نتعرف على تاثير حملة انتخابية معينة فما علينا إلا أن نقوم بالمقابلة Interview مع جماعة معينة قبل الحملة الانتخابــية، ثــم نقــوم بمقابلة أخرى مع جماعة أخرى مماثلة بعد الحملة. وبمقارنــة اتجاهات (Trends) الجماعتين يمكن أن نستنتج أن الرأى العام قد تغير أم لم يتغير نتيجة لهذه الحملة.

وتعتبر هذه الدراسة الأخيرة بالغة الأهمية والقيمة ... ولكنها تعرف بدراسات تطور الاتجاه (Trend Studies)، أى أنها تدلنا على التأثير النهائى (Net Impact) للأحــداث علــى الــرأى العام . أما فى الأسلوب التكرارى

(Panel) فـيمكن تحديـد الأشخاص الذين بقوا ثابتين أو غيروا آراءهم بعد المقـابلات المتكررة، كما يمكن معرفة أسباب الثبات والتغيير ودور وسائل الإعلام فى هذا التغيير.

وعلـى ذلـك فـإذا وضـعنا مجموعة من الأشخاص تحت الملاحظة المتكـررة، فإنـه يمكنـنا أن نـسجل التغيـرات التى تحدث فى اتجاهاتهم وانـتماءاتهم وعـاداتهم وتوقعاتهم، ونستطيع كذلك أن نميز بين الاتجاهات الأكثـر أصالة More Basic وبالتالى الأكثر ثباتا ورسوخا، وبين الاتجاهات الأكثر سطحية وتعرضا للتغيير.

دراسـة الأشـخاص وهم تحت تأثير الضغوط المتعارضة: Cross Pressures وذلـك للوصـول إلى تحليل دقيق.. وفهم أكثر واقعية لأسباب التغييـر الاجتماعى، ولشرح هذه المشكلة الأخيرة.. يمكن أن نقول بأن كل واحـد منا، يتعرض لهذه الضغوط المتعارضة بشكل من الأشكال فى حياته اليومـية. أى أن الفـرد منا– إزاء واقعة جديدة– يمكن أن يكون حائراً أو موزع النفس بين عاملين: عامل أصيل فى ذاته يدعوه لاتخاذ موقف معين، وعامـل آخـر مـتعارض مع العامل الأصلى يدعوه لاتخاذ موقف آخر. والمثال التالى يوضح الموضوع:

إذا تقـدم حـزبان للانتخابات مثلاً كل منهما يدعو لمرشح معين، فإن المـواطن الـذى ينتمى إلى أحد هذين الحزبين ولكنه يفضل انتخاب مرشح الحـزب الآخـر– يقع تحت ما يسمى بالضغوط المتعارضة. ذلك لأنه يريد الدفاع عن الموقف الأصلى وهو انتخاب مرشح الحزب الذى ينتمى هو إليه، وانتخاب مرشح الحزب المعارض الذى يعبر عن الموقف الجديد.

ومميـزات الأسـلوب التكرارى تتمثل فى التوفير المالى... ذلك لأن المقابـل سوف لا ينفق وقته فى تأمين العينة، كما أن المكتب المركزى ليس فـى حاجـة إلى الاهتمام بدرجة تمثيل الإجابات التى يتسلمها من المقابلين، نظـراً لتأكده من الصفة التمثيلية للجماعة. ويصبح المقابل بالتدريج مستوعباً

لشخـــصيات المقابلـــين، وهذه المعرفة يمكن أن تساعده وأن تساعد المكتب المركزى فى تقييم وتفسير نتائج البحث.

ولكـــن للأســـلوب التكـــرار بعض العيوب.. ومنها: أن بعض أعضاء الجماعـــة يتركونها لأسباب مختلفة. وعلى ذلك فينبغى لمدير البحث أن يبدأ دراسته بعينة أكبر كثيراً مما يحتاجه حتى يتبقى عند نهاية المسح عدد كاف.

أما العيب الأهم للأسلوب التكرارى.. فهو عيب يتصل بنتائجه النفسية. فـــسيزيد وعى وتنبيه الأشخاص الذين يتوقعون إعادة المقابلة معهم -وبالتالى فـــسيحاولون فـــى الفتـــرة التى تفصل بين المقابلة الأولى والثانية، اكتشاف الأســـباب وراء معتقداتهم وآرائهم لأنهم يعرفون أنهم سيستجوبون بعد ذلك. وربمـــا أدى ذلـــك إلى إجابات ثابتة لنفس السؤال. ومعنى ذلك أنهم يخفون التغييرات الحقيقة فى الاتجاه.

وقـــد يعمد هؤلاء إلى بذل جهود لزيادة معلوماتهم بقراءة الصحيفة أو المجلة أو الاستماع بعناية أكبر لبعض برامج الإذاعة.. وهكذا وباختصار فإن الأســـلوب التكرارى الذى يبدأ بعينة ممثلة للسكان يمكن أن يصبح غير ممثل من الجهة النفسية لاتجاهاتهم، وذلك لأن الناس ليسوا مثل العناصر الكيميائية التـــى تتأثر بأدوات القياس بطريقة ثابتة يمكن التنبؤ بها. فالناس يتفاعلون مع أداة القـــياس ذاتها، أى مع المقابلين. مما يؤثر على الثقة والصحة فى نتائج المسح.

وهـــناك عـــيب ثالـــث وهو يتمثل فى الصعوبة البالغة لعملية التحليل الاحـــصائى لجـــداول الأســـلوب التكـــرارى. ومازالت الاساليب الإحصائية الصحيحة المتعلقة فى حاجة إلى التطوير والتقنين.

ويـــذهب المؤيدون للأسلوب التكرارى بعد هذا كله إلى القول بأن هذه العـــيوب مـــبالغ فيها، وأن مزايا الأسلوب تزيد على عيوبه.. خصوصاً مع

استخدام عينات ضابطة أخرى للتعرف على مدى تأثر مجموعة الاسلوب التكرارى بالمقابلات المتكررة.

وبهذا الشكل نستطيع أن نصل إلى إجراء عملية تصحيح متتالية.. بإضافة نتائج العينة الضابطة لنتائج المجموعة التجريبية، كما أن مجموعة الأسلوب التكرارى يمكن أن تعيش لفترة غير محدودة مع إحلال أفراد آخرين فى المجموعة فى فترات منتظمة.

تاسعاً: قياسات الاتجاهات المتدرجة Attitude Scales

أكثر الطرق دقة فى قياس الرأى العام هى طريقة استخدام الاتجاهات المتدرجة، وما يميز هذه الطريقة عن غيرها من طرق قياس الرأى العام لا يرجع إلى أن الأشخاص يؤشرون بالقلم مثلاً، بدلاً من بيان الإجابة الشفوية على الاسئلة المطروحة -ذلك لأن أساليب المسح والقياس الأخرى يمكن أن تتم كتابة وأحياناً بالبطاقات أو الاستمارات التى ترسل بالبريد- ولكن ما يميز هذه الطريقة عن سواها هى أن مختبر الاتجاه Attutude Tester يسعى للحصول على قياس كمى للدرجة التى يحتفظ بها الشخص أو مجموعة من الأشخاص باتجاه معين.

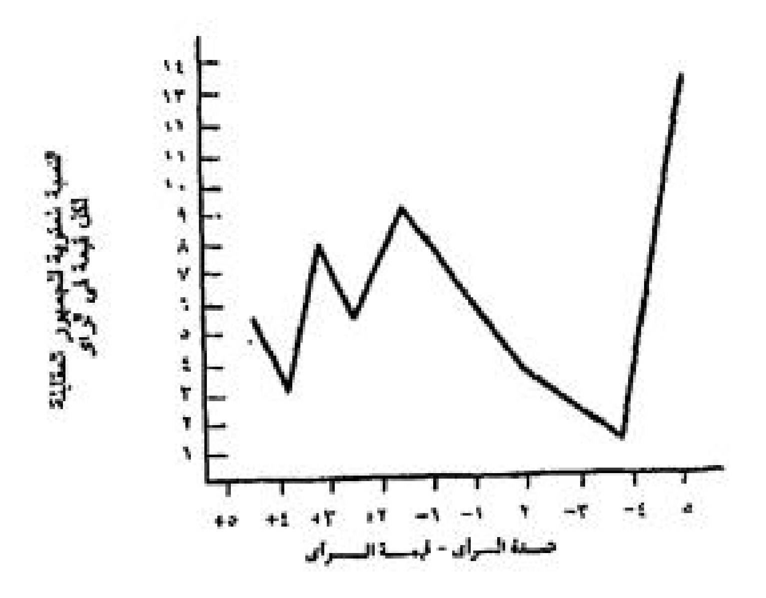
والاتجاه المدرج يشبه إلى حد كبير مجموعة الأسئلة Battery of Questions الموجودة على استمارة الاستبيان أو الاستطلاع. ولكن الاتجاه المدرج يختلف عن الاستمارة المذكورة بشموله لعدد أكبر من الأسئلة التى لم يتم اختيارها مسبقاً فحسب بل تم تدريجها كذلك... أو يمكن تدريجها فى وقت لاحق.

ويهدف الاتجاه المدرج إلى قياس الاستجابة داخل الشخص، كما يحاول القياس التعرف على العلاقة بين اتجاه الشخص واتجاه مشابه داخل أشخاص آخرين فى نفس اللحظة.. أو داخل نفس الشخص فى فترات زمنية مختلفة. وبواسطة طريقة الوزن Weighting يستطيع الباحث أن يضع قيما رقمية [من رقم (1) إلى رقم (11) مثلاً] لكل جواب. ويتم الحصول على إجمالى

المعلــومات Total Score للــشخص على الاتجاه المدرج، عن طريق إضافة القيم الرقمية الدالة على إجاباته على كل الأسئلة المطروحة.

وقــد طــور ثورستون Thurstone هذه الطريقة. ولكن ليكرت Likert نقدها، خصوصاً بالنسبة للجهد والوقت المبذولين فيها وإمكانية الحصول على نفس النتائج بعدد أقل من الأسئلة والأحكام.

ومــن بــين تطبــيقات هذه الطريقة شدة التأييد أو المعارضة للزعامة الــسياسية، فقــد قام المعهد الأمريكى للرأى العام (AIPO) عام 1953 بسؤال عيــنة ممــثلة للسكان عن رايها فى ماكارثى Senator McCarthy واستخدم المعهــد المذكور بطاقة خاصة لبيان شدة التأييد أو المعارضة.. حيث أوضح المقابلون للأشخاص المشتركين فى العينة أو البطاقة التى تحتوى على عشرة مــربعات تتــراوح بين المكان الأعلى، ويتمثل بالرقم +5 (ويدل على التأييد بدرجــة كبيــرة) والمكــان الأدنى ويتمثل بالرقم −5 (ويدل على المعارضة بدرجة كبيرة) ... ثم طلب من المستحيين أن يؤشروا على المربع الذى يمثل رأيهم فى ماكارثى . وكانت النتيجة هى الشكل البيانى التالى:



شدة التأييد والمعارضة للزعيم السياسى

Ref : (AIPO 6/24/53)

ولدينــا هــنا حالـــة من أقلية تتصف بالشدة فى الرأى ضد ماكارثى، وأغلبية غير مبالية نسبياً.. ولكن الفرق بين هذه وتلك فى الحجم والشدة ليس كبيراً للغاية ويوضح ذلك فى الجدول التالى:

القيمة	النسبة عند كل قيمة		المجموع	متوسط علامات الشدة
5	6			
4	4			
3	9		أغلبية تؤيد	2.7 أغلبية
2	6		مكارثى	
1	10		35%	
-1	7			
-2	4		أقلية ضد	3.4 أقلية
-3	3		مكارثى	
-4	2		30%	
-5	14			
لا رأى له	35			

عاشراً : نماذج من مناهج البحث فى بحوث الاتصال الجماهيرى: إحصاء شامل لثمانى دوريات فى مجال علوم الإعلام بين عامى 1990 -2000م .

قام الباحث كريج ترومبو (Trumbo, Craig,2004) بتحليل مناهج البحث المـــستخدمة فى بحوث الاتصال الجماهيرى وكان مجموع المداخل (2.649) مـــدخل مـــن ثمان دوريات مشهورة فى المجال، وذلك للتعرف على المناهج النوعـــية والكمية والبؤرات البحثية وطرق تجميع البيانات ومصادرها فضلاً عن البحوث التى تجمع بين المناهج الكمية والنوعية، حيث أظهرت الدراسة (60) للكمـــى وعدد (40) للنوعى، كما يلاحظ أن نصف هذه الدراسات هى دراسات نظرية وفيما يلى رسم تخطيطى لعناوين الموضوعات واسم الدورية وبـــياناتها البيليوجـــرافية وذلـــك أمام كل منهج مطبق، حيث قام مؤلف هذا الكـــتاب الـــذى بين أيدينا باختيار عدد (28) مقال ذات علاقة بالبيئة العربية وذلك كما يلى:

البيـــــــان	تحليل المضمون	الملاحظة	المنهج المسح	المنهج التجريبى
1. تتبع مصادر معلومات التلوث : اختبار مسحى وتجريبى للسياسة الإعلانية. Journalism& Mass Communication.v.72(1995),178.89.			√	√
2. تأثير تحليل برامج التليفزيون مع إتباع حوار بوسن دوكاكيس الأول. Journalism Qnarterly. v.67(1990),814-25.	√			√
3. تمثيل الجنس فى قاعة المدينة الالكترونية وتبنى النساء فى سانتا مونيكا. J.Broascasting and electronic media, v.37(1993)49-65.			√	
4. تأثير قيم التليفزيون فى الحياة المحلية للبرازيل Journal of communication,v.4,1991 70-87		√	√	
5. إشباع التليفون للرغبات الاجتماعية لأهل المنزل Communication Research,v.21(1994) 643-41		√	√	
6. استخدام الموظفين الموقتين والمديرين فى بيئة حكومية محلية Communication Res,v.24(1997),695-730.		√	√	
7. رؤية الأخبار التليفزيونية بواسطة كبار السن Journalism Quaterly,v.67(1990) 137-41		√	√	
8. كيف يتعرف التليفزيون المحلى على الأخبار. Journalin Quaterly. v.7(1990) 672-83.		√	√	
9. أفلام الفيديو: هل ترى كأفلام أو كتليفزيون Journalism Quarterly ,v.68(1991),120-30.		√	√	
10. دراسة عن آراء الإعلانات Journalism and Mass communicatin Quarterly 7.77(2000) , 292-307.		√	√	
11. السلالات أخبار التليفزيون السوفيتى Journal of Communication,v.41(1991), 150-61		√		
12. الصحفيون الذين ماتوا أو قتلوا فى أدائهم للمهنة : دراسة فى الصحافة العالمية 1982-1989. Journalism Quarterly, v.68 (1991),195-99		√		
13. الثبات والتغيير فى وكالات الأنباء الخمسة الكبرى Journalism Quarterly, v.70 (1993), 40-50		√		
14. تليفزيون الاشتراك فى العالم الثالث: التجربة المغربية Journal of Communication, v.41(1991) ,26-39	√	√		
15. كيف يصف الصحفيون حكاياتهم : الفروض والافتراضات فى صناعة الأخبار. Journalism Quarterly, V.67 (1990), 295-301	√	√		
16. بحوث الاتصال الجماهيرى فى أمريكا اللاتينية Journalism Quarterly,v.67(1990),1015-1024	√	√		
17. استيراد الأخبار الأجنبية: دراسة حالة للخدمات الألمانية للاسدشنيد برس. Journalism Quarterly,v.70 (1994) , 421-32	√	√		
18. صفحات المرأة أو صفحات الناس: إنتاج الأخبار للنساء فى واشنطن بوسط فى الخمسينيات. Journalism and mass communication quarterly v.73 (1996),364-78	√	√		

البيـــــــان	تحليل المضمون	الملاحظة	المنهج المسح	المنهج التجريبى
19. نمــوذج اتــصال نوعــى مصمم بين الأشخاص: تحليل النظرية الراسخة grounded. Human Communication Research, v.25 (1999),531-47	√			
20. الصحافة الامريكية وانخفاض تقرير الأحداث Journal of communication, v.47(1997), 27-53	√			
21. تغطية التليفزيون للانتخابات 1968-1978 Jouual of communication , v.42 (1992), 5-24	√			
22. سياسات حماية الأطفال من العنف بالتليفزيون Journal of communication ,v.46 (1996),116-38	√			
23. بناء العنصرية والعنف فى تغطية الأخبار الأمريكية Journal of communication ,v.41 (1991) , 8-23	√			
24. بناء العنصرية والعنف فى تغطية الأخبار الأمريكية Jouual of communication, v.41 (1991),58-74	√			
25. المـــراجعات الببليوجرافية فى نشر التحليل الاقتصادى فى الإنتاج الفكرى الاتصالى Journalism Quarterly, v.68 (1991),663-71	√			
26. مؤتمـــر الأخـــبار: كـيف يقوم محررو الجريدة اليومية بتصميم الصفحة الأولى. Journalism uarterly, v.69 (1992),971-86	√			
27. الخبـــراء والانحـــيازات الإجرائية فى أخبار التليفزيون : دراسة حالة فى حرب الخليج. Journalism and Mass Commuication Quarterly v.72 (1995), 799-812	√			
28. صورة الولايات المتحدة فى الرسوم الكارتونية السياسية السوفيتية. Journalism and Mass Commuication Querterly v.73 (1996),609-619	√			

تعليقات ومناقشات:

استخدمت فى هذا النموذج الدوريات التالية ومرات استخدامها كما يلى:

1- Journalism Quarterly .29	(11) مرة
2- Journal of Commnication .30	(8) مرات
3- Journalism and mass Communication Quarterly .31	(5) مرات
4-Commuaication Research .32	(2) مرتان
5- Journal of Broadcasting and electronic Media .33	(1) مرة
6- Human Communication Research .34	(1) مرة
	المجموع (28)

- لقد أصبحت المكتبات الإعلامية المعاصرة مكتبات الكترونية وهذه المكتبات إلى جانب قواعد البيانات وشبكة الانترنت تقدم للباحثين الإتاحة للمواد مهما كان موقعها، كما أن المكتبة نفسها تحتوى على مصادر مرجعية ذات أهمية قصوى فى التعرف على الخلفيات العلمية الضرورية (الموسوعات) وعلى المراجع الدالة على معانى المصطلحات (القواميس) وعلى المراجع الدالة على الأماكن (الأطالس) وعلى المراجع الدالة على تاريخ حياة الناس (البيوجرافيا).
- وقد أصبحت معظم هذه المصادر المرجعية المطبوعة تظهر فى الشكل الالكترونى مع المطبوع أو فى الشكل الالكترونى وحده.
- فى النموذج السابق الذى اخترنا منه (28) دورية ذات اتصال بالمشكلات العربية، لاحظنا أن الباحث قد اختار فى الأصل في البحث (60) مقال، وبعض هذه المقالات تشمل مدخلين الكمى والنوعى، كما يلاحظ مثلاً أن المقال الأول (رقم 1) قد استخدم منهجين هما المسحى والتجريبى أما المقال الثانى (رقم 2) فقد استخدم منهجين أيضاً هما التجريبى وتحليل المحتوى وهكذا.
- اعتبرت الملاحظة في هذه الدراسة منهجاً وليس مجرد أداة لتجميع البيانات.

الفصل الخامس

منهج التحليل التاريخى

أولاً: ماذا نقصد بالتاريخ وما موقعه بين التخصصات العلمية؟

عــندما نفكــر فــى التاريخ فنحن نفكر فى دراسات الماضى وبالتالى فالــتاريخ يــتحدث عن الماضى، أى أننا لابد أن نعتمد فى التحليل التاريخى على الوثائق والمواد الأخرى، أما إذا كنا نتعامل مع التاريخ الحديث، فيمكننا اســتخدام المقابلــة للحصول على المعلومات المطلوبة، أما حين نتعامل مع الــتاريخ القديم فنحن نستعين بالكتب والمقالات والتسجيلات والأعمال الفنية وغيرها من المواد التى يمكن أن تحصل منها على المعلومات.

وإذا مــا توفرت المصادر الكثيرة، فنحن لابد أن نختار منها المصادر ذات العلاقــة وذات الأهمية بناء على بعض مفاهيم النظرية التى ترشدنا إلى ذلــك، فعلماء التاريخ لا يعيدون بناء الماضى عند التحليل التاريخى ولكنهم يفسرون الأحداث طبقاً للدليل.

هــذا وقــد رأينا التاريخ مرتبطا بموضوعات محددة، فتاريخ الفلسفة يكتــبها الفلاســفة وتــاريخ العلم يكتبه العلماء وهكذا، ولكن ماذا عن تعليم الطــلاب ليكونوا مؤرخين Historians، هل نعلمهم منهجية معينة أو نتركهم ليتخصــصوا فــى أى مجــال ثم نعلمهم المنهج التحليلى التاريخى؟ وهناك مشكلات فى كل من المدخلين، يشير إليها برجر (Berger, A.2000:131) فى الجدول التالى:

التاريخ كتخصص وسيط	التاريخ كموضوع متخصص
- يقوم الطالب بدراسة التاريخ	- يقوم الطالب بدراسة مجال تخصصى معين
- يمكن أن يتناول مختلف المجالات	- يتناول فقط مجاله التخصصى
- قد تنقصه المعرفة	- قد ينقصه الأسلوب المنهجى

هــذا ويعود مصطلح البحث الوثائقى إلى النشاطات العلمية، التى يقوم بها الطالب الباحث لتعلم الحقائق والمبادئ الجديدة، عن طريق دراسة الوثائق والمسجلات Records. وعلى الرغم من أن هذا النوع من البحوث، يمكن أن يــستخدم فى جميع المجالات الأكاديمية، إلا أنه ذو أهمية خاصة فى دراسة الــتاريخ والآداب واللغــات والإنسانيات على وجه العموم.. ويستخدم علماء التاريخ هذه الطريقة بشكل ثابت، مما أدى إلى تسميتها فى كثير من الأحيان بالمنهج التاريخي Historical Method.

وينبغــى أن نــشير فــى هذا المجال إلى أن التاريخ ليس مجرد قائمة بالأحــداث فى ترتيبها الزمنى، إنه السجل الدال على إنجازات الإنسان.. إنه رواية حقيقية متماسكة للعلاقات بين الأشخاص والأحداث والزمان والمكان.

والناس يستخدمون التاريخ لفهم الماضى.. ومحاولة فهم الحاضر على ضــوء الأحــداث والتطورات الماضية .. ويمكن أن يوجه التحليل التاريخي نحــو شخص معين، نحو فكرة، نحو حركة، أو نحو مؤسسة أو هيئة معينة، ومــع ذلــك فــلا يمكن أن يعامل كل واحد من هذه الجوانب فى عزلة عن الجانــب الآخر.. فلا يمكن مثلا أن تخضع شخصاً ما للبحث التاريخى، دون اعتبار لتفاعله مع الأفكار والحركات والمؤسسات القائمة فى عصره.. وتحدد الــبؤرة (وهــى الشخص الذى تخضعه للبحث فى هذا الحالة) نقطة التركيز فقط، التى يوجه إليها باحث التاريخ انتباهه.

وعلــى الرغم من أن البحث التاريخى ذو أهمية بالغة فى فحص أحداث الماضــى (فى الواقع هذا النوع من البحث هو الطريقة العملية الوحيدة) إلا أن البحث التاريخى يمكن استخدامه كذلك بشكل مفيد فى دراسة الأمور الجارية.. وعلــى سبيل المثال، فقد استطاع اخصائيو الشفرة والكتابة السرية الأمريكيون (American Cryptographers) أن يــستعينوا بطرق البحث الوثائقى لحل شفرة العدو وبالتالى ترجمة رسالاته العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية.. أى أننا لا ينبغى أن نعتبر البحث الوثائقى محدوداً بالدراسات التاريخية..

وربمـــا تعتبــر هــذه الطــريقة التــي تتصل بتجميع وتحليل البيانات والمعلومات أقدم شكل من أشكال البحث الحقيقي.. ولقد استخدمها المؤرخون الـيونان القـدماء.. واسـتخدمها أرسـطو فى دراسته عن الدراما والشعر اليونانى.. ولقد طرأ على هذه الطريقة الوثائقية الكثير من التنقيح فى العصر الحـديث.. وبالتالـــي أصبحت أكثر دقة عما كانت عليه أيام الفلاسفة وعلماء التاريخ فى زمن اليونان..

ويتــضمن الــبحث التاريخى بصفة أساسية وضع الأدلة المأخوذة من الوثائـــق والمــسجلات- مـــع بعضها بطريقة منطقية .. والاعتماد على هذه الأدلة فى تكوين النتائج التى تؤسس حقائق جديدة أو تقدم تعميمات سليمة عن الأحداث الماضية أو الحاضرة أو عن الدوافع والصفات والأفكار الإنسانية.

وعلـــى الـــرغم مـــن أن هذه العملية مطبقة بطريقة أشمل فيما يتعلق بالوثائـــق الإنسانية، إلا أنها يمكن أن تكون مفيدة أيضاً في دراسة التسجيلات Records- غيـــر الإنسانية - ذات الأشكال المتعددة .. ففى الجيولوجيا مثلا يمكـــن دراسة تطور الأرض عن طريق تجميع ودراسة الصخور والحفريات مـــن الطـــبقات المخـــتلفة. فالوثائـــق التى يتم فحصها فى هذه الحالة ليست مـــسجلات مكتوبة أو حتى آثاراً ومخلفات للنشاط الإنسانى.. فهذه المسجلات هـــي مجرد حقائق طبيعية تمثل سجلاً للأحداث، يمكن ملاحظته، كما تتصف هـــذه الحقائـــق بالاستمرار والدوام إلى حد كبير، فالحفريات نفسها تدلنا على حـــياة مـــا قبل التاريخ، بطريقة أفضل وأكثر أصالة مما يمكن أن نتعلمه من المسجلات المكتوبة (Written records) مهما كانت كاملة ودقيقة.

وقـــبل أن نتـــناول كيفـــية دراسة التاريخ فيمكن أن نتساءل أولاً لماذا ندرس التاريخ أصلاً؟ .. إن الإجابة على ذلك تتصل برغبة الإنسان فى التعلم . وسواء كانت هناك فائدة أو قيمة عملية من دراسة التاريخ الإنسانى المسجل (أو عـــصور ما قبل التاريخ) أو لم تكن هناك قيمة فعلية.. فإن معظمنا يهتم بالتعلم والتأمل فى الأحداث الماضية.

إن حــب الاستطلاع إذن، سيزودنا بتبرير كاف على أية حال بالنسبة للدراســة الوثائقــية، ومع ذلك فيبدو أن هذه الوسيلة تمدنا ببعض التعميمات Generalizations – بناء على الأحداث الماضية– والتى يمكن أن ترشدنا فى سـلوكنا الحاضــر.. هــذا فضلاً عن أن الأفكار والاتجاهات الجارية تبدو مفهومة بطرقة أفضل عندما نتعرف على أصولها والخطوات التى تمت خلال عملية النمو..

ومعنى ذلك أن الوثائق لا تعتبر ذات قيمة أثرية فحسب، ولكنها تعطينا قــوة متــزايدة لفهــم الطبــيعة وفهم أنفسنا.. ونحن ندرس سجلات الماضى والحاضــر لفهمهــا واكتــشاف الحقائق منها وكذلك لنعلم أشياء وحقائق عن مؤلفــيها وواضــعيها (فى حالة المسجلات الإنسانية) . وأخيراً فنحن ندرس الوثائق للوصول إلى التعميمات (الفروض أو النتائج) عنها.

ثانياً: نشاط الباحث التاريخى ومدى اقترابه من العلم

يبنــى المؤرخــين دراســتهم على الحقائق أو ما يعتقدون أنها حقائق، ولكــنهم بالقطــع لــن يستطيعوا كتابة الجوانب التاريخية كلها اعتمادًا على الحقائــق فقط، ذلك لأنهم يقومون باختيار الحقائق والأحداث التى يعتبرونها ذات دلالــة أكثر من غيرها، وبالتالى فهناك عنصر التفسير، وهذا ما يفرق أحدهما عن الآخر ويجعل من عملهم دراسة ذاتية.

ومــع ذلــك فمــن الملاحــظ أن المؤرخــين يركزون اهتمامهم على الأشــخاص السياسيين والعسكريين، ولا يعيرون اهتماماً "للناس العاديين" أو الحــياة العاديــة أو الجــوانب الثقافية أو الفنية .. فهذه بالنسبة لهم تبدو أقل أهمــية، ومن هنا فدراسة التاريخ تشمل كلا من الموضوعية العلمية والذاتية فــى اختــيار الجــوانب التــى يقومون بدراساتها وعلى الرغم من أن هناك اختلاف فى الرأى حول نشاطات الباحث التاريخى وهل تعتبر جهوده علمية

أم لا؟ وهل هناك شيء اسمه البحث التاريخى؟ ويمكن أن نعرض وجهة نظر أولئك الذين يتخذون الموقف السلبى نحو البحث التاريخى فى البنود التالية:

1. علـــى الـــرغم من أن غرض العلم هو التنبؤ .. فإن البحث التاريخى لا يستطيع دائماً أن يعمم Generalize على أساس الأحداث السابقة. ذلك لأن الأحـــداث الـــسابقة كانـــت غالباً غير مخططة أو أنها لم تتطور كما هو مخطـــط لها، لأن هناك عوامل أخرى كثيرة لا يمكن التحكم فيها، وكذلك لأن تأثير واحد أو عدد قليل من الأشخاص كان حاسما.. وعلى ذلك فإن نفس النموذج بما يشمل من عوامل سوف لا يتكرر أبداً.
2. يعتمد الباحث التاريخى بالضرورة على الملاحظات التى يبديها الآخرون وغالـــباً مـــا يـــشك فـــى نـــزاهة وكفاءة هؤلاء الشهود نظراً لتحيزاتهم الشخـــصية.. ومعنى ذلك باختصار أن الموضوعية فى البحث التاريخى أمر مشكوك فيه..
3. أن الـــباحث التاريخـــى يـــشبه كثيراً ذلك الشخص الذى يحاول استكمال "ألغاز الصور المقطوعة" jig-saw puzzle حيث لا توجد أجزاء كثيرة من تلـــك الصور.. وعلى اساس الدليل غير الكامل.. فيجب على الباحث إذن أن يملأ الفراغات باستنتاج ما حدث وسبب حدوثه.
4. أن الـــتاريخ لا يعمـــل فـــى نظام مقفل.. مثل ما يحدث فى معمل العلوم الطبيعـــية، فالباحث التاريخى لا يستطيع أن يتحكم فى ظروف الملاحظة ولا يستطيع تناول المتغيرات ذات الأهمية والدلالة.

أمـــا أولئك الذين يعتبرون أن البحث التاريخى له بعض صفات البحث العلمى فيعتمدون على المبررات التالية:

1. يحدد عالم التاريخ مشكلة معينة للبحث، ويضع الفروض أو الأسئلة التى تتطلب إجابة عليها، وهو يجمع ويحلل البيانات والمعلومات الأولية وهو

يختبــر الفــرض حتى يثبت اتفاقه أو عدم اتفاقه مع الدليل .. وهو يضع أخيراً التعميميات والنتائج.

2. علــى الرغم من أن عالم التاريخ قد لا يكون قد شهد حدثاً معينا، كما أنه لم يجمع بياناته مباشرة فى كثير من الأحيان ومع ذلك فلديه شهادة العديد مــن الــشهود الــذين حضروا الحدث ورأوه من مختلف جوانبه.. ومن الممكــن أن تــزودنا الأحــداث التالــية بمعلومات إضافية غير متوفرة للمــشاهدين المعاصــرين.. فعالم التاريخ إذن يخضع دليله بشدة للتحليل النقدى وذلك للتعرف على أصالته وصدقه ودقته.

3. عندما يقرأ عالم التاريخ نتائجه فإنه يستخدم قواعد الاحتمالات المتشابهة لتلك التى يستخدمها علماء العلوم الطبيعة..

4. علــى الرغم من أن عالم التاريخ لا يستطيع التحكم فى المتغيرات بصفة مباشرة، فإن هذا العيب ليس قاصراً على المنهج التاريخى، بل هو يميز الــبحوث الــسلوكية كلهــا خــصوصاً تلك التى لا تستخدم فيها البحوث المعملــية المحكومة، وذلك مثل الاجتماع والإعلام والسياسة وعلم النفس الاجتماعى والاقتصاد وغيرها.

وعلــى كــل حــال .. فــإن أكثر العوامل التى تحد من فعالية المنهج التاريخــى، هــو أنــه "غيــر مباشر" Indirect أى أنه يجب أن يعتمد على المصادر الأخرى. والطريقة أو المنهج الوثائقى هو منهج نقدى .. وبالتالى. فــإن المــصادر معرضة للنقد الخارجى والداخلى .. والنقد الخارجى يتصل بأصــالة الوثــيقة أى بــشكلها وبمظهرها.. ولكن النقد الداخلى يتعلق بمعنى الوثيقة ودرجة إتصالها بالحقيقة.

إن تفــسير المسجلات هو النقطة المركزية فى البحث الوثائقى .. ولما كانت هذه المسجلات والوثائق هائلة الحجم أحياناً .. فينبغى على الباحث أن

يـتعلم طـريقة المعايـنة وحسن الاختيار منها، حتى يستوفى البحث أركان الدراسة من جوانبها المختلفة..

ثالثاً: أسئلة البحث فى الدراسات التاريخية:

وضع الباحث ارثر بيرجر (Berger, A.A.2000:139) التساءلات التالية:

1. هـل تـستطيع تضيق بؤرة البحث: حتى تستطيع أن تتناولها فى الوقت المسموح به وبالعمق الكافى.
2. هل تستطيع العثور على المصادر الأولية والثانوية المتعلقة:

علـى الرغم من اهتمامك الواضح بالموضوع، إلا أنك ربما لا تكون قـادراً علـى الحصول على المصادر المطلوبة حتى من الانترنت، وبالتالى فلابـد مـن اختيار موضوع لبحثك له مصادر أولية (كالتسجيلات والبيانات والمقـابلات والإحصائيات) والمصادر الثانوية (كالمقالات والكتب التى كتبها باحثون معروفون)

3. **هـل مصادرك موثوق بها:** جميع المشتغلين بالبحوث التاريخية يواجهون مـشكلة مدى الثقة فى المصادر، فبعض الناس يكذبون فى إجابتهم أثناء المقـابلات أى عـند التعبير عن آرائهم، وإحدى طرق معالجة ذلك هو العثور على مصادر أخرى تؤيد ما ذهب إليه هؤلاء.
4. **هـل أهل الثقة الذين تستشهد بهم موثوق فيهم؟** لقد سبقت الإشارة إلى أن المؤرخين لا يتفقون مع بعضهم، وبالتالى فيفضل العثور على مصادر أخرى تؤيد أو تنفى ما ذهب إليه هؤلاء المؤرخون.
5. **ما هى المفاهيم أو نظرية التاريخ التى تستخدمها؟** عندما تكتب التاريخ فلابـد من وجود مبدأ منظم يدلك على المواد الجيدة الصحيحة والأخرى الزائفة أو المتحيزة، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد كانت هناك بعض المـبادئ المـنظمة فى كتابات المؤرخين مثل: التاريخ هو سجل التقدم،

التاريخ هو دراسة صراع الطبقات، التاريخ هو قصة الزعماء والقادة العسكريين، التاريخ هو دراسة الحياة اليومية ... الخ.

رابعاً: أنواع الدليل التاريخى:

هناك مصادر أو أدلة أولية وأخرى ثانوية، والمصادر الأولية هى تلك المعاصرة للحدث أو الشخص أى أنها أقرب ما يمكن للحدث.. أما المصادر أو الدليل الثانوى فهو غير المعاصر للأحداث أى أنه ليس هناك حلقة مباشرة بينه وبين الحدث.. وعلى الرغم من أن الدليل الأولى هو أساس البحث الوثائقى والتاريخى.. إلا أن الدليل الثانوى قد يكون له نفس أهمية الدليل الأولى. هذا وتتجمع البيانات والمعلومات فى البحث الوثائقى من مصادر عديدة منها:

1- المدونات والوثائق الرسمية:

وهذه يمكن أن تشمل المسجلات الشرعية (التى تصدرها المحاكم مثلاً) القوانين وغيرها من الأحكام التشريعية ومضابط الاجتماعات والتقارير الإدارية (كالتقرير الرسمى لمؤسسة حكومية أو مدير جامعة لمجلس الجامعة.. الخ) تقارير اللجان فى المنظمات والنوادى المختلفة، التقارير السنوية، الشهادات الشرعية الخاصة بالأفراد (العقود والاتفاقات) أو التى تمنحهم قوة معينة على أفراد أو جماعات آخرين (كالاجازات والمواثيق .. الخ) وغير ذلك من الوثائق المشابهة التى تدل على القرارات والأعمال الرسمية .. وهذه الوثائق تشكل من غير شك مصادر للمعلومات الدقيقة نظراً لحرص الجهات الرسمية على دقة هذه الوثائق واكتمالها وحفظها بعناية.

2- التقارير الصحفية:

على الرغم من أن هذه التقارير لا تكون دائماً دقيقة فى التفاصيل التى تنشرها (وحتى الحقائق يمكن أن تفسرها أو تعرضها بأكثر من طريقة

واحـــدة) ، فـــإن هـــذه التقارير – خصوصاً تلك التى تنشر فى الصحفية أو الـــصحف المحترمة- تزودنا عادة بالحقائق الضرورية، وتعتبر سجلا دائماً للأحداث التى تحدث يوما بعد يوم فى العالم..

وتزداد أهمية الصحف كمصادر للمعلومات،عندما لا تكون هناك رقابة علـــيها فـــى البلد الذى تصدر فيه، ومع الرقابة تصبح الصحف مجرد وسط إعلامـــى للدعايـــة الرســـمية حيث تميل نحو التحيز السياسى أو الاقتصادى وتتشكل الافتتاحيات وكتابات التحرير طبقاً لذلك.. ولكن يجب على كل حال أن نميـــز بـــين التقرير الحقيقى والتعبير عن الرأى (كما هو الحال فى مقال رئـــيس تحريـــر إحـــدى المجلات) .. ومن الواضح أن الصحف والمجلات لا تكون بدقة واكتمال المصادر الرسمية أو العلماء.. وعلى ذلك فعلى الباحث أن يستخدم الصحف والمجلات عند عدم توفر المسجلات الرسمية..

3- تقارير شهود العيان عن الأحداث:

إذا لـــم يـــستطع الباحث أن يشهد الأحداث بنفسه (وهذا ما سوف يحدث عادة خصوصاً فيما يتعلق بالقضايا التاريخية)، فإن وجود أحد الأشخاص الذين شـــهدوا الأحـــداث يعتبر مصدراً للمعلومات مرغوباً فيه.. وتأخذ هذه الشهادة الشكل الشفوى (عندما يتحدث الباحث مع الشاهد) أو تأخذ شكلاً مكتوباً...

ونظـــراً لعـــدم الاطمئنان إلى الذاكرة الإنسانية، فإن شهادة شاهد عيان "مكـــتوبة" وقـــت الأحداث نفسها سوف تكون أكثر ثقة من محاولة الشخص تذكـــر الأحـــداث بعـــد مضى وقت طويل عليها.. أى أن التقرير أو السجل المكتوب يبدو عادة أكثر مدعاة للثقة من التقرير الشفوى.. وإن كان ذلك ليس صحيحاً على إطلاقه.

4- المصادر الشخصية (كالرسائل والمفكرات):

يفترض أن الأوراق الشخصية كالرسائل والمفكرات لم يكتبها أصحابها بغـــرض النشر، وعلى ذلك فهى تكشف معلومات عن الأحداث أكثر تفصيلاً وصـــراحة مما تفعله الوثائق والمسجلات العامة. وهذه البيانات والمعلومات التـــى يـــستقيها الـــباحث من الكتابات الشخصية، تعتبر ذات أهمية فى عمل الدراسات البيوجرافية (تاريخ الأشخاص)..

5- المذكرات والتراجم: Biographies, autobiographies and memoirs

وهـــذه المـــصادر – إذا كانـــت موثوقاً فيها– تكون مفيدة فى مراجعة الحقائق المتوفرة فعلا عن حياة الشخص، ولكن هذه المصادر نادراً ما تؤسس حقائـــق جديـــدة.. ومن المفضل من غير شكل الاستعانة بالمصادر المباشرة والأصـــلية (كما ذكرنا مسبقاً) إذا أمكن الحصول عليها.. كما أن المعلومات المنـــشورة فى قصة حياة الأشخاص الذين تهمنا مذكراتهم يمكن أن تفيد فى تتبع نمو وتأثير بعض الحركات أو الأفكار التاريخية، إن حياة وأفكار الرجال الـــذين وضعوا الدساتير الأولى فى حياة الأمة، أو أولئك الذين قاموا بالثورة الوطنـــية– لهـــا أهمـــية بالغة فى الدراسات السياسية والإعلامية والتاريخية وغيرها..

6- الدراسات الوصفية التى تمت فى وقت سابق:

إذا لـــم يكن بالإمكان تكرار نفس الدراسات العلمية التى تمت فى وقت مـــسبق (مثل القيام بتجارب أو دراسات مسحية)، فإن هذه الدراسات تصبح مـــصدراً وثائقـــياً للمعلومات .. وتقرير الدراسة يستخدم بنفس الطريقة التى تستخدم بها أى وثيقة تاريخية أخرى.

7- الكتابات الأدبية والفلسفية:

إن الإنـــتاج الأدبـــى كالأشعار والروايات والمسرحيات والمقالات .. يمكــن أن تزودنا بالمعلومات عن الأحداث الفعلية.. ولكن الباحث يميل غالباً إلى فحص هذا الإنتاج بالنسبة للأفكار التى تحتويها.. وفى الدراسات الأدبية واللغوية فإن الكتابات نفسها قد تشكل المصدر الضرورى الحقيقى الوحيد عن البيانات والمعلومات..

8- البقايا الأثرية والجيولوجية:

وعلـــى الـــرغم مـــن أن هذه المسجلات لا تعتبر وثائق كالمسجلات المكـــتوبة إلا أن البقايا الجيولوجية تؤدى نفس الغرض فى البحث التاريخى.. فهى تدرس بنفس الطريقة وهى تكشف عن بيانات تستخدم فى تكوين النتائج والفروض.

9- متنوعات وأعمال أخرى: Miscellaneoius

وهـــذه تشمل الأعمال الفنية والموسيقية والآثار والمخلفات وغيرها من مصادر المعلومات المختلفة التى تعتبر مصادر وثائقية هامة فى أنواع معينة من البحوث أو فى حالة عدم وجود معلومات وبيانات أخرى..

إن العمـــل الرئيسى الذى يواجه الباحث الذى يقوم بحل مشكلة تتطلب الدليل الوثائقى، هو تحديد واختيار الوثائق نفسها.. وهذه الوثائق قد لا تكون ســـهلة المنال وتحتاج إلى عمل وصبر عظيمين لاكتشافها والحصول عليها. والمشكلة التى تتضمن البحث الوثائقى، لا يمكن حلها دون فحص المواد التى تحتوى على الدليل الضرورى.

خامساً: أهمية المصادر الأولية :

من الأمور المتفق عليها أن الباحث لا ينبغى أبداً أن يستخدم نسخة من إحـــدى الوثائـــق إذا كان باستطاعته أن يرى الأصل.. وعلى الرغم من أن

صـــورة الوثـــيقة (إذا أحـــسن تصويرها) تكفى أحيانا كبديل للأصل إلا أن الباحث ينبغى أن يكون حريصاً على الإطلاع على الوثيقة الأصلية.. ويزداد هذا الحرص إذا كانت الوثيقة (منشورة)... ذلك لأن الخطاب المخطوط فعلاً (الوثـــيقة) قـــد يـــدخل علـــيه بعض الأخطاء التى تغير من معالمه الأصلية والغرض منه.

والوثـــيقة التـــى تعتبر مصدراً أولياً هى- فى معظم الأحوال المسجل المكـــتوب لما رآه الكاتب فعلاً أو سمعه - ويمكن أن يكون التقرير الصحفى مـــصدراً أولـــياً إذا شاهد المراسل الصحفى بنفسه الحدث الذى يكتب عنه.. ولكـــن المـــواد التـــى يقتبسها مؤلف معين من كتابات مؤلف آخر، لا يمكن اعتـــبارها مـــصدراً أولـــياً.. وعلى الباحث قبل أن يستخدم هذه المعلومات والبـــيانات أن يطلع على الأصل المنشور أو غير المنشور للمواد التى اقتبس مـــنها. والكـــتب والحولـــيات والموسوعات وغيرها من المصادر التى تنشر الملخصات والموجزات لا تعتبر مصادر أولية، ذلك لأن هذه المراجع تعتمد فـــى الأفكـــار والحقائق التى تنشرها لا على الملاحظة المباشرة ولكن على كتابات الآخرين.

والمعلـــومات والبـــيانات التى تمر على أيد كثيرة قبل أن تصل إلى يد الـــباحث- شـــأنها فى ذلك شأن الإشاعات Rumors - لا تحمل إلا قليلاً من الشبه مع النص الاصلى .. والسبب فى ذلك يعود إلى الأخطاء المقصودة أو غير المقصودة التى يقوم بها كاتب الآلة الكاتبة أو الطابع أو المحرر.. الخ.. وقـــد أثـــبت الـــبحث الدقـــيق فى كثير من الحالات أن النصوص الأدبية أو التـــصريحات السياسية التى كانت تعزى لأفراد معينين، هى بعيدة كل البعد عما كتبوه أو قالوه.. وعلى ذلك فإن الأساس الثابت الوحيد للنتائج التى يمكن أن يصل إليها الباحث فى البحوث الوثائقية إنما يعتمد على استخدم المصادر الأولـــية .. أى تلك المصادر القريبة على قدر المستطاع من الظاهرة الفعلية

التـــى تخــضع للـــبحث.. ويذهب الباحث الجاد إلى أن الوثيقة المفقودة هى كصفحة انتزعت من كتاب تاريخ الإنسان..

سادساً: التقييم الخارجي والداخلى للوثائق :

ويتصل هذا التقييم بالتعرف على أصالة الوثيقة (Authenticity) (وهناك التقيــيم الداخلى الذى يهتم بمعنى ودقة وقيمة البيانات التى تحتويها الوثيقة)، إن عــدد المــزورين فى التاريخ الإنسانى كبير. فضلاً عن أن هناك دائماً فرصة وجــود خطـــأ غير مقصود.. ومن أشهر قصص التزوير فى التاريخ الغربى قصة التزوير المشهورة باسم هبة قسطنطين Donation of Constantine ، وقد حـــدثت فـــى القـــرن الثامن –وعلى الأرجح بواسطة أحد رجال الكنيسة– وقد خـــولت الوثـــيقة المـــزورة للامبراطور السلطة السياسية على جميع قطاعات ايطالـــيا. هـــذه وغيرها كثير من الوثائق المزورة والتى عرفت باسم الأحكام الـــبابوية الـــزائفة False Decretals ، وقد كشف عن زيفها فى القرن الخامس عشر عالم الإنسانيات الشهير لورنتيوس فالا Laurentius Valla.

وهناك كثير من التزوير يقوم به بعض المؤلفين والناشرين لإعادة طبع كتب معينة يعتقد بأنها نادرة ثم يبيعونها بأغلى الأثمان.. بالإضافة إلى تزوير الوثائق ونشرها لتحقيق أهداف مالية أو سياسية أو قانونية معينة.

ومـــن القصص المشهورة عن هذا التزوير الرسائل الشخصية التى كتبها لـيــنكولن بخـــط يده وظهرت فى السوق مليئة بالأخطاء الواضحة والتى يسهل إثبات تزويرها وزيفها. وفى أحد هذه الخطابات أشار لينكولن إلى ولاية كانساس فى فترة لم تكن هذه الولاية قد أصبحت جزءاً من الولايات المتحدة بعد.

وهـــذه المحـــاولات يمكن أن يثبت تزويرها وزيفها بالتقييم الخارجى الدقيق الهادئ لكل وثيقة موضوع الدراسة..

وهـــذه القاعـــدة تنطبق على الوثائق "الجديدة" بصفة أساسية، أى تلك الوثائق التى لم تقيم بعناية فى الماضى.. وهناك فى كل مجال أكاديمى وثائق

لا حـــصر لها والتى أصبحت أصالتها ثابتة.. ومع ذلك فينبغى على الباحث -كقاعدة عامة- أن يتبنى موقف الشك ولا يأخذ أى شىء كقضية مسلمة..

ويدرك الباحث أهمية الفحص المقارن للمسجلات المكتوبة- خصوصاً المــسجلات غيــر الرســمية - بالمخطوطة المكتوبة بخط يد الشخص نفسه Autograph Manuscript وذلك للتعرف على درجة التشابه أو الاختلاف بين الخطــين.. ومــع ذلك فمن العسير تحديد كاتب وثيقة معينة بطريقة لا ينالها الشك.. وحتى التوقيع يمكن أن يسبب مشاكل للتأكد من صحته..

وهــناك بالإضــافة إلى طريقة المقارنة المذكورة، وسائل أخرى لتقييم أصـــالة الوثيقة مثل التحليل الكيميائى والطبيعى للمادة التى كتبت عليها. لقد تغيــر فن صناعة الورق بالتدريج على مر السنين، ويمكن للباحث أن يحدد تــاريخ الوثــيقة بمعرفة مكان وزمان صناعة الورق.. وينطبق هذا التحليل الكيميائـــى على الحبر المستخدم فضلاً عن طريقة الإخراج وسلامة الحروف والطباعة وحجمها وشكلها وما كان مستخدماً منها فى ذلك الوقت.

ويــستعين الــباحث فى التأكد من ذلك لا بالمعمل الكيميائى فحسب بل بالعدسة المكبرة والميكروسكوب والكاميرا وغير ذلك من الوسائل التى تحدد درجــة أصـــالة أو زيــف الوثائــق، كالأشــعة فــوق البنفسجية والتصوير بالفلوريسنت.. الخ.

وعلى كل حال فالوثائق بالنسبة للباحث هى بمثابة الشاهد للمحامى فى قاعــة المحكمــة .. أى أن الوثائــق هى مصادر للمعلومات يجب استخراج البــيانات والمعلــومات المتعلقة منها.. وقبل أن تقبل المحكمة شهادة الشاهد فإنها تتأكد من هويته وتقيم مقدار الثقة فيه..

وهــناك بعض الأسئلة القليلة التى يحرص الباحث على الإجابة عليها عند فحص الوثيقة وأهمها:

- من الذى ألف هذه الوثيقة؟

- هل العلاقة بينه وبين الوثيقة علاقة طبيعية ومقبولة Plausible؟
- هل موضوع الوثيقة يمكن أن يكون داخل نطاق معارف هذه المؤلف؟
- هـل يمكـن أن يكون هذا المؤلف فى المكان المبين وفى الزمن المبين بالوثيقة؟
- هل المعلومات الموجودة بالوثيقة، قد وضعها المؤلف بنفسه فى الوثيقة أم أنه نسخها ونقلها عن شخص آخر؟
- هـل البيانات والمعلومات الموجودة بالوثيقة تتفق مع المستوى المعروف لذكاء المؤلف وتعليمه وخبرته ومزاجه وطباعه؟

إن الإجابـة عـن هـذه الأسئلة – وغيرها كثير – تساعد الباحث على الوصول إلى حكم سليم بالنسبة لأصالة الوثيقة من عدمها..

التقييم الداخلى للوثائق:

إذا كـان التقيـيم الخارجـى يهتم بهوية الوثيقة وأصالتها، فإن التقييم الداخلى يهتم بما تحتويه هذه الوثيقة .. بما تقوله.. بمعناها .. بدقتها.. وبالثقة العامـة فى المعلومات الموجودة بها.. أى أنه عندما تثبت أصالة الوثيقة، فإن الـباحث يجب أن يسأل نفسه عن دلالتها كمصدر للمعلومات. وكذلك عن أى نـوع من البيانات تزودنا به الوثيقة لخدمة الغرض الذى نحن بصدده، وهو حل مشكلة البحث.

فعندما نتناول المسجلات المكتوبة Written Records يجب أن نتأكد من معانـى الكلمـات والـرموز الموجـودة بها. فكثيراً ما يحدث أن تكون لغة المخطـوطة أو الوثـيقة مميزة لفترة من الفترات (اللغة العربية فى العصر الجاهلـى، اللغة الانجليزية القديمة Old English) والتى لا يستخدم كثير من تعبيراتها فى الوقت الحاضر.. وفى أحيان أخرى قد يستلزم الأمر حل شفرة

أو رموز (decipher) سجل معين كتبت به مذكرات أحد الزعماء أو مشاهير الأدب أو الفن.. الخ.

لقـد اكتـشف الباحثون علامات غريبة وصوراً على الآثار الحجرية وعلـى ورق البـردى فـى مـصر .. كما اكتشف الباحثون صوراً أخرى وعلامـات مـن نـوع آخر على أقراص الطين المحروق Baked Clay فى أرض مـا بـين النهـرين (العراق) وقد ظلت هذه العلامات والصور سنين طويلة دون ترجمة مدلولها..

وفـى حوالى عام 1800 استطاع جورج فردريخ جروتيفيند George Friedrich Grotefend أن يكتشف أسرار الكتابة المسمارية الأشورية فى بلاد فـارس القديمـة، كمـا استطاع جين فرانسوا شامبليون Champlion Jean Francois بعـد ذلـك بحوالى عشرين عاما أن يترجم اللغة الهيروغليفية فى مصر القديمة عن طريق دراسته لحجر رشيد Rosetta Stone.

هـذا ويحـتل تفـسير النصوص أهمية كبيرة فى كثير من الدراسات الأدبـية والفلـسفية والدينـية والـسياسية وغيـرها حـيث تدرس الكلمات والمـصطلحات فـى بعض الأعمال دراسة عميقة للتعرف على المعنى الذى يقصده الكاتب.

وقد تكون دراسة عصر المؤلف أو بلده عنصراً أساسياً وضرورياً لفهم كـتاباته، ذلك لأن ما يقصده الناس بمصطلحات أو تعبيرات معينة فى زمن معـين قـد يكـون لـه معنـى ومدلول آخر عن استخدام الناس فى الزمن المعاصـر.. وعلى سبيل المثال فقد كان الناس ايام الكاتب شوسر Chaucer يـستخدمون فى كتاباتهم الأرقام 20 ، 50 للدلالة على "عدد كبير" .. ونتيجة ذلك عندما تحدث شوسر عن ملكيته لعشرين كتاباً، فإن الباحثين يفسرون ذلك لا بمعنى العدد المحدد وهو "عشرين" بل يفسرون ذلك على أن شوسر كانت لـه مكتـبة بها كتب كثيرة .. وربما نستخدم نحن الآن مصطلح "ألف صنف

وصـــنف" لا للدلالـــة على عدد معين ولكن للتعبير عن عدد غير محدد من الأصناف ..

إن تفسير معنى الوثيقة يمكن أن يكون شيئاً فى غاية السهولة كما يمكن أن يكون شيئاً بالغ التعقيد.. يتطلب فى بعض الأحيان المعرفة الدقيقة بالتاريخ واللغات والسياسة والاقتصاد والاجتماع وعلم النفس وغيرها من الدراسات.. وفهـم المقـصود بالوثـيقة ذو أهمـية بالغة إذا أراد الباحث أن يعتمد على المعلومات والبيانات الواردة بالوثيقة لحل المشكلة التى تواجهه.

دقة الوثائق وصدقها:

وإذا ما تحددت المعانى الموجودة بالوثيقة تحديداً واضحاً، فإن الخطوة التالـية فى تقييم الوثيقة داخليا هى تقدير دقة وصدق هذه المعلومات الواردة بالوثـيقة .. ويجب على الباحث أن يتساءل عن مقدار كفاءة المؤلف ونزاهته وسـمعته واهـتمامه بالموضوع؟ وهل كانت له وجهة نظر خاصة متميزة؟ وهل قام بملاحظاته بنفسه أم أنه نقل عن الآخرين؟ ومن المعروف أن اثنين ممن رأوا نفس الحدث قد يكون لهما تفسيرات مختلفة تبعاً لأسباب وتبريرات كثيـرة.. وإذا ما حدث نزاع بين العمال وأصحاب العمل.. فإن ممثلى أولئك وهـؤلاء غالـباً ما يختلفون لا على تفسير الأحداث فحسب بل على وصف وبـيان الحقائـق المتعلقة بالموضوع.. والكتاب عن شخصية قائد مثل جمال عبد الناصر سيختلفون فيما بينهم فى تفسير أعماله ودوافعه وانطباعاتهم عنه .. وخلاصة هذا كله أن الباحث لا يستطيع أن يتقبل المعلومات الواردة حتى فـى الوثائـق الأصيلة على علاتها وطبقاً لتفسير صاحبها .. بل يجب على الباحث أن يستخدم كل وسيلة ممكنة للتأكد من مقدار صدق الكاتب والثقة فيما يكتـبه.. وعلى العموم ففى واقع الأمر، ليس هناك وثيقة تثبت دقتها المطلقة واكـتمال معلوماتها عند فحصها العميق.. ذلك لأن الأخطاء الإنسانية تزحف فـى كـل مكـان. وغاية ما يمكن أن نقوله هو أن بعض الوثائق فقط تثبت صحته ودقتها واكتمالها أكثر من غيرها.

بعض المخاطر فى استخدام الوثائق:

لقـد تركز اهتمامنا السابق على المزالق التى تتصل بالوثيقة نفسها فى أصـالتها وصلاحيتها كدليل ودقتها .. وغير ذلك، وهناك مخاطر رئيسية فى استخدام هذه الوثائق، أولها هو عدم كفاية المعلومات والبيانات فيها. وثانيها، الاختـيار غيـر السليم للمعلومات من هذه الوثائق.. أى أخذ حقائق مبتسرة وإظهار جزء من الدليل وإغفال الجزء الآخر..

أشكال الدراسة الوثائقية:

لما كانت جميع المعلومات عن الماضى تأتينا من الوثائق والمسجلات فـإن طريقة البحث الوثائقى هى الطريقة الوحيدة فى الدراسات التاريخية .. ولكـن طريقة البحث الوثائقى تلعب دوراً هاماً كذلك بالنسبة للدراسة العلمية المتعمقة، وتتناول خطوط هذه الدراسة ميادين كثيرة مثل:

(أ) تاريخ الحياة Biography.

(ب) تاريخ المؤسسات والهيئات.

(ج) المصادر والتأثيرات.

(د) التحرير.

(هـ) تاريخ الأفكار.

(و) الببليوجرافيا.

ويعنـى الـبحث البيوجرافى تحديد وتقديم الحقائق الأساسية عن حياة وشخـصية وإنجـازات شخص هام فى مجال البحث الدراسى.. فعالم الأدب سيتقـصى حـياة رجال ونساء الأدب، ودارس التربية سيتعرف على رجال التعلـيم.والـصحفى يهـتم برواد الإعلام وهكذا .. وهؤلاء جميعاً يجب أن يستخدموا طريقة البحث الوثائقى .. ذلك لأن الحقائق الضرورية لتاريخ حياة الـشخص لا يمكـن تجميعها بالتجربة أو المسح أو دراسة الحالة.. ويصدق تاريخ الأفراد على تاريخ المؤسسات والهيئات.

أما بالنسبة لدراسة المصادر والتأثيرات فهذه تتضمن محاولة تعلم كيفية تأثر أفكار الشخص (أو الجماعة) وكتاباته وإنجازاته الأخرى، بعوامل التعليم والأصدقاء المحيطين به والقراءة وأحداث حياته اليومية والبيئية المحيطة به.. وتتم هذه الدراسة باكتشاف الدليل الواضح عن هذه التأثيرات فى كتابات الشخص أو تصريحاته الشفوية أو سلوكه العام .. ففى الأدب مثلا نجد كاتبا معينا متأثراً بكاتب آخر، ونحن نذكر أن داروين قد تأثر فى نظرية "الصراع من أجل البقاء" بأفكار مالتوس Malthusعن السكان وهكذا..

أما بالنسبة لتحرير عمل أو أعمال مؤلف معين، لإنتاج نص حديث يصلح للقراءة، أو نشر وثيقة نادرة ذات أهمية ودلالة فى مجال معين. هذه وغيرها من النشاطات الأكاديمية المشابهة تعتبر شكلاً مفيداً من أشكال الدراسة الوثائقية.. وقد يعنى ذلك أحياناً مجرد إعادة طبع مؤلف عام .. ولكن اختيار هذا المؤلف ليس بالأمر السهل .. كما قد تكون الترجمة أحد أوجه نشاط عملية التحرير .. إن دراسة تاريخ الأفكار يتطلب تتبع الآراء والموضوعات الفلسفية والعلمية من أصولها وأشكالها الأولى خلال مراحل تطورها أو تتبع التغييرات التى حدثت فى التفكير الشعبى واتجاهات الناس على مدى فترة معينة من الزمن.. وفكرة عن نظرية التطور البيولوجى مثلاً يمكن تتبعها من أصلها القديم أيام الفلسفة اليونانية أو قبل ذلك حتى الوضع الحاضر وتأثير العلم الحديث.

وأخيراً فإن تجميع ببليوجرافيا موضوعية يتطلب البحث الوثائقى أيضاً.. ذلك لأن الببليوجرافيات تقدم للعلم والبحث خدمات أساسية ضرورية بما تقدمه للباحثين من قوائم بالأعمال والبحوث التى تمت فى مجال محدد، وبالتالى تعمل الببليوجرافيا على اختصار الوقت الذى ينفقه الباحث فى تحديد المواد اللازمة لدراسته..

وعلى كل حال .. فاستخدامات البحث الوثائقى كثيرة ومتنوعة .. وطريقة البحث هذه مستخدمة أكثر من غيرها فى مجالات الفن والجيولوجيا

والتاريخ واللغات والأدب والموسيقى والفلسفة والعلوم السياسية. وفى مجالات أخـرى كالجيولوجـيا والكيمـياء والاقتصاد والتعليم والجغرافيا والرياضيات والفيـزياء وعلم النفس والاجتماع- فإن استخدام طريقة البحث التاريخى يكون أقـل مـن غيـرها مـن الطرق.. ولكنها ما زالت طريقة مفيدة جداً فى هذه المجالات ايضاً سواء بمفردها أو كطريقة مكملة لطرق البحث الأخرى.

سابعاً: الفرض فى البحوث التاريخية:

ربمـا يذهب البعض إلى القول بأن البحث فى الوثائق والمسجلات هو بحـث يهتم بالتنقيب عن الحقائق Fact Finding، وأن الفروض نادرة فى هذا المجال.. ونحن نؤكد مرة أخرى بأن أكبر نتائج البحث فائدة ودلالة تكون فى التعمـيمات والمـبادئ المستمدة من البيانات والمعلومات الحقيقية.. والبحث الوثائقـى من هذه الناحية قد أدى إلى تعميمات- وفروض كثيرة.. والباحثون فى العلوم الاجتماعية والإعلامية بصفة عامة، يدركون ويلاحظون الفروض أو التفـسيرات للأحـداث التاريخية خلال فترة معينة (خصوصا فيما يتعلق بالتعـرف على كيفية وسبب وقوع هذه الأحداث) .. فدراسة التاريخ العربى مـثلاً، خلال ربع القرن الأخير ربما أدت بنا إلى تفسيرات أو فروض تتعلق بارتباط الأحداث فى هذا الجزء من العالم ببداية انحسار الاستعمار البريطانى الفرنـسى، وبـزرع الدولة الصهيونية فى قلب الوطن العربى بتأييد القوتين المنتـصرتين بعـد الحرب العالمية الثانية (روسيا وأمريكا) واعتماد هؤلاء والـصهاينة علـى تعميق الصراعات الداخلية فى الوطن العربى سواء على المـستوى القطـرى أو القومى.. وربما أدى بنا البحث الوثائقى والدراسات التاريخـية للأحداث إلى الوصول إلى تعميمات ونتائج تنير الطرق والبدائل التى يمكن أن يسلكها العرب.

ونحن نلاحظ أنه يمكن رد هذه الحالة (أو وضع الفروض) إلى التخلف الحـضارى (بأبعـاده الثقافـية والايديولوجـية والاقتـصادية والتكنولوجية

والعسكرية وغيرها) أو تأكيد العامل الاقتصادى مثلاً أو غير ذلك من التفسيرات والفروض.

ومن الواضح أن كل واحدة من هذه التفسيرات تمثل تعميمات موضوعة بحرص وعناية معتمدة على البيانات الحقيقة المستمدة من تحليل الوثائق..

ولقد أشرنا إلى هذه النماذج السابقة فقط – دون الدخول فى مناقشات نقدية– وذلك للدلالة على مكان الفرض فى البحث الوثائقى .. أى أن استخدام الأسلوب الوثائقى يتضمن أكثر من مجرد تجميع الحقائق..

خصائص الدليل: Qualities of Evidence

لقد أشرنا فيما سبق إلى نوع الدليل المقبول فى البحث.. والدليل– كما هو الحال فى المحاكم– يجب أن يكون متعلقا Relevant بالموضوع وأن يكون محسوسا Material وأن يكون كافيا Competent.. وهذه هى الاختبارات التى تطبقها على جميع الوثائق والبيانات والمعلومات التى تحتويها هذه الوثائق.. فالدليل الذى تقدمه الوثيقة يعتبر متعلقا بالمشكلة إذا كان له وزن حقيقى بالنسبة لهذه المشكلة، وإذا لم يكن لهذا الدليل علاقة بالموضوع فلا يجب تقديمه كدليل مناسب.. وقد تكون البيانات والمعلومات متعلقة بالمشكلة ولكن ليس لهذه المعلومات وزن حقيقى.. وبمعنى آخر يمكن إهمالها والاستغناء عنها بسهولة.. هذه البيانات والمعلومات ليست مادية محسوسة، وبالتالى فليس هناك حاجة إلى اعتبارها دليلاً مقبولاً.. وأخيراً فيتبقى جانب الكفاية والأهلية Competence وتعتبر الوثيقة دليلاً كافياً إذا ثبتت أصالتها، وإذا كانت بياناتها ومعلوماتها دقيقة ومناسبة. فالوثيقة الأصلية هى دليل طيب للشهادة.

وإذا كـنا قـد أكدنا على استخدام الدليل الأولى باعتباره أساس البحث الوثائقـى أو التاريخـى... وباعتباره أقرب ما يمكن للحدث نفسه..فقد يكون للدليل أو المصدر الثانوى نفس أهمية الدليل الأولى..

هذا ويستخدم الباحث الدليل الثانوى فى الأحوال التالية:

1. كمعلومات خلفية عامة عن الحدث أو الشخص .. الخ.
2. بعـض أنـواع المعلومات التى يحتاجها الباحث وتكون غير متوفرة فى مكان آخر.
3. التأكد من أن العمل الذى يقوم الباحث بفحصه ودراسته لم يقم به شخص آخر.
4. الإفادة من أخطاء الآخرين الذين سبقوا الباحث.
5. يـستعين بـه الـباحث أيضاً فى وضع تفسيره بالنسبة للفرض الخاص بمشكلة البحث وبالنسبة للنتائج التى يصل إليها.

ثامناً : ملخص منهج البحث التاريخى:

لعـل المـنهج الوثائقـى أو التاريخى يعتبر أقدم مناهج البحث.. وهو كمنهج يتطلب تحديد مشكلة البحث وتجميع الحقائق والمعلومات المتعلقة بتلك المـشكلة وتحديـد مـصادر هذه الحقائق الأولية والثانوية، ثم تصنيف هذه الحقائق وتحليلها وإيجاد العلاقة فيما بينها ثم عرض النتائج وتفسيرها..

ومـا يهمـنا فى دراستنا لمنهج التحليل التاريخى الوثائقى أنه طريقة لاختبار الفرض، بتحديد وتحليل البيانات والمعلومات من الوثائق والمسجلات ذات الأشـكال المـتعددة... وهذه الاشكال تتراوح ما بين الآثار المكتوبة أو المطـبوعة إلـى التعليقات الشخصية المكتوبة والشفوية بالإضافة إلى الآثار والبقايا الاركيولوجية والجيولوجية...

وطريقة البحث الوثائقى مستخدمة فى مختلف المجالات العلمية. ولكنها مـــستخدمة بكثرة فى التاريخ واللغات والأدب والفلسفة وغيرها من المجالات المتعلقة كدراسات علوم الإعلام.

ويجـــب على الباحث- بعد أن يحدد الوثيقة- أن يقيمها خارجيا وداخليا للتأكد من أصالتها، ومن علاقتها بموضوع الدراسة.. ومن ناحية قبولها كدليل.

ويمكـــن أن يقـــال- بصفة عامة- أنه يجب استخدام المصادر الأولية وحدها (إذا توفرت هذه المصادر بالطبع) . ومخاطر طريقة البحث التاريخى هـــى قلة البيانات والمعلومات بدرجة كبيرة فضلاً عن عدم الاختيار الصحيح للمعلومات المتعلقة بالموضوع.

وقـــبل أن ينتهـــى الباحث إلى نتائج أخيرة فى دراسته، يجب عليه أن يكون مقتنعا بما لا يقبل أى شك – باكتمال معلوماته الوثائقية، وأن يتوفر فيها شـــروط الدلـــيل المقـــبول، وهو أن يكون متعلقا بالموضوع وأن يكون ماديا محسوسا، وأن يكون كافيا...



الفصل السادس

تحليل المضمون فى بحوث علوم الإعلام

أولاً: مقدمة والبعد التاريخى:

يتيح تحليل المضمون Content analysis للباحث وصف طبيعة محتوى الاتصال بطريقة منهجية، أى أن تحليل المضمون يمكن استخدامه فى معظم أشـكال الاتصال ولكنه أكثر صحة فى تحليل رسالات الاتصال الجماهيرى، كمـا أن تحليل المحتوى هو نقطة البداية المنطقية للتعرف على آثار الميديا، ذلـك لأنـه يساعد فى اكتشاف المحتوى الموجود، ، ولكن يجب التأكيد منذ الـبداية أن نـتائج تحلـيل المحـتوى لا تسمح لنا بالوصول إلى استنتاجات inferences عن تأثيرات هذا المحتوى.

هـذا ويعتبـر تحلـيل المضمون موضوعاً محوريا فى جميع العلوم المتعلقة بالإنسان ذلك لأن القدرة على الكلام هى أهم مميزات الإنسان .. كما أن اللغـة هـى وعـاء الفكر وانعكاس العواطف ودليل يكشف حياة الإنسان الداخلية. وبالتالى فإن الرؤية السليمة لطريقة تحليل المضمون تشير إلى أنها مـشكلة مركـزية فى دراسة الإنسان والعمل على حل هذه المشكلة يمكن أن يغير مناهج البحث فى العلوم السلوكية والاجتماعية بطريقة جذرية.

هـذا وتحـتل الرسالة Massage مكانا محوريا فى عملية الاتصال .. علـى اعتـبار أن الرسـالة هى التتابع الرمزى الفعلى الذى يتم توصيله من المصدر إلى الجمهور.

إن تحلـيل الرسـالة وكلماتهـا قد يدلنا على أشياء كثيرة تتصل بذكاء المصدر وقدراته.. وتتصل بشخصيته ودوافعه، وتتصل بالقيم التى يؤمن بها والأهـداف التـى يسعى إلى تحقيقها، وتتصل باتجاهاته وموقفه الاجتماعى،

وتتـــصل بالجماعات التى ينتمى إليها أو التى يرغب فى الانتماء إليهاوتأثير الجماعة هذه عليه.

كمـــا أن للرسالة تأثيراً متوقعاً.. ولكن هذا التأثير يختلف طبقاً لدرجة فهمها ودرجة قدرتها على جذب الجمهور إليها وإثارة اهتمامه إلى محتوياتها وتذكـــرها أي أن للرسالة تأثيراً يتطلب الدراسة للتعرف على مقدار فاعليتها فى تغيير الاتجاهات أوتعديلها.

وعلـــى كل حال فإن الرسالة تحتوى على تعبير مركز لبعض العوامل الرئيـــسية المـــتعلقة بالاتـــصال .. فضلاً عن أنها ربما تكون –أى الرسالة– الـــشيء الوحيد المتوفر للباحث فى كثير من الأحيان .. (أكثر من توفر القائم بالاتصال أو الجمهور المستهدف).

هـــذا ويستخدم منهج تحليل المحتوى فى جميع مجالات وسائل الإعلام بكثرة، وهذا المنهج أثير لدى الباحثين الإعلاميين لأنه يقدم لهم أسلوبا مناسبا لدراســـة محـــتوى وســـائل الإعـــلام مثل عدد ونوع الإعلانات فى الإذاعة المـــسموعة أو المـــرئية أو فـــى الأوعية المطبوعة، وغيرها من المجالات البحثية الأخرى.

ويمكن أن نعود بهذا المنهج تاريخيا إلى الحرب العالمية الثانية، عندما حاولت وحدات مخابرات الحلفاء بصعوبة التعرف على عدد وأشكال الأغانى الـــشعبية المذاعـــة فى المحطات الأوروبية. وبمقارنة الموسيقى المذاعة فى المحطـــات الألمانـــية بـــتلك المذاعـــة فى محطات دول أوروبا المحتلة، فقد استطاع الحلفاء– بدرجة مناسبة من النجاح– من قياس التغيرات فى درجات تركيـــز القوات فى أوروبا. كما استخدم هذا الاسلوب فى المسرح الباسيفيكى أيـــضاً لدراســـة درجة زيادة حجم الاتصال والرسائل، والذى يعنى عادة أن هناك بعض العمليات العسكرية المخطط لها بالنسبة لهذه القواعد أو تلك.

ثـم استخدم اسلوب تحليل المضمون بواسطة الباحثين لدراسة الدعاية الـصحفية أو الإذاعـية، وفـى عام 1952م نشر برنارد بيرلسون كتابه عن "تحليل المضمون فى بحوث الاتصال" والذى يعكس الاعتراف بهذا الأسلوب كمنهج للباحثين فى مجال الاتصال والإعلام. ثم أصبحت هذه الوسيلة البحثية ذات أهمية متزايدة فى بحوث الاتصال بعد ذلك.

ثانيا: تعريف تحليل المحتوى:

لقد عرف برنارد بيرلسون تحليل المحتوى بأنه اسلوب للبحث للوصف الموضـوعى المنهجى والكمى للمحتوى الظاهر Manifest للاتصال ، أى أن تحلـيل المحـتوى هو بالضرورة طريقة تمكن الباحث من وصف الرسالات كميا، وإن كانت هذه الرسالات شفوية أو غير كمية أساساً.

وعندما نقول بأن تحليل المحتوى هو عملية "موضوعية" Objective فإننا نعنـى بـذلك أنها طريقة تسمح للعديد من الباحثين من فحص نفس المحتوى والوصـول إلـى نتائج متشابهة نظراً لأن الطريقة المتبعة طريقة منهجية، أى أنهـا تحـدد مجموعات من القواعد والإجراءات لتكويد محتوى الرسالة، وأى باحـث يطبق هذه القواعد والإجراءات سيصل إلى نفس تكويد محتوى الرسالة وبالتالى القيام بمختلف الاختبارات الإحصائية على نتائج التكويد.

أى أن طـريقة تحلـيل المحتوى تهتم بتكويد المحتوى الظاهر وليس المحتوى غير الظاهر Latent، ويدلنا المحتوى الظاهر Manifest على المواد التـى تظهـر فعـلاً دون تفسير فى الرسالة، أما المحتوى غير الظاهر فهو المحـتوى الذى يمكن أن يظهر بعد قيام المكود بتفسيره أو كما يقال "القراءة بين السطور" للرسالة قبل تكويدها. (Sparks, Glenn G. (2006), p. 21).

كمـا يعتبـر تحليل المحتوى منهجا لدراسة وتحليل الاتصال بطريقة منهجية موضوعية وكمية، وذلك بغرض قياس المتغيرات.

وهذا التعريف يتضمن ثلاث مفاهيم هامة:

أولهـــا: أن تحلـــيل المحتوى يتضمن التحليل المنهجى Systematic أى طبقاً لقـــواعد واضحة منتظمة، كما أن اختيار العينة يجب أن يتبع اجراءات صحيحة، وأن تكون العينة عشوائية وأن تعامل جميع المحتويات بنفس الطريقة تماما وذلك بالنسبة للتكويد والتحليل والتقييم.

وثانـــى هـــذه المفاهـــيم هو الموضوعية Objective أى البعد عن التحيزات الشخصية للباحث، وبالتالى فنتائج التحليل يجب أن تكون هى نفسها إذا ما قام بالبحث شخص آخر.

أما ثالث هذه المفاهيم فيتعلق بالتعبير الكمى لمنهج تحليل المحتوى، ذلك لأن الهدف من هذا المنهج هو التمثيل الدقيق عن جسد معين من الرسالات، ومعنـــى ذلك أن بيانا كالتالى "70% من وقت البرامج الأصلية احتوى على حادثة واحدة على الأقل من حوادث العنف "هذا التعبير أكثر دقة مـــن "معظم البرامج عنيفة" فضلاً عن أن التعبير الكمى يسمح للباحث بتلخيص النتائج والإعلام عنها بطريقة أكثر اقتصاداً ودقة، وأكثر قدرة على التفسير والتحليل..

وينبغـــى الإشـــارة إلى أن هناك عدة تعاريف لتحليل المضمون.. وقد تغيـــرت هـــذه الـــتعاريف على مر الزمن ومع التطورات فى الأساليب وفى اســـتخدامات هـــذا المنهج ذاته بالنسبة للمشكلات الجديدة وللمواد المختلفة.. ونظـــرة ســـريعة إلـــى الـــبحوث التـــى تستخدم هذا المنهج تدلنا على تلك الاستخدامات الكثيرة الواسعة لطريقة تحليل المحتوى.

هـــذا وقـــد اســـتخدمت طريقة تحليل المحتوى مع المشكلات المتعلقة بالأســـلوب أو بالتـــركيب اللغوى Syntactics أو بالمعانى Semantics (مثل اللغـــة والأحـــلام والـــشعور والخـــيالات والمناقـــشات والموسيقى والصور

والرســومات والأصوات والايماءات .. الخ) وفيما يلي بعض تلك التعاريف التي جاءت ضمن دراسة أحمد بدر (1998):

- تحلــيل المحتوى هو المعنى الاحصائى Statistical Semantics للأحاديث والخطب السياسية.
- تحليل المحتوى هو أسلوب بحثي يتضمن الوصف الموضوعي المنهجي Systematic والكمي للمحتوى الظاهر للرسالة.
- تحلــيل المحــتوى هو أى أسلوب للوصول إلى استنتاجات Inferences وذلك بالتعرف الموضوعي والمنهجي على صفحات محددة للرسالات.
- تحلــيل المحــتوى هو إحدى أطوار تجهيز المعلومات حيث يتحول فيه محــتوى الاتــصال إلى بيانات يمكن تلخيصها ومقارنتها وذلك بالتطبيق الموضوعي والمنهجي طبقاً للتصنيف الفئوى Categorization.

وتكــاد تتفق معظم هذه التعاريف على الوصف الموضوعي المنهجي والكمي في عملية التحليل.. وقد شرح لنا بيرلسون هذه الأوصاف حين ذهب إلــى أن الوصف الموضوعي يعنى أن هناك قواعد واحدة تستخدم دون تحيز فــى تحلــيل المحــتوى .. بحيث يمكن الحصول على نفس النتائج، إذا قام بالتحلــيل أكثــر من شخص واحد.. نظراً لأن القواعد المتبعة فى التصنيف واحــدة، كمــا يعنــى الوصف الموضوعي أن الكلمات التقييمية مثل (جيد/ ردئ/غيــر عــادل–جمــيل/ قبيح) هذه الكلمات والمصطلحات يقوم الباحث بتجنــبها لأنهــا ذاتــية إلى حد كبير، ولأن معانيها تميل إلى التغير والتبدل النسبى حسب الظروف المتغيرة.

أمــا الوصــف المنهجــي Systematic فيعنى به ببيرلسون أن اختيار المحــتوى الــذى سيحلل، يجب أن يعتمد على خطة رسمية، مصممة مسبقاً وخالــية مــن التحيزات Unbiased.. وبمعنى آخر فإن المحلل لا يستطيع أن يخــتار من الرسالة تلك العناصر التى قد تتلائم مع الغرض الذى وضعه فقط وتجاهل جميع العناصر الأخرى.

أمـــا الوصف الكمى فإنه يعنى التعبير الرقمى عن نتائج التحليل أى أن يكون التعبير عن طريق التوزيعات التكرارية Frequency Distributions أو لجداول أو معاملات الارتباط أو النسب بأشكالها المختلفة.

هـذا ويمكن أن نضيف بالنسبة لتعريف بيرلسون السابق الإشارة إليه، أن بيرلـسون يعنى باصطلاح "المحتوى الظاهر" Manifest.. تحليل المعانى Semantic فـى عملية تحليل المحتوى، بطريقة مباشرة وبسيطة أى أن ذلك يعـتمد علـى قراءة ما على السطور ولا يعتمد على قراءة ما بين السطور "Reading on the lines" not "between the lines".

ولا يعنـى ذلـك من غير شك أن هناك اتفاقا دائماً بين الذين يقومون بعملـية الـتكويد Coding وفهمهـم للمعنى الظاهر للرسالة أي أن اصطلاح المعنـى الظاهـر هـو اصطلاح نسبى .. فهو قد يدل على مدى واسع من المعانى وليس على معنى محدد ونقطة بعينها.

ثالثاً: متى يمكن استخدام تحليل المحتوى ؟

هـناك طـرق عديدة لدراسة سلوك الإنسان، فنحن نستطيع أن نجرى علـيه بعض التجارب فى المعمل، ونحن نستطيع أن نعطيه استبيانا للإجابة عليه أو أن نعد مقابلة معه (المسح) أو نلاحظه أو نتبع معه الطرق الاسقاطية أو نـدرس آثاره (الحفريات) أو نتعرف على تعبيره الاتصالى.. وهذا الأخير هـو ما يسمى بتحليل المحتوى .. ونحن نلجأ لهذه الطريقة فى حالات عامة ثلاثة – على الأقل – **وهذه الحالات تتصل بمعظم الدراسات ومجالات البحث وهى كما يلى:**

1/3 نحـن نلجـأ إلـى أسلوب تحليل المضمون عندما تكون البيانات التى يجمعها الباحث مقصورة على الدليل الوثائقى، ذلك لأن القائم بالتحليل الـذى يستطيع الاتصال بالمصادر والأشخاص المعينين، سيجد أساليب الـبحث الأخرى أفضل إذ أنها مباشرة وتتم بتكاليف أقل.. ولكن عندما

تكـــون هناك صعوبات زمانية أو مكانية لا تتيح لـــه الاتصال المباشر بالأشـــخاص فإنـــه يـــصبح من اللازم دراسة هؤلاء "على البعد" على اعتـــبار أن أدوات الـــبحث الأخرى (كالاستبيان والمقابلة والملاحظة وغيرها من الأدوات المشابهة) غير ممكنة... هذا فضلاً عن أن تحليل المحـــتوى يعتبر كمصدر مكمل للبيانات.. أى أن الباحث الذى استخدم الأســـئلة المفتوحة أو المقابلة مثلاً، يمكن أن يستفيد من بياناته بتطبيق أسلوب تحليل المحتوى عليها.

2/3 نحـــن نلجأ إلى أسلوب تحليل المحتوى عندما يكون التعرف على لغة المفحوص أمرا حاسما بالنسبة للبحث.

3/3 وأخيـــراً فـــنحن نلجا لهذا الأسلوب عندما يزيد حجم المواد المفحوصة عن مقدرة الباحث على القيام بالبحث بنفسه.. فنادرا ما يستطيع الباحث فحـــص جمـــيع البيانات المتعلقة ببحث فى الفيض الهائل من الصحف والمجـــلات والأفـــلام والراديو والأدب وغيرها.. وهو غالباً ما يطبق أسلوب المعاينة فى دراسته لهذه الوسائل الاتصالية.. وعلى الرغم من صعوبة تصنيف الدراسات التى تستخدم تحليل المحتوى،إلا أنها يمكن أن تستخدم لواحد من الأغراض الخمسة التالية:

أ- **وصـــف المحتوى الاتصالى:** أى وصف الوضع القائم فى أوعية الاتصال المختلفة، ومن أمثلة هذا النوع من الدراسات ما قام به كل من آدم وفيربر (Adams,w(1977) لوصف الوضع الوظيفى والانتماءات الحزبية لضيوف التليفزيون يوم الأحد فى برامج المقابلات.

ب-اختـــبار الفـــروض الخاصة بصفات الرسالة الإعلامية: وهذه الدراسات تحـــاول ربـــط بعـــض صـــفات مصدر جسد معين من محتوى الرسالات بـــصفات هـــذه الرسالات المنتجة. ففى دراسة لمعدى البرامج الاخبارية للتلفزيون المحلى، تبين أن هؤلاء الذين يشاهدون الجرائم بأنفسهم، يذيعون أخباراً أكثر اتصالا بالاهتمامات العنيفة للإنسان.

جـ- مقارنة محتوى وسائل الإعلام "بالعالم الحقيقى": ومن أمثلة هذا النوع مـــا قامـــت به اللجنة القومية الأمريكية لتقصى أسباب العنف ومنعه، عند اســـتخدامها لتحليل محتوى البيانات ومقارنة العنف فى التليفزيون بالعنف فى الحياة الواقعية.

د- تقيــيم صورة بعض الجماعات فى المجتمع: وتتركز هذه الدراسات فى التعـــرف على الصورة التى تعكسها وسائل الإعلام بالنسبة لأقليات معينة أو جماعـــات متميـــزة فى المجتمع، فضلاً عن تقييم التغيرات فى سياسة وســـائل الإعـــلام نحو هذه الجماعات وعمل بعض الاستنتاجات فى هذا الشأن.

هــــ- وضع النقاط اللازمة لدراسات تأثير وسائل الإعلام: وفى هذه الحالة يـــستخدم تحليل المحتوى كنقطة بداية أو مقدمات لدراسات تتلوها، وذلك مـــثل دراسة تأثير الجريمة التى تظهر على الشاشة الصغيرة على تصور المشاهدين للجرائم الفعلية التى تحدث فى المجتمع.

رابعاً : حدود دراسات تحليل المحتوى

ينبغى التأكيد فى البداية بأن تحليل المحتوى وحده لا يعتبر كافيا للدلالة علـــى تأثير المحتوى على الجمهور، فالدراسة الإضافية للمشاهدين أنفسهم أو الجمهور القارئ أو المستمع تصبح ضرورية لاستكمال هذه الدلالة.

هذا والنتائج التى يصل إليها تحليل محتوى معين، محدود بإطار الفئات والـــتعاريف المـــستخدمة فى هذا التحليل. فالعديد من الباحثين قد يستخدمون تعاريـــف مخـــتلفة أو نظـــم للفئات متباينة لقياس نفس المفهوم. وتتضح هذه المـــشكلة عـــند دراســـة العنف بالتليفزيون على سبيل المثال، إذ يرى بعض الباحثـــين ضرورة استبعاد العنف الموجود فى البرامج الترويحية والهزلية، بيـــنما يعتبـــره باحـــثون آخـــرون أحد الأبعاد الهامة، كما أن الباحثين الذين يستخدمون أدوات مختلفة فى القياس سيصلون بالضرورة إلى نتائج مختلفة.

وأخيراً فيجب التنوية إلى أن تحليل المحتوى يستغرق عادة وقتا طويلا كمـــا أنــــه وسيلة مكلفة. فالبحث خلال مئات النسخ من الصحف والمجلات يؤدى إلى ضياع وقت كثير ثمين بلا فائدة، وبالتالى يتطلب ذلك درجة عالية مـــن الـــصبر والمثابـــرة. هـــذا بالإضـــافة إلى أنه فى حالة تحليل محتوى التليفـــزيون، فلابد من توفير بعض وسائل تسجيل البرامج للفحص التفصيلى بعـــد ذلـــك أى توفيـــر أجهزة التسجيل والشرائط وغيرها من المواد التى لا يستطيع جميع الباحثين توفيرها.

هذا ولابد أن يقوم الباحث بالتحديد الواضح للمشكلة موضوع الدراسة فهـــذا هو الاهتمام الأول للباحث بطريقة تحليل المحتوى.. كما هو الحال فى طـــرق البحث الأخرى ولكن تحديد المشكلة بوضوح هنا يكون أكثر الحاحا، نظـــراً لما قد يتعرض له الباحث من ضياع الوقت والجهد الكبير إذا لم يفعل ذلك.

اختبار صحة النتائج

يفتـــرض الـــباحث أن اختـــبار الصحة يجيب على السؤال التالى "هل أســـلوب القـــياس المتبع يقيس الشيء المفروض قياسه" أى أنه إذا كان القائم بالقـــياس قـــد قام بالقياس الدقيق للقصص التى حددها هو على أنها قصص "جـــرائم" .. هـــل هى قصص "جرائم" فعلاً؟.. إنه يستطيع الدفاع عن وجهة نظـــرة.. بأنهـــا تلك الجرائم التى يحددها كذلك النظام القضائى (الذى يمكن الرجوع إليه) أو التى يراها كذلك الجمهور العام أو الصحفيون أو غيرهم.

ويمكـــن أن نـــصل إلى اختبار الصحة أيضاً عن طريق مقارنة النتائج التى تم الحصول عليها بطريقة معينة بالنتائج التى تم الوصول إليها باستخدام مقياس مختلف لنفس الشيء وهكذا.

خامساً: خطوات تحليل المحتوى وبعض المشكلات المنهجية :

يمكــن أن تكون الخطوات التالية كإطار عام لهذا التحليل كما يمكن ألا تتبع هذه الخطوات بالتتابع المشار إليه إذ قد تتضمن المراحل الأولية للتحليل بعض هذه الخطوات مجتمعة:

1. صياغة سؤال البحث أو الفرض.
2. تحديد مجتمع البحث.
3. اختيار العينة المناسبة من المجتمع.
4. اختيار وتحديد وحدة التحليل.
5. إعداد الفئات التى سيتم تحليلها.
6. وضع نظام للتعبير الكمى.
7. القيام بدراسة مبدئية للتأكد من الثقة Reliability .
8. تكويد المحتوى بناء على التعاريف الموضوعة.
9. تحليل البيانات المجمعة.
10. الوصول للنتائج والبحث عن دلالتها.

1- صياغة السؤال البحثى:

يجب أن يتجنب الباحث عند قيامه بتحليل المحتوى "العد لغرض العد: ذلــك لأن الباحث يجب أن يضع هدفا نهائيا واضحا للتحليل، وأن يتم توجيه تحلــيل المحــتوى- شأنه فى ذلك شأن مناهج البحث الأخرى- بسؤال بحثى مصاغ بدرجة جيدة أو وضع فرض أو عدة فروض. هذا ولابد أن تكون لدى الــباحث مــن البداية، مراجعة أساسية للإنتاج الفكرى. أما المصادر اللازمة لاختــبار الفرض فهى نفسها المطلوبة فى الميادين الأخرى لبحوث الاتصال. ومن الممكن أن يستقى الباحث سؤاله البحثى اعتمادا على نظرية موجودة، أو مشكلات عملية أو كاستجابة للأحوال الاجتماعية المتغيرة. ومن المعروف أن

السؤال البحثى- أو الفروض- المحددة الصياغة سيؤدى إلى فئات دقيقة للمحتوى وهذه بالتالى ستؤدى إلى بيانات ذات قيمة أكبر.

2- تحديد مجتمع البحث:

وهذا يعنى التعرف على حدود جسد المحتوى الذى ستتم دراسته، وهذا بدوره يتطلب وضع تعريف إجرائى مناسب للمجتمع موضع الدراسة. فإذا كان الباحث يهتم بدراسة "الأغانى الشعبية: مثلاً فلابد أن يحدد المقصود بكلمة "شعبية" وكذلك الفترة التى ستغطيها الدراسة. أى أن تكون هناك بيانات محددة واضحة عن المطلوب دراسته وذلك مثل:

تهتم هذه الدراسة بالمحتوى الاخبارى على الصفحات الأول لجريدتى الأهرام والأخبار القاهريتان مع استبعاد أعداد يوم الجمعة وذلك فى الفترة من أول يناير إلى 31 ديسمبر للسنة الماضية:

3- اختيار العينة المناسبة من المجتمع:

تحتاج معاينة المحتوى إلى بعض الاعتبارات الخاصة، ذلك لأن بعض التحليل يتعلق بكمية محدودة نسبياً من البيانات، هذا ومعظم تحليل المحتوى فى وسائل الإعلام يتضمن المعاينة المتعددة المراحل والعينة العشوائية التى يكون لكل عضو فى المجتمع نفس الفرصة لاختياره فى العينة وبالتالى فالنتائج يمكن تعميمها.

وتبدأ المرحلة الأولى عادة بأخذ عينة لمصادر المحتوى، فالباحث المهتم بمعالجة قضية "إيران جيت" فى الصحف المصرية مثلاً، سيقوم بالمعاينة من الصحف اليومية (وإذا كان عددها محدودا فى مصر فالباحث أمام حوالى ألف وسبعمائة جريدة يومية أمريكية) وبالتالى فقد يقرر الباحث بعد ذلك أنه مهتم بالدرجة الأولى بالصحف الخمسة الأولى الأكثر توزيعا. وقد يتخذ قراره – فى بعض الدراسات الأخرى- باختيار المصار عشوائيا.. كما أن الباحث أيضاً قد

يستخدم اسلوب المعاينة الطبقية إذا كان مهتما بتحليل محتوى التليفزيون وأن تكون الطبقية حسب الشبكة (القناة) أو حسب البرنامج.

أما المرحلة الثانية: بعد تحديد المصادر، فهى اختيار التواريخ والفترة الزمنية التى ستختار فيها القضايا وهذه تحدد عادة حسب الهدف من المشروع البحثى (كما هو الحال فى فترة معالجة قضية إيران جيت)، ولكن إذا كان المحتوى يتعلق بموضوع حصول المرأة على حق الترشيح لمجلس الشعب مثلاً، فينبغى أن تكون معاينة المحتوى قبل وأثناء وبعد هذا الحدث. والعينة العشوائية البسيطة التى تغطى هذه التواريخ هو احتمال قائم (تحتاج هذه الطريقة لتخطيط مسبق، فإذا كان الهدف خمسين عدداً فباستخدام فترة سبعة أيام فإن العينة ستشمل خمسين عدداً صادرة أيام السبت اسبوعياً).

ولما كان المحتوى الاخبارى غير موزع عشوائياً حسب أيام الأسبوع، فإن هذه العينة العشوائية البسيطة ربما تكون ممثلة.

وهناك إمكانية استخدام العينة الطبقية حسب الأسبوع فى الشهر واليوم فى الأسبوع مع الأخذ بقاعدة للمعاينة وهى اختيار يوم فقط من كل أسبوع وذلك لضمان التوزيع المتوازن خلال الشهر. وقد تكون المعاينة مركبة، كأن تستخدم الدراسة عينة من يوم الاثنين مأخوذة بطريقة عشوائية من أيام الأثنين الممكنة بالشهر وهكذا ..

أما عدد الإصدرات التى يتم اختيارها، فأمر يعتمد على موضوع الدراسة، وذلك حتى تكون ممصلة فى التحليل.

وقد قام بعض الباحثين بوضع بعض الارشادات العامة لمعاينة وسائل الإعلام، إذ تبين لهم أن معاينة خمسة أعداد من (48) عدد من الصحيفة يعتبر كافيا، وأن زيادة عدد المعاينة عن (12) لا يؤدى بالضرورة إلى تحسين الدقة فى المعاينة.

4- اختيار وحدة التحليل:

وحـــدة التحلـــيل هى أصغر عناصر تحليل المحتوى، ولكنها فى ذات الـــوقت مـــن أهم هذه العناصر، ووحدة التحليل هذه قد تكون كلمة واحدة أو رمزا أو اتجاها عاما Theme (تأكيد معين عن أحد الموضوعات) وقد تصل وحـــدة التحلـــيل هـــذه إلـــى المقالة أو الفقرة أو القصة الكاملة. وفى تحليل التليفـــزيون والأفلام، فإن وحدات التحليل يمكن أن تكون الأفراد أو فعل Act معين أو البرامج كلها أو ساعة من الفيلم للتعرف مثلاً على السلوك التدخينى، فوحدة التحليل هي الشيء الذي يتم عدّه فعلاً.

ومـــع ذلك فلابد من وجود قواعد وتعاريف محددة لهذه الوحدات حتى يكـــون هـــناك اتفـــاق أكبر بين القائمين بعملية التكويد فضلاً عن التقليل من الأحكام الذاتية.

وهـــناك بعـــض وحـــدات التحليل التى يسهل عدّها ، فمن السهل مثلا تحديد عدد القصص فى محطة معينة فى الفترة المسائية والتى تتعلق بالأخبار الدولية، ولكن ليس بهذه السهولة تحديد عدد أفعال العنف التى تتم فى أسبوع مـــن الإرســـال التليفزيونى فى محطة معينة ، وذلك لأن القصة تعتبر وحدة تحليل متميزة عن الفعل. فبداية ونهاية القصة يمكن رؤيتها بسهولة ولكن ماذا يفعـــل الـــباحث عـــندما يـــواجه بمعركة طويلة بين أشخاص ثلاثة يتبادلون الكلمـــات؟ فهـــل يعتبر ذلك فعلاً واحداً من أفعال العنف؟ وما هو الحال عند تدخل شخص رابع فى المعركة هل يعتبر ذلك فعلاً آخرا من أفعال العنف؟

إن التعاريف الإجرائية لوحدات التحليل يجب أن تكون واضحة ودقيقة ولا يـــتم وضع معاييرها إلا بعد المحاولة والخطأ أحياناً- وعلى سبيل المثال ففـــى إحدى الدراسات الخاصة بصورة المرأة فى الإعلانات التجارية لإحدى محطات التليفزيون فإن وحدة التحليل هى المرأة التى:

أ- تظهر على الشاشة لمدة ثلاث ثوان على الأقل أو

ب- التي تقوم بسطر واحد على الأقل من الحوار Dialogue

هذا وربما تعتبر الكلمات اسهل وحدات الترميز التي يمكن العمل بها. ذلك لأنه من السهل نسبياً تعريف الكلمة.. وإذا كانت عملية الترميز تتضمن التعرف على وجود أو غياب كلمات معينة (كما هو الحال في بعض معادلات القراءة) فمن الممكن الحصول على درجة عالية من الثقة في الترميز .

ولكـــن الباحث عادة ما يكون مهتما بوحدات أكبر للتحليل من الكلمات المفـــردة وذلـــك للوصول إلى معان ذات دلالة وترابط.. وعلى كل حال فإن اختـــيار كلمات أو جمل يعتمد على إمكانيات اختبار الفرض لهذه الطريقة أو تلك.

أمـــا بالنـــسبة للمعنى العام أو التأكيد Theme or Assertion فإنها أكثر وحـــدات تحليل المضمون استخداما .. والمعنى العام يعرف على أنه "جملة بـــسيطة أو تأكـــيد على موضوع معين" وعلى سبيل المثال فقد يتركز اهتمام باحـــث معين على اتجاهات أحد كتاب الصحيفة المسئولين عن باب الأسرة، وبالتالـــي فهـــو لا يهتم بالأطفال أو الآباء مثلاً.. بل هو يهتم بهؤلاء جميعاً. وعلـــى ذلـــك فإن الآباء والأمهات والأخوات والأخوة يمثلون "موضوعاً" ذا دلالة بالنسبة للباحث، فإذا كانت لدينا جملة كالتالية "إن أباك، ولو أنه أنيق في ملبـــسه، إلا أنـــه أنانـــي ورجل لا يتصف بالصبر والتحمل" .. فهذه الجملة تحتوي على ثلاث تأكيدات على الأقل هي: إن والدك أنيق، أن والدك أناني، أن والدك غير صبور.

ولابد للباحث من أن يكون حذراً في عملية تكويد أو ترميز المحتوى، إذ علـــيه أن يقوم بترميز الجمل فقط ذات الدلالة في المحتوى. وذات العلاقة بالفرض الذي وضعه الباحث.

هـــذا ويعمـــد بعض الباحثين في مجال تحليل المحتوى إلى أخذ القصة كلهـــا أو المقال كله أو الركن الذي يحرره كاتب معين.. أي أخذ هذه الوحدة

الكبيـــرة كـــوحدة للتحلـــيل والترميز حيث يبين المحلل أنها (مؤيدة، محايدة، معارضـــة)، وقد يبرر البعض استخدام هذه الوحدات الكبيرة إذا كانت المواد كبيرة الحجم والعدد.

هـــذا وقـــد استخدمت وحدات المساحة والزمن فى التحليل أيضاً وهذه مـــثل البوصة فى عمود الصحيفة أو جزء منها (فى حالة المجلة) وقد تكون هـــذه الـــوحدة هـــى الدقيقة (فى الراديو والتليفزيون) .. وعلى كل حال فإن اســـتخدام المساحة والزمن كأدوات للتحليل الوصفى قد اتبع على نطاق واسع ومازال حتى الآن.

وقد تبين لكثير من الباحثين أن وحدات المساحة والزمن (على صعوبة قياسها بدقة بالغة) ترتبط Correlate بشدة مع وحدات القصة والمقال أو كلمة الجـــريدة ككـــل.. وعلى ذلك فإن القصة أو المقال كله كوحدة طبيعية سهلة يعتبر أكثر استخداما اليوم فى عمليات الترميز Coding.

كما تستخدم الصفة Character –أو الشخص أو طبقة من الأشخاص– أحـــيانا كوحدات ترميز فى عمليات تحليل المحتوى، هذا ويعمد الباحث إلى التنقـــيب عن جميع المعلومات المتعلقة بالصفة المطلوبة فى المقال أو القصة وذلك لتصنيف هذه المعلومات.

وقـــد اســـتخدمت طريقة تحليل الصفات هذه للتعرف على المدى الذى تـــدعم أو تـــؤيد فـــيه وســـائل الإعلام الجمعى للنماذج الجامدة فى المجتمع (Stereotypes).

هذا ولما كانت وحدة الترميز الأساسية هى أصغر أقسام المحتوى الذى يعطـــى لهـــا علامـــة أو درجة Score ولما كان الباحث لا يستطيع أعطاء الدرجـــة أو العلامة بفحص أصغر هذه الوحدات فقط..فإن ترميز الوحدة فى هـــذه الحالـــة ســـوف يتم بثقة واطمئنان فقط بالنسبة للمتن أو لسياق الكلام Context .

وعلى ذلك فإن وحدة المتن – وهى أكبر اقسام المحتوى التى يمكن أن يستشيرها القائم بالترميز بغرض وضع درجة أو علامة لوحدة الترميز الأساسية يمكن استخدامها كثيرا فى عملية تحليل المحتوى.

وعلى سبيل المثال إذا واجه الباحث أو القائم بالتحليل العبارة التالية: (إن الشيوعيين يقومون بالسيطرة على العالم تدريجيا) فإنه لا يستطيع ترميزها بدقة.. ذلك لأنها عبارة حيادية أو تحتمل التأويل.. ولكن الباحث حين يضع هذه العبارة فى إطار وحدة المتن أو النص.. فإن اتجاهها Direction سيتضح أكثر.. أى أن هذه العبارة عند ظهورها فى خطاب لأحد الرأسماليين المحافظين وفى جمعية أصحاب المصانع والأعمال، وعنوان الخطاب هى (التهديد الأحمر) فإن الترميز الصحيح لهذه العبارة هو أنها "غير مؤيدة "Unfavourable" ولكن هذه العبارة ذاتها إذا ظهرت فى خطاب لواحد من رواد الفضاء السوفيت حيث يلقى هذا الخطاب على جماعة من الشباب الشيوعيين. فإن الترميز الصحيح سيكون بلاشك "مؤيداً" "Favourable".

وهناك بعض الحدود التى يجب وضعها عادة على حجم وحدة المتن.. ذلك لأن هذا الحجم قد يكون كبيرا جداً لدرجة تفقد الثقة والصدق فى وحدة الترميز الأساسية ذاتها.. ولتوضيح ذلك نقول بأنه إذا أراد احد الباحثين التاريخيين أن يقوم بتحليل المقاطع الخاصة بالصحافة فى خطابات جمال عبد الناصر، ثم جعل"المتن" هو تاريخ حياة عبد الناصر.. فإن الباحث سيواجه مشكلة زيادة حجم "المتن" من غير شك.. وبالتالى فلابد من حل وسط.

ويمكن أن نقول كلمة أخيرة بالنسبة لاختيار وحدات التحليل وهى أنه على الباحث أن يكون محيطا بالتعاريف والوحدات والأكواد والفئات أو الطبقات Categories التى استخدمها غيره من الباحثين السابقين له، وذلك لأنه سيوفر كثيراً من الوقت الثمين، إذا اتبع الإجراءات المنتظمة التى ابتعها الآخرون.. وذلك لا يعنى من غير شك اتباعنا لما فعل الاقدمون بطريقة

آلـــية، بل يجب على الباحث من خلال ممارسته وبحثه أن يحسن ويطور من أفكـــاره بل ومحاولة تغيير الأساليب التقليدية المتبعة ورؤية المشاكل برؤيا جديدة واضحة على صعوبة تطبيق ذلك فى الواقع.

5- إعداد الفئات للتحليل:

نظام الفئات هو النظام المستخدم لتصنيف محتوى وسائل الإعلام. وهو يختلف من موضوع لآخر، ومع ذلك فيجب أن تكون جميع نظم الفئات ذات صفات ثلاثة وهى : التخصيص والشمول والثقة.

Exclusive, exhaustive& reliable

وتنسحب صفة التخصيص على نظام الفئات إذا وضعت وحدة التحليل فى واحدة فقط من الفئات، وإذا تبين للباحث أن بعض الوحدات تقع فى فئتين مختلفتين فى نفس الوقت، فيجب عليه مراجعة تعاريف هذه الفئات (مثلا نظام فـــئات كالتالى: أسود/ أبيض/ مسلم/ أمريكى/ مصرى/ غير ذلك.. لا يعكس خاصـــية التخصيص إذ قد يكون المسلم أبيضاً أو أسودا بل قد يكون مزدوج الجنسية أمريكى/ مصرى.. أى أن هذا النظام ينقض قاعدة التخصيص)، وقد يبدأ باحث آخر بوضع فئات البرامج فى محطة التليفزيون كما يلى:

1. المواقف الكوميدية.
2. برامج الأطفال.
3. الأفلام.
4. البرامج الوثائقية.
5. برامج العنف والمغامرات.
6. برامج الاسئلة والأحاديث.
7. الدراما العامة.

وعلـــى الرغم مما قد يبدو أن هذه القائمة مناسبة إلا أن بعض البرامج قـــد يقـــع فى واحدة أو أكثر من هذه الفئات، بالتالى فلابد من إعادة التعريف وتحديده وتخصيصه.

هــذا وتتسحب صفة الشمول Exhaustivity على نظام الفئات إذا أمكن وضـــع كل وحدة من وحدات التحليل فى قسم موجود فعلا existing slot أى فى فئة سبق تحديدها وتعريفها، ويمكن التأكد من الشمول فى الفئات فى ثنائية أو ثلاثية المحتوى، فمحاولات حل المشكلة يمكن تحديدها فى [عدوانى/ غير عدوانـــي]، أمـــا بيانات المتحدثين فيمكن وضعها فى فئات [إيجابى/ محايد/ سلبى] ويفضل عادة الاختبار القبلى على عينة من المحتوى، وذلك للتأكد من صلاحية نظام الفئات أو تعديله قبل التحليل.

وأخيـــراً فـــيجب أن يتميز نظام الفئات بالثقة Reliable أى أن القائمين بعملية التكويد يجب أن يكونوا متفقين فى معظم الأحوال عن الفئة الصحيحة لكـــل وحـــدة من وحدات التحليل. ويمكن التأكد من ذلك بالاختبارات القبلية Pretest.. هـــذا وعـــدد الفـــئات يتحدد عادة طبقاً للموضوع وقد تفيد الخبرة والاختـــبار القبلى فى ذلك، وكقاعدة عامة فالفئات الكثيرة مفضلة عن الفئات القليلة وذلك لسهولة تجميع الفئات بعد ذلك.

6- وضع نظام للتعبير الكمى:

تستخدم هنا عادة القياسات الاسمية والفترية والنسبية، وعلى المستوى الاسمى، فإن الباحث ببساطة يقوم بعد عدد مرات تكرار حدوث الوحدات فى كـــل فـــئة. فموضوعات المحادثة والمحاوره فى التليفزيون أثناء النهار، أو الاتجاهـــات العامة للمقالات التحريرية بالصحف اليومية يمكن أن يعبر عنها كميا بواسطة المقياس الاسمى.

أمـــا المقـــياس الفترى فيستخدم فى تقييم Rate بعض الصفات الخاصة بالأشخاص أوالمواقف. ففى دراسة عن صور المرأة فى الإعلانات التجارية، فيمكن تقييم Rate كل شخصية بواسطة المكودين على مقاييس متعددة مثل:

مستقل -------------------- تابع

مسيطر -------------------- خاضع

فمـــثل هـــذه المقاييس تضيف بعدا أعمق لتحليل المحتوى ولعلها أكثر أهمـــية من المقياس الإسمى السابق، ومع ذلك فمقاييس التقدير هذه Rating Scales تـــدخل عامـــل الذاتية فى التحليل وبالتالى تقلل من الثقة Reliability إلا أن يكون القائمون بالتحليل متمرسون فى هذه العملية.

أما المقاييس النسبية فى بحوث وسائل الإعلام، فإنها تتصل بالقياسات الخاصـــة بالمكـــان والـــزمان. وفى الوسائل المطبوعة فإن قياسات العمود/ البوصـــة هى المستخدمة فى تحليل المقال التحريرى والإعلانات والقصص الخاصة بأحداث أو ظواهر معينة.

أمـــا فى التليفزيون والراديو فإن القياسات النسبية هى التى تتم بالنسبة للـــزمن وعـــدد دقائـــق الإعلام التجارى وأنواع البرامج على الهواء وكمية البرنامج اليومى المخصص لمختلف أشكال البرامج وغير ذلك.

7- تكويد المحتوى:

والتكويد يعنى وضع وحدة التحليل فى إحدى فئات المحتوى، والتكويد أكثر الإجزاء استهلاكا للوقت، ويفضل أن يكون عدد المكودين صغيراً (بين ثلاثة إلى ستة عادة).

وهـــناك استمارات معيارية توضع لتسهيل عملية التكويد (أنظر الشكل التالى) رقم (1)

الحروف الاستهلالية ــــــــــــــــ ـــــــــ كود البرنامج

استمارة وصف محاولة حل المشكلة

1- رقم كود البرنامج 01 02 03 04 05 06 07

2- اسم الشخص الذى يحاول الحل ــــــــــــــــ

(ملاحظـــة: أجـــب على الأسئلة التالية فى حالة عدم تسجيلها قبل ذلك فى استمارة وصف الشخصية).

3- هل الشخصية	4- هل الشخصية
بطل	إنسان
وغد	حيوان

غير ذلك

5- هل الشخصية
ذكر
أنثى

6- هل الشخصية
طفل (2-11)
مراهق (12-19)
شاب (20-49)
كهل (50+)

7- هل تتمتع الشخصية بقوى غير واقعية .
ـ نعم
ـ لا

الشكل رقم (1)

وهــذه الاستمارات تسمح للمكودين بتصنيف البيانات بوضع علامات الأمــاكن المحــددة من قبل، وقد تكون هذه الاستمارات على بطاقات مقاس "4 × 6" وتمكــن البطاقات الباحث من فرز المعلومات بسرعة حسب الفئات المناسبة.

وهــناك أجهــزة قــياس خاصــة Templates لــسرعة قياس المساحة بالصحيفة. أما الباحثون فى مجال التليفزيون فهم يسجلون البرامج عادة بحيث يــبدأ ويتوقف الشريط حسب رغبتهم وأثناء تكويد البيانات. هذا وعند استخدام الحاســب الآلــى فــى تبويب البيانات، فإنها تنقل مباشرة لاستمارات التكويد الخاصــة بالحاسب، أو استمارات الفرز الضوئية Optical Scan Sheets وتوفر هذه الاستمارات الوقت، فضلاً عن تقليل أخطاء البيانات.

والحاسبات الآلية مفيدة فى مرحلة تبويب البيانات كما أنها مفيدة كذلك فى عملية التكويد الفعلية. ومن الممكن أن تتعرف الحاسبات على الكلمات أو حتى المقاطع Syllables كما تحدث فى عينة من النص. ولكن من عيوب هذه الطــريقة أن النسخة الأصلية التى يتم فرزها يجب أن تكون فى شكل مقروء آلــيا ولعــل إدخــال نظم التيلتيكست والفيوداتا حيث تكون النسخة فى شكل مقــروء آلــيا- سيغير من الموقف ويقضى على العيوب السابقة.. وعلى كل حــال فاستخدام الحاسب الآلى فى تحليل المحتوى هو أمر مقبول على نطاق واسع فى الوقت الحاضر.

8- تحليل البيانات:

تعتبــر مقايــيس الإحصاء الوصفى مثل النسب والمتوسطات والمنوال والوســيط مناســبة لتحلــيل المحتوى. وإذا ما وضعت فروض للبحث، فإن الإحــصاء الاســتدلالى يمكــن استخدامه أيضاً، هذا واختبار (كا2) هو أكثر الاختبارات استخداما، وذلك نظراً لأن معظم بيانات تحليل المحتوى تميل أن تكــون اســمية فــى الشكل. ومع ذلك فإذا كانت البيانات تستجيب لمتطلبات القياسات الفترية أو النسبية فيمكن استخدام اختبار (t) أو Pearson's (r) وغير ذلك من الأساليب والقياسات الإحصائية.

9- تفسير النتائج:

إذا كان الباحث يختبر فروضاً محددة خاصة بالعلاقات بين المتغيرات، فــإن التفسيرات ستكون واضحة إلى حد كبير، ومع ذلك فإذا كانت الدراسة وصــفية بطبيعتها، فهناك بعض الأسئلة التى يمكن أن تثار بالنسبة لمعنى أو أهمية النتائج.

10- الثقة Reliability:

إذا كــان تحليل المحتوى منهجاً موضوعياً فى البحث، فمن اللازم أن تكــون قياســاته وعملياته موثوق بها. والثقة هنا تعنى أن القياسات المتكررة لنفس المواد ستؤدى إلى قرارات ونتائج متماثلة، وإذا لم تحقق النتائج معيار الــثقة فلابــد أن يكون هناك خطأ مع المكودين أو تعليمات التكويد أو تحديد الفــئات أو وحــدات التحلــيل أو أى توليفة من هذه الأخطاء. وهناك بعض الخطــوات التــى يوصى الباحثون بالأخذ بها لتحقيق مستويات مقبولة للثقة وهى كما يلى:

أ- يجب القيام بتحديد حدود الفئات بتفصيل كاف. من أجل ذلك فلابد من وضــع بعــض الأمــثلة لــوحدات التحلــيل وشرح مختصر لها لفهم الإجراءات فهما كاملاً.

ب- تــدريب المكودين على استخدام أدوات التكويد ونظام الفئات، على أن يقــوم الفــريق المــتدرب جميعه بتكويد المواد كعينة، وأن يتم مناقشة النــتائج وغرض الدراسة، ونتائج هذه المناقشات النهائية تعتبر المعيار الــذى يجب أن يتبعه جميع المكودين وأن يتسلم كل واحد منهم نسخة من هذه المعايير.

ج- يجب القيام بدراسة مبدئية Pilot Study وذلك باختيار عينة صغيرة من مجــتمع التحليل ثم ترك المكودين لوضع الفئات بشكل مستقل كل عن الآخر، وهذه البيانات مفيدة للتعرف على الفئات التى يتم تحديدها بدقة، وكــذلك للتعــرف علـــى مستويات المكودين أنفسهم. ولعل الجدولين التاليين يعكسان هذه المشاكل.

الجدول الأول : فئات لم يتم تحديدها بدقة

	المكودون		الفئات	
	I	II	III	IV
أ	1,3,7,11	2,5,6,8,12,13	10	4,9,14
ب	1,3,7,11	5,8,10,12	2,6,13	4,9,14
ج	1,3,7,11	2,8,12,13	5,6,10	4,9,14
د	1,3,7,11	5,6	2,8,10,12,13,14	4,9

الجدول الثانى: نماذج أخطاء التكويد Chronic Dissenter

المواد	المكودون		
	أ	ب	ج
1	1	1	11
2	111	111	1
3	11	11	11
4	IV	IV	111
5	1	11	11
6	1V	1V	1
7	1	1	111
8	11	11	1

ففـــي الجـــدول الأول يلاحظ أن تعاريف الفئات 1V,1 مرضية، فجميع المكودين قد وضعوا الوحدات 1، 3، 7، 11 فى الفئة الأولى، أما فى الفئة 1V فالمـــادة رقم 14 قد تم تصنيفها بطريقة منتظمة بواسطة ثلاثة من بين الأربعة مكودين، أما المادتين 4، 9 فقد تم تصنيفها بطريقة منتظمة بواسطة الأربعة.

والارتـــباك والحيـــرة واضـــحة فى الحدود بين الفئة 111,11 فالمواد مـــصنفة بطرق مختلفة بينها. وبالتالى فتعاريف الفئتين المذكورتين لابد من مراجعتها وذلك لتوضيح المقصود منها على وجه الدقة.

أمـــا الجدول الثانى فيعكس عدم الاتفاق الواضح فالمكودان أ،ب يتفقان فـــيما بينهما سبعة مرات من ثمانية، أما المكودان (ب، ج) يتفقان مرتين فقط من بين ثمانية، أما المكودان (أ، ج) فيتفقان مرة واحدة، و واضح أن المكود (ج) هو أقلهم كفاءة وسيؤدى عمله إلى مشكلة فى النتائج وفى هذه الحالة إما أن يعيد الباحث شرح التعليمات من جديد، أو أن يستغنى عن هذا المكود إذا استمرت أخطاؤه بعدذلك.

وإذا مـــا أدى اختبار الثقة إلى نتائج مرضية فإن البيانات الرئيسية يتم تكـــويدها بعد ذلك. وعندما يكتمل التكويد، فمن المفضل أن يتم إعادة تحليل عيـــنة صـــغيرة من البيانات (من 10%إلى 25%) بواسطة مكودين مستقلين وذلك لحساب ما يسمى بمعامل الثقة الشامل Overall intercoder reliability coefficient ويمكـــن حساب هذا المعدل بعدة طرق ومعادلات، واحدى هذه المعادلات التى ابتدعها هولستى (1969م) Holsti هى:

$$\text{الثقة} = \frac{2\text{م}}{\text{ن}1+\text{ن}2}$$

حـــيث م هى عدد قرارات التكويد التى يتفق عليها اثنان من المكودين، أما ن1، ن2 فهى تدل على العدد الكلى لقرارات التكويد بواسطة المكود الأول والثانى على التوالى.

وعلـــى ذلـــك إذا قام إثنان من المكودين بالحكم على عينة صغيرة من خمسين وحدة واتفقوا عى (35) منها فإن المعادلة تحسب كما يلى:

$$\text{الثقة} = \frac{(35)2}{50+50} = 70$$

وعلى الرغم من أن هذه المعادلة سهلة ومباشرة، إلا أن النقد موجه لها نظراً لأن اتفاق المكودين يكون بعضه بطريق المصادفة.

وعلى كل حال فمعظم تحليل المحتوى المنشور يؤكد على نسبة ثقة لا تقل عن 90% أو أكثر عند استخدام معادلة هولستى السابق الإشارة إليها.

11- الصحة Validity

يجـــب أن يتحلى تحليل المحتوى إلى جانب الثقة بعامل الصحة أيضا، والـــصحة تعنـــى درجة قياس المقصود بالقياس.. وإذا ما كان تصميم العينة خاطئا وإذا مـــا تداخلت الفئات مع بعضها أو إذا كانت الثقة منخفضة وإذا لـــم تكـــن التعاريف المستخدمة محددة تماماً، فمن المحتمل أن تكون الدراسة ذات صحة منخفضة.

وهـــناك أســـاليب وطـــرق عديـــدة لتحقيق الصحة فى البحث وأهمها الأســـلوب المعـــروف باسم الصحة الوجهية Face Validity وهو يفترض أن الأداة تقـــيس بكفايـــة المطلوب قياسه، إذا كانت الفئات محددة بطريقة دقيقة ومرضـــية، وإذا مـــا كانت الإجراءات المتخذة فى التحليل تتم بطريقة كافية أيضاً.

وفـــى خـــتام هذا كله فيجب أن نؤكد على ضرورة تفسير نتائج تحليل المحـــتوى بطـــريقة أكثر حذراً، ذلك لأن استنتاج أى تأثير لمحتوى الرسالة يجب أن يكون مصحوباً بدراسة فاحصة للجمهور المستهدف.

وفيما يلى مثال للتحقق من الثقة والصدق فى عملية التكويد:

لنفتــرض أن أحد أغراض التحليل هو تقدير متوسط عدد الموضوعات الوطنية- الدولية- المنشورة على الصفحة الأولى لعدد من الصحف.. عند ذلك فيمكنــنا أن نقــرر اختبار الثقة فى هذه الحالة وذلك بأخذ خمسين صحيفة من العيــنة ثم يقوم كل واحد من القائمين بالتكويد بفحص هذه الصحف.. على أن يحسب عدد الموضوعات الوطنية -الدولية- على الصفحة الأولى لكل منها.

ثــم نحــسب بعــد ذلك مصفوفة الارتباط Correlation Matrix مسجلين العلامات Scores المتعلقة بكل صحيفة بواسطة كل اثنين من القائمين بالتكويد.

وعلـــى ســبيل المــثال ففى الشكل رقم (2) كل نقطة فى رسم الانتشار Scattergram تمثل العلامات التى وضعها القائم بالتحليل للصفحة الأولى بالنسبة لــصحيفة معينة (القائم بالتكويد الأول (1) على المحور الرأسى والقائم بالتكويد الثانـــى (ب) على المحور الأفقى).. وقد أثبتت النتائج أن هناك درجة عالية من الاتفاق بين هذين القائمين بالتكويد ومعامل الارتباط فى هذه الحالة مرتفع.

ولكــن مــاذا ســيكون عليه الحال إذا كان معامل الارتباط منخفضاً؟ والعلامات التى وضعها كل واحد من القائمين بالتكويد مختلفة بدرجة كبيرة؟ من الواضح أن هناك على الأقل فرصتين للخطأ وهما:

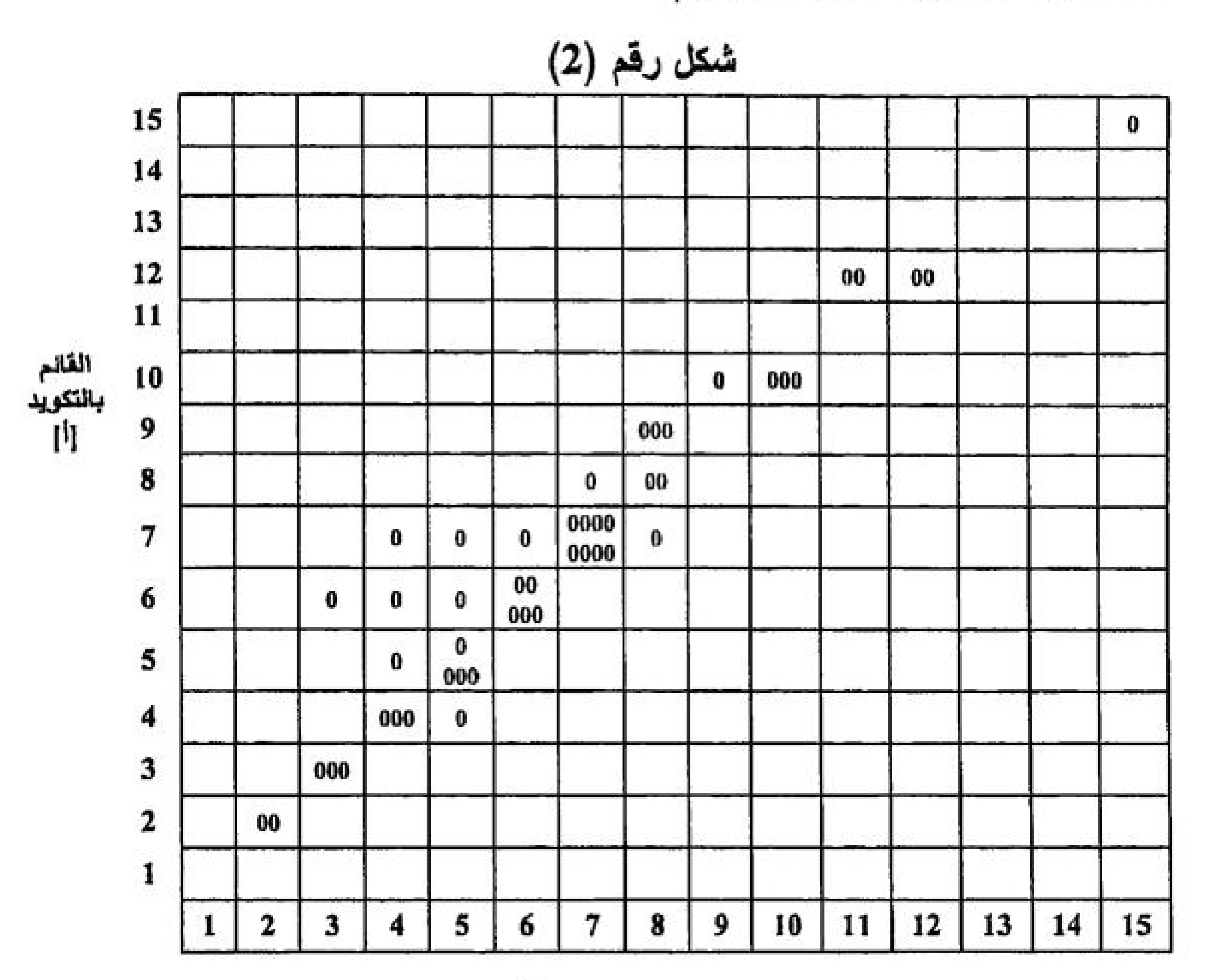
أ- أن القــائم بالــتكويد ســيهمل بعــض المواد أثناء عملية التكويد وفحص الجريدة.

ب- أن القــائم بالــتكويد سيــشمل تحلــيله جميع القصص الموجودة ولكنه سيكودها بطريقة خاطئة لسبب أو لآخر.

وعلـــى ذلــك فإنـــه من المفيد عادة ألا تراجع العلامات الكلية المعطاة لجــريدة معينة فحسب ولكن أن ينظر المحلل إلى التكويد بطريقة أكثر عمقاً.. والــتأكد مـــن أن القائمــين بالــتكويد يقومون بتكويد نفس الموضوعات بنفس الطريقة.

وعلـــى العمـــوم فإن القيام باختبارات الثقة والصدق يتم تحت ظروف تكـــويد طبيعية وباستخدام مواد طبيعية وبدون تعريف القائمين بالتكويد أنهم يخضعون لاختبار خاص لقدراتهم.

شكل رقم (2)



رســـم التـــشتت يبين عدد القصص أو الموضوعات الوطنية –الدولية– الموجـــودة على الصفحات الأولى لخمسين صحيفة بواسطة اثنين من القائمين بالتكويد.

سادساً: استخدامات تحليل المحتوى بين النظرية والتطبيق

يهـــتم بعـــض المشتغلين بتحليل المحتوى بصفة أساسية بما يحدث فى المحـــتوى ذاته دون أن يكون لهم اهتمام بالمصدر الذى انتج هذه الرسالة أو الجمهـــور المـــستهدف بها.. ولكن مثل هؤلاء المشتغلين ومثل هذه المشاكل

نادرة.. ذلك لأن تحليل المحتوى يستخدم عادة لاستخلاص أو استنتاج بعض الجـوانب فى المصدر والتى لها أصول فى المحتوى، أو بعض الجوانب فى الجمهـور المستهدف أو الشخص الذى تعرض لهذه الرسالة، كما قد يتناول تحلـيل المحتوى بعض الاستنتاجات الشاملة العامة عن أجزاء متفرقة أو عن كل النظام الاتصالى موضوع الدراسة.

سابعاً: استخلاص النتائج

1- استخلاص النتائج عن مصادر الاتصال

لقـد لاحظ علماء النفس أن اللغة تعبر إلى حد كبير عن الفكر.. وأنه يمكـن الحـصول علـى نـتائج متصلة بالعمليات العقلية للشخص ومتعلقة باتجاهاتـه واهـتماماته وأهدافـه بناء على الدراسة العميقة لكتاباته وإنتاجه وتعبيـره الـشفوى Verbal Output ذلـك لأن هذه الاتجاهات والاهتمامات والأهـداف يمكـن أن يكـشف عـنها المصدر عادة فى خطبه أو كتاباته.. فالرسـالة إذن يمكـن أن تبين لنا: أن المصدر كان تحت ضغط عاطفى أو مؤثرات اجتماعية؟ وهل كان خائفا؟ قلقا؟ أم متقلب المزاج؟ أو غير ذلك..

وعلـى كـل حال.. فإذا كانت الرسالة تعكس هذا كله، فلابد أن يتوفر لدينا بعد النظر والملاحظة الدقيقة لرؤية ما تعكسه الرسالة، وهى نفسها مرآة للقـوى التى تقف وراء المصدر أو تعيش داخل المجتمع،أو مرآة للثقافة التى يعيشها هذا المصدر.

فمن التقاليد المتفق عليها مثلاً أن الآراء السياسية التى يتم التعبير عنها فى مقال التحرير Editorial تعكس اتجاهات الصحيفة، أما الأخبار التى تنقلها الـصحيفة فـلا تتلون مع سياسة الصحيفة.. بل تظل هذه الأخبار بعيدة عن التلون السياسى ويتم التعبير عنها بطريقة موضوعية Objective.

ولكن القائمين بعملية تحليل المضمون لكل من مقال التحرير والأخبار فـــى الصحيفة قد يكتشفون أن مقال التحرير والأخبار ليسا شيئين منفصلين.. أو قد يكتشفون أن أحدهما يؤثر على الآخر.

وفـــى الجـــدول التالـــى يمكـــن أن نشير إلى العلاقة بين تأييد المقال التحريـــرى لـــبعض المرشحين والأخبار الواردة فى أعمدة الصحيفة وذات العلاقـــة بهؤلاء المرشحين .. وهذه النتائج مبنية على الدراسات التى قام بها معهد ستانفورد للدراسة الصحفية.

جدول رقم (1)

اتجاه مقال التحرير بالصحف فى العينة

فقرات الأخبار	التى تؤيد نيكسون		المحايدة		التى تؤيد دوجلاس	
بالأعمدة	دوجلاس	نيكسون	دوجلاس	نيكسون	دوجلاس	نيكسون
مؤيدة	%27.5	%53.8	%42	%34.4	%75.7	%23.2
محايدة	%30.2	%35.8	%38.8	%46.1	%38.8	%38.4
معارضة	%42.3	%10.4	%19.2	%19.5	%3.5	%38.4
مجموع النسب المئوية	%100	%100	%100	%100	%100	%100
فقرات	2992	2930	528	486	707	458
صحف	9		1		2	

ونحـــن نلاحظ ان وحدة الترميز فى هذا البحث هى الفقرة Statement وقد عرفها معهد ستانفورد بأنها "التعبير الذى يدل على فكرة كاملة".

هـــذا وقد أوضحت النتائج فى الجدول المبين أعلاه بالنسبة للصحيفتين المواليتـــين لـــدوجلاس أن هـــناك تـــوازنا فى فقرات أعمدة الأخبار المؤيدة لمقـــالات التحرير الموالية للمرشح.. أما بالنسبة للصحيفة غير المتحيزة لاى مـــنهما فإنها كانت مؤيدة لدوجلاس بدرجة طفيفة ولكن هناك صحيفتين فقط مـــن الـــصحف الموالـــية لنيكسون قد أظهرتا توازنا فى الفقرات التى تؤيد دوجـــلاس.. وباقى الصحف كان لديها توازن فى الفقرات التى تؤيد نيكسون فى أعمد الأخبار.

وإذا كانـــت هـــذه النـــتائج لا تثبت الفرض بصورة قطعية بأن موقف التحريـــر في صحيفة ما سوف يؤثر على عملية الاتصال في أعمدة الأخبار. (ذلـــك لأن عددا قليلا جدا من الصحف قد تم دراستها، وكذلك فهناك عوامل كثيـــرة إضافية تدخل في البحث). إلا أننا يمكن أن نشير إلى أن هذه النتائج تـــتفق مـــع الفرض بصفة عامة. وهناك دراسات وبحوث أخرى استخدمت مناهج وأساليب أقوى في هذا المجال الحساس والعسير من الدراسات.

2- استخلاص النتائج عن مستقبلي الرسالة:

هـــل نـــستطيع أن نعـــرف تأثير الرسالة عن طريق تحليل المضمون وحده؟ لقد حير هذا السؤال كثيرا من الباحثين خلال سنوات طويلة. ذلك لأن هـــناك صـــعوبة واضحة في التنبؤ بصفات محتوى الرسالة التي ستؤدي إلى اهتمام الجمهور Readability كما أن هناك صعوبة في التنبؤ بدرجة "فهم" أو "قـــراءة" أو "استماع الجمهور لرسالات معينة. هذا فضلا عن صعوبة التنبؤ بمـــا يمكـــن أن تؤثـــر به الرسالة في "اتجاهات" و"مشاعر" الجمهور ودرجة تماسكه أو تحوله الاجتماعي. الخ..

ولا يخفي على القارئ الباحث أهمية الاجابة على هذا السؤال بإجاباته العديـــدة –من النواحي النظرية والعملية– فلو استطاع الباحث أن يتنبأ بحجم الجمهـــور الـــذى ســـيقرأ أو يـــسمع "إعلانا" معينا بناء على تحليل مضمون الإعلان.. ولو استطاع الباحث أن يتنبأ برد الفعل العالمي لجهود الدعاية التي تقوم به الدولة عن طريق تحليل مضمون الرسالات الدعائية والاتصالية. إذن لقدم الباحث خدمة علمية جليلة.

لقـــد كـــان هـــناك دائمـــاً صعوبة بل ومخاطرة في دراسة "الاتصال الجماهيـــري" نظرا لعدم استطاعة الباحث التحكم والتعرف على قنوات رجع الـــصدى Feedback من الجمهور المستهدف إلى مصدر الرسالة، ففي معظم حـــالات الاتـــصال بالجماهيـــر تبث الرسالات، ثم يكون الأفراد أحرارا في

الاستجابة أو عدم الاستجابة لهذه الرسالات. وإذا كان خبراء الاتصال يحاولون بشتى الوسائل أن يقدموا للجمهور المستهدف محتوى للرسالة يستجيب لاحتياجاته، إلا أن معظمهم يعمل في شبه ظلام، لأن ردود الفعل الجماهيرية بطيئة وعسيرة التقييم.

وهناك بعض المحاولات والبحوث التي أجريت في هذا الاتجاه ومن بينها دراسة العوامل المتوفرة في الاعلان، والتي ستؤدي إلى اهتمام أو استجابة منخفضة. وهذه الدراسة هى ما يعرف بدراسة القرائية Readership Study لقد حاول العالم تويد Twedt أن يتعرف على الارتباط Correlation بين خمسة عشر "متغيرا" في الاعلانات (مثل: عدد الألوان، عدد أساليب الاعلان المستخدمة. الخ) وبين تسعة عشر متغيرا في المضمون(مثل مستوى علامات فليش Flesch للقراءة والتجريد، عدد "المزايا" Benefits في العناوين Headlines... الخ. مع علامات القراءة في (137) اعلانا. وبعد أن استبعد الارتباطات التي ليست لها دلالة، وبعد قيامه بدراسة تحليلية للعوامل. انتهى تويد Twed إلى معادلة انحدار متعددة Multiple Regression Equation مبنية على ثلاثة عوامل هي:-

1. حجم الاعلان.
2. عدد الألوان.
3. عدد البوصات المربعة للصورة (وكان الارتباط المتعدد لهذه القياسات بعلامات القرائية Criterion Readership Scores هو 0.76) وكانت المعادلة كما يلي:-

القراءة المتنبأ بها:

= 10.456 + 08.293 (حجم الاعلان في الصفحات)

+ 03.869 (عدد الالوان)

+ 00.181 (عدد البوصات المربعة للرسوم والصور).

وقـد اختبـر تويد Twedt صحة هذه المعادلة بمقارنة علامات القراءة المتنبأ بها والفعلية في ست مجلات أخرى.. وكان متوسط (Mean) الارتباط هو 0.17.

وهـناك دراسـات متنوعة وعديدة تحاول الوصول إلى استنتاج تأثير المحـتوى أو المـضمون، وعلى العموم، فقد حاول الباحثون في هذا المجال التنـبؤ فقط بالتأثيرات "الأبسط" للمضمون.. التي تتصل بمستوى الاهتمام أو الفهم مثلا، ولكن هذه الدراسات لم تول عنايتها باستخدام تحليل المضمون في التنبؤ بردود الفعل العاطفية أو بتغير الاتجاه أو غير ذلك.

ثامنا: التطورات الجارية في تحليل المضمون:

إن تـاريخ تطور تحليل المحتوى يكشف عن حلقات مترابطة ومستمرة لهـذا الـتطور، فقد زاد استخدام أسلوب تحليل المحتوى كمنهج للبحث زيادة ملحـوظة، وتـم تطبـيقه على نطاق عريض من المشاكل خصوصا تلك التي تتصل بالقضايا التاريخية وتأثيرات وسائل الاتصال والدعاية. كما زاد استخدام تحليل المحتوى كوسيلة لاختبار الفروض بدلا من مجرد البحث الوصفي. هذا فـضلا عن تعدد أشكال المواد المستخدمة في عملية التحليل واستخدام أسلوب تحلـيل المـضمون كمكمـل للأسـاليب الأخرى ثم استخدام الالات الحاسبة الالكترونية في تحليل المحتوى. وفيما يلي تفصيل بعض تلك التطورات:

1. هناك اتجاهات متباعدة في تحليل المضمون إذ يهتم البعض بالبساطة في القياس بينما يركز البعض الآخر على القياسات المعقدة.

   ولكن هذه الأساليب المعقدة تتم الآن بطريقة أسهل وأبسط مع التطور في هذا المجال. فهناك على سبيل المثال معادلات قرائية جديدة Readability Formula أسهل في الاستخدام والتطبيق.

2. تهتم الدراسات الخاصة بتحليل المضمون باختبار الفرض وذلك إذا قارناها بالبحوث الوصفية المجردة. ويعتبر هذا الاتجاه ذات أهمية لسببين:

أولهما: أن طريقة اختبار الفرض تتصل بصحة Validity أسلوب القياس.

ثانيهما: أن اختبار الفرض طريقة تتجاوز مجرد الحوار والتحليل الذاتي لتأثيـــر وســـائل الاعلام الجماهيري أى تتجاوز مجرد الاعتماد على الأدلة المنطقية وحدها.

وباختصار فإن طريقة تحليل المضمون قد قل استخدامها كمنهج عندما لا نستطيع أن نفحص المصادر أو نتعرف على الجماهير التي تتلقى الرسالة، كمـــا كثـــر استخدامها كمنهج عندما نقوم كذلك بفحص أو مضاهاة المصادر والجماهير المستهدفة بالرسالة.

أى أن تحليل المضمون يلعب دورا متزايد الأهمية في الدراسات التي تـــتكامل مـــع بعضها والتي تتصل بالنظم الإتصالية أو بالعمليات الاتصالية ككل. وليس بأجزاء معزولة من تلك النظم.

3. هناك تحول بالنسبة للأفكار المحورية التي يتم فحصها بالطريقة التحليلية. فالـــرغبة مثلا في التعرف على التحيز Bias في الصحافة قد تحول إلى الرغبة في التعرف على عمليات الضبط الاجتماعي في إعداد الصفحات الاخبارية.أى أن التغير قد تم نحو أفكار محورية تتصل بالأفكار النفسية والاجتماعـــية المجردة والنظرية أكثر من توجه هذه الأفكار نحو قضايا أخلاقـــية محـــددة. وإذا كانـــت الدراسات الجديدة قد تبدو أقل جاذبية في الاطلاع عليها. فإنها تبدو أكثر اقترابا من العلم.

4. وهـــناك تطـــور ملحوظ في مختلف المناهج ومن بينها تحليل المضمون، وهـــو استخدام الحاسبات الآلية. ذلك لأن هذه الحاسبات الآلية ذات قدرة هائلة في حفظ المعلومات ومراجعة الحقائق المختزنة وبالتالي فهي ذات أهمـــية كبرى في عمليات تحليل المضمون . خصوصا تلك التي تتصل بالبحث في المحتوى عن حدوث كلمات معينة أو مجموعة كلمات محددة،

مـــع إمكانـــية اســـتخدام عينات أكبر حجماً من المستخدمة من قبل نظرا للسرعة التي تعمل بها الحاسبات الآلية.

5. وأخيـــرا فهـــناك تطور نحو استخدام تحليل المضمون في التجريب حيث يمكـــن أن تـــتم التغييرات في المحتوى بصفة منتظمة Systematic ويتم توثيق هذه التغييرات عن طريق تحليل المضمون. ثم التعرف على تأثير هـــذه التغيـــرات على الجمهور. وهناك دراسات تهتم بتطويع الظروف المحـــيطة بمـــصادر الاتـــصال ثم تحليل محتوى الرسالة الذي يقوم به المـــصدر وستزيد مثل هذه الدراسات من معلوماتنا عن عملية الاتصال من غير شك.

هـــذا ويمكننا أن نقول في ختام هذا العرض، إن تحليل المضمون هو مـــنهج يمكـــن اســـتخدامه بطريقة سليمة أو غير سليمة بالنسبة لمشاكل ذات أهمـــية أو مشاكل أخرى عديمة الأهمية، وبالتالي فإن البحث الجاد يعتمد في الـــنهاية علـــى المعرفة الكافية بالموضوع وعلى التصور الخلاق، ولا يعتبر اختـــيار طـــريقة معينة أو منهجاً معينا في البحث ميزة أو هدفا في حد ذاته، ذلـــك لأن الباحث لابد أن يسأل نفسه عن أفضل الطرق والمناهج والأدوات الـــصالحة لاختبار فروضه وحل مشكلة البحث المتميزة التي أمامه. إذ ربما يـــستطيع بطـــريقة أو بأســـلوب آخر أو بتكاليف أقل أن يحقق ما يريد دون الاستعانة بطريقة تحليل المضمون.

إن التعبير الكمي عن المواد الوثائقية في طريقة تحليل المضمون يمكن أن تـــؤدي إلـــى نتائج وبيانات هامة عن جوانب عديدة من التجربة والسلوك الإنـــساني. ومع ذلك فينبغي على الباحث أن يقاوم الإغراء نحو عدّ الأشياء بهـــدف العدّ ذاته. فقد يؤدي نشاطه هذا إلى نتائج دقيقة ولكن لا معنى لها أو مجرد نتائج ذات قيمة تافهة.

تاسعاً: نموذج تطبيقي لتحليل محتوى شبكات الأخبار الأمريكية لتغطية زيارة الرئيس السادات لاسرائيل عام 1977

1/9 مقدمة ومشكلة الدراسة:

لقـد اسـتحوذت أحـداث الـشرق الأوسـط على اهتمام الرأى العام الأمريكـي، وذلك بسبب انشاء اسرائيل منذ أكثر من ستين عامًا، وقد اتضح هـذا الاهتمام في تغطية الصحافة الأمريكية، إذ احتلت أخبار الشرق الأوسط فـي التليفزيون المرتبة الثانية – بعد فيتنام – في أواخر الستينيات. (وارنر، Warner 1968).

ولقـد تمـت خـلال هـذه الفترة عدة دراسات أكاديمية للتعرف على التحيـزات – في حالة وجودها – بالنسبة لتغطية أخبار الشرق الأوسط. وفي الواقـع فقد أعلنت كل هذه الدراسات تقريبا أن هناك تحيزا ضد العرب، كما أن الإنتاج الفكري الشعبي يتهم وسائل الإعلام بالتحيز للمصالح الإسرائيلية.

لقـد تبـين في تحليل للمحتوى يغطي المراحل الأولى للحرب العربية الاسـرائيلية لعـام 1956، أن جـريدة نيويورك تايمز كانت مؤيدة لإسرائيل وناقـدة للجهود العربية (باتروكا، Batroukha 1961). كما أظهرت الدراسة نفـسها – مع ذلك – أن صحيفة كريستيان سينس مونيتور كانت متوازنة في تغطيتها الاخبارية، وقد وجد سليمان (1965) أن هناك سبعة مجلات اخبارية أمـريكية رئيـسية مؤيدة لاسرائيل وضد العرب بصفة عامة خلال الشهور الستة الأخيرة لعام 1956. ولاحظ سليمان امتناع الصحافة الأمريكية عن نقد الإسرائيليين (سليمان 1965ص 11).

أما التغطية الصحفية لحرب الشرق الأوسط عام 1967 فقد تم تحليلها في عدد من الدراسات، وأظهرت معظمها أن وسائل الاعلام الأمريكية كانت مؤيدة لاسرائيل خلال حرب الأيام الستة (1967 وA I P C ، بلكوي Belkaoui، 1978

فارمــر 1968 Farmer هــووارد، Howard ، 1967، ســليمان، Suleiman، 1970).

ولقد بررت الصحافة الأمريكية هذا الانحياز بأنها تستطيع الوصول إلى الأخــبار الاسرائيلية بطريقة أكثر سهولة، وهو تفسير ميشيل سليمان (1970). فخلال شهري مايو ويونيو عام 1967 فقد كان 84% من التقارير الصحفية عن الــشرق الأوســط مــؤيدة لاســرائيل ومعاديــة للعــرب خلال حرب 1967 (ص 140-141).

هــذا بالإضــافة إلى العرض المستمر لإسرائيل كصانعة لمعجزة في ســيناء وعلى سبيل المثال فقد قارنت التقارير بكثرة بين عدد السكان العرب الهائــل من المحيط للخليج وبين سكان إسرائيل، دون مقارنة لجيش اسرائيل المكون من (300000) بجيش العرب المكون من 285000) (سليمان، 1970)، وقد دعمت دراسات أخرى AIPC بلكوني، فارمر، هووارد) هذه النتائج التي وصل إليها سليمان.

وقــد ذهــب بلكــوي (1978) إلــى أن الصحافة الأمريكية المؤثرة، Prestige Press قــد خلقت صورة محايدة للإسرائيليين عام 1967 الذين كانوا يميلون إلى الخبر والقول والاعلان وليس التهديد أو التحذير (ص736) ومن جهة أخرى فإن العرب كانوا يميلون لتوصيل رسالتهم بأسلوب يملأه العدوان والغــضب والــتهديد (ص736) فــضلا عــن أنها كانت تعرض الأشخاص الاســرائيليين عــام 1967 علــى أنهم ابطال بينما كان القادة العرب يرونهم أوغادا Villains (بلكوي، 1978).

وفي دراسة للتغطية الصحفية منذ نهاية عام 1967 وحتى عام 1969، فقد وجــد واجنر (1973) (Wagner) أن المقالات التحريرية لكل من New York Times, Los Angeles Times, Washington Post.

نـــيويورك تايمز، ولوس انجلوس تايمز، واشنطن بوسطن قد أظهرت نغمـــة مواليـــة لإســـرائيل بـــصفة عامة فضلا عن "الاهتمام بتحقيق تسوية تفاوضية (Wagner, 1973,317).

أمـــا تغطـــية وسائل الاعلام لحرب 1973 فقد عكست تغييرا واضحا بالنـــسبة لتأيـــيد الـــصحافة الأمـــريكية لإســـرائيل. فقـــد تبـــين لجـــوردن (Gordon,1975) أن شـــبكات التليفـــزيون تقوم بتغطية اخبارية متوازنة في الـــولايات المـــتحدة، على الرغم من أن جريدة نيويورك تايمز – كما يذهب زاريمبا(Zaremba, 1977) قد اعتبرت العرب كمعتدين أيضا مثلما كان الحال في حرب عام 1967 (Wagner, 1973).

هـــذا وتعتبـــر دراسة جوردن السابق الإشارة إليها، ذات أهمية بالغة، لأنهـــا الدراسة الوحيدة المنشورة لتحليل محتوى أخبار التليفزيون الأمريكي عـــن الـــشرق الأوسط. فقد تبين لجوردن عدم وجود فرق ملحوظ بين عدد التقاريـــر التي تخرج من كل من إسرائيل والبلاد العربية، وعلى الرغم مما لاحظه من بعض الاختلافات في عرض بعض الشبكات للأخبار، إلا أن هذه لا تعكس أى تحيز واضح في التغطية العامة لأخبار الحرب.

ولقـــد نـــاقش بلكـــوي (Belkaoui, 1978) هذا التحول في الاعلام عن الـــشرق الأوسط من الاتجاه المؤيد بشدة لاسرائيل إلى التغطية الأكثر تأييدا للعرب أثناء وبعد حرب عام 1973. وقد وصف الإسرائيليون بطريقة متزايدة بـــأنهم غاضبون قلقون، مندهشون، مذهولون. أما العرب فقد تعرضوا لحملة أكثـــر ايجابـــية لتغييـــر صورتهم ومن أكثر الأمثلة البارزة التي تعكس هذا التغييـــر والـــتحول فـــي صورة (البطل– الوغد) تأتي من مصر، فقد صور أنور السادات –على الرغم من بعض الجوانب السلبية– بطريقة أكثر تعاطفاً عام 1973 بالمقارنة بناصر في عام 1967 (بلكوي، 1978، ص 736).

وخلاصة ما جاء في الإنتاج الفكري المتوفر، هو أن وسائل الاعلام قد بـــدأت تغطـــية الشرق الأوسط من توجه مؤيد لإسرائيل في الخمسينيات، ثم

أصـــبحت هذه الوسائل أكثر وأكثر في موالاتها لاسرائيل حتى عام 1967 ثم أصبحت أكثر تعاطفا للعرب بعد حرب عام 1973.

وقـــد ظهرت بعض الشكوى والاعتراض الجديد من هذه التغطية على اعتـــبار أنهـــا تعكـــس العداء لاسرائيل (أنظر على سبيل المثال: هل وسائل الاعلام عادلة نحو إسرائيل؟ (Laquer, 1977. 1976, b Kenen 1976 ,1975)

وفـــي مقابلـــة أجـــرتها مجلة الدراسات الفلسطينية للمراسل الصحفي الخـــاص بالـــشرق الأوســـط في محطة ABC عام 1976، قال: " أعتقد أن التغطـــية التقلـــيدية لوســـائل الاعلام كانت مؤيدة للجانب الاسرائيلي وليس للجانـــب العربـــي.. ولكننى أعتقد أيضا أن هذه الموقف قد بدأ في التغيير – بـــصورة غيـــر جذرية ولكنها واضحة – بعد حرب أكتوبر وخصوصا بعد حظر تصدير النفط العربي للولايات المتحدة، وعلى العموم فقد اتخذت وسائل الاعـــلام لنفـــسها بـــصفة عامة، نظرة أكثر خصباً في التغطية وإن لم تكن واضـــحة المعالم دائما بالنسبة للعالم العربي (Ghareeb, 1976, N 127 – 28) أى أن المـــسرح كان معدا لوسائل الاعلام الأمريكية لعرض نظرتها الجديدة المـــؤيدة للعرب عندما أعلن الرئيس المصري أنور السادات في نوفمر عام 1977 عـــزمه علـــى زيارة القدس ومقابلة رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحم بيجين والقاء خطاب في الكنيست الاسرائيلي.. وهذه الرحلة المفاجئة – والتي صـــحبتها هالـــة ضـــخمة في الصحافة الأمريكية – تعتبر حدثاً اعلامياً من الطراز الأول (O. Conner, 1977) .

2/9 أسئلة البحث:

ونظـــرا لهذا التحول المزعوم في لهجة وسائل الاعلام الأمريكي فإن تغطـــية رحلـــة السادات لاسرائيل تعتبر مناسبة للدراسة، وذلك للاجابة على الأسئلة التالية:

1. هل تغيرت أخبار التليفزيون الأمريكي بطريقة واضحة عن اتجاهها الذي تعودت عليه وهو التغطية المؤيدة لاسرائيل؟
2. هــل كانــت التقارير الاخبارية التي ظهرت قبل الزيارة المذكورة مؤيدة لاسرائيل أم العرب؟
3. هل كانت هناك فروق في تغطية كل من الشبكتين الرئيسيتين في أمريكيا (ABC. CBS) لزيارة السادات؟

3/9 فروض الدراسة:

وفــي الإجابــة علــى هــذه الأسئلة فإن الفرض العام هو أن تغطية التليفــزيون لزيارة السادات عام 1977 ستكون مؤيدة للعرب بصفة عامة، أى أنها تعكس اتجاه تغطية وسائل الاعلام الأمريكي للشرق الأوسط.

وهناك بعض الفروض البحثية الأكثر تحديداً يمكن وضعها واختبارها كما يلي:-

فرض 1:

ســتحظى زيارة السادات بأعلى الأولويات في الأخبار المسائية خلال الفترة التي ستغطيها هذه الدراسة.

فرض 2:

ليس هناك فرق واضح في كمية الوقت المخصص لزيارة السادات بين كل من شبكات ABC,CBS.

فرض 3:

سيحظى السادات بوقت اخباري أكبر من ذلك الوقت المخصص لبيجن.

فرض 4:

سيحظى السادات بخلفية مرئية أكثر تأييدا من بيجن.

4/9 منهج البحث:

في محاولة للاجابة على الأسئلة البحثية واختبار الفروض فإن هذه الدراسة ستغطي تقارير الأخبار المسائية لشبكتي ABC, CBS خلال أسبوع نوفمبر (11–18–1977)،

(أول رواية اخبارية عن الزيارة الممكنة لاسرائيل بواسطة السادات، أذيعت يوم الاثنين الحادي عشر من نوفمبر، وقد توجه السادات لاسرائيل يوم السبت التاسع عشر من نوفمبر) لم يتم تغطية أخبار NBC نظرا لضيق الوقت، ومع ذلك فقد أثبتت البحوث السابقة أن النتائج سوف لا تختلف بدرجة كبيرة إذ تضمنت هذه الورقة البحثية دراسة NBC (انظر في ذلك Lemert, 1974). وقد تم تقسيم كل من الروايات العشر إلى قطاعات، وقد تم تعريف القطاع بأنه يمثل متحدثاً واحداً (كل مراسل معتمد قد اعتبر قطاعاً منفصلاً، وإذا ما تحدث هذا المراسل المعتمد مرتين أو أكثر في نفس اليوم، فقد اعتبر قطاعا واحدا فقط).

وقد تم وضع الوقت المخصص لكل فئة من الفئات بالإضافة إلى اتجاه أساسي Major theme (وحتى ثلاث اتجاهات رئيسية تمثل القطاع) على الرغم من أن كل قطاع لا يشترط بأن له بالضرورة اتجاه رئيسي أو اتجاهات فرعية.

ويوضح الجدول رقم (1) قائمة بالاتجاهات themes المستخدمة في الترميز ثم تصنيف الخلفية المرئية للقطاعات المعتمدة، أو القطاعات التي حدثت في الاستديو أما الجدول الثاني فهو يمثل استمارة الزمن المستخدمة في التصنيف.

5/9 نتائج الدراسة:

يمثل الجدول الثالث مكان وطول ونسبة كل إذاعة إخبارية تم تحليلها في هذه الدراسة حسب الأيام. ومكان تقرير الأخبار يدل على المكان Slot الذي

تحتله الرواية ، بحيث يعتبر رقم (1) القصة الأولى للبرنامج والرقم (5) القصة الأخيرة.

وتــؤيد هذه النتائج الفرض الأول والثالث. وقد حظيت زيارة السادات بأعلى أولوية في الاخبار المسائية خلال الفترة التي تغطيها في هذه الدراسة، ولــم يكن هناك فرق ملحوظ في كمية الوقت المخصص لزيارة السادات بين كل من الشبكتين ABC. CBS.

أمــا الجــدول الرابع فيمثل تحليلا للوقت الاخباري الكلي المخصص ــرواية السادات بواسطة التحدث، وكما هو متوقع ففئة المراسل المعتمد هى التــي احــتلت معظم الوقت، أى أنها استهلكت ما مجموعه 74% من الوقت الكلي المتاح للأخبار.

ولمــا كــان كــل من السادات وبيجن هما الممثلان الرئيسيان في هذا التحلــيل، فــإن كمية الوقت التي يظهران فيها على التقارير الاخبارية تعتبر ذات أهمية خاصة.

الفــرض الــثالث وهو أن السادات سيحظى بوقت اخباري أكثر بدرجة ملحوظة من بيجن. فعلى شبكة ABC حظي السادات بعشر ثوان فقط أكثر من بيجن على الهواء، ولكن على شبكة CBS فقد كان السادات أقل من بيجن بمدة دقيقتــين ونصف.وإذا كان كل من السادات وبيجن قد حظيا بنفس الوقت على الهــواء تقريبا على شبكة CBS فإن ذلك يبدو أنه يوحى بتغطية متوازنة، ولكن ذلــك فــي الواقــع هو ميزة إلى جانب بيجن، ذلك لأن الرواية الأصلية كانت للسادات، وبالتالي فحصوله على وقت أكثر على الهواء هو أمر له ما يبرره.

أما الفرض الخامس:

وهــو أن الاتجــاه العــام المؤيد للعرب سيحظي باهتمام أكبر بدرجة ملحــوظة – مــن الاتجاه العام المؤيد لاسرائيل فقد تم رفضه أيضا، اعتمادا علــى الجدولين الخامس والسادس، فأكثر الاتجاهات الرئيسية التي تم التعبير

عـــنها بكثـــرة (أنظـــر الجدول الأول) هذه كلها كانت اتجاهات عامة مؤيدة لاســـرائيل، وإذا ضمت هذه الاتجاهات مع بعضها فإنها تشكل 55.79% من وقت الأخبار الكمي المتاح كاتجاه عام رئيسي.

هذا والاتجاهات العامة المؤيدة للعرب، قد تم التعبير عنها في أقل من 34 دقيقة من المجموع الكلي المفحوص بالدقائق وهو 86.18 دقيقة.

وتبـــرز صورة مشابهة عند فحص الاتجاهات العامة الفرعية، والنتائج المقدمة في الجدول السادس تظهر الاتجاهات المؤيدة لاسرائيل وعلى الرغم من أن بعض الاتجاهات كانت مؤيدة للعرب كما تم التعبير عنها إلا أنه ليس هـــناك تأييد كاف للفرض الخامس هذا وأخبار التليفزيون لم تكن تقدم زيارة السادات بطريقة مؤيدة للعرب، وكان ذلك واضحاً بشكل محدد.

أمـــا بالنـــسبة للفرض السادس وهو أن السادات سيحظى بخلفية مرئية أكثـــر تأييدا في الروايات المعتمدة (بالاستديو) من بيجن على كل من شبكتي ABC/CBS فإن هذا الفرض مقبول بالنسبة لشبكة ABC ومرفوض بالنسبة لشركة CBS .

فعلى شبكة ABC تم تصوير السادات على خلفية الاستديو، وحده، مع رمـــز حمامـــة الـــسلام مـــن خلفه، وذلك لمدة أربعة من خمسة أيام غطتها الدراسة، وذلك لاعطاء انطباع بأن السادات، وحده، الذي يعتبر رمزا للسلام.

أما في اليوم الخامس، فلم تكن هناك صور لا للسادات ولا لبيجن ولكن الكلمات الحيادية التالية ببساطة "اسرائيل/مصر/الشرق الأوسط.

أمـــا شـــبكة CBS فقـــد صـــورت كلا من بيجين والسادات في ثلاث مناسبات وصورت السادات وحده مرة واحدة. ولم تظهر شبكة CBS السادات (أو بيجن) مع رمز للسلام كحمامة السلام مثلا.

وخلاصـــة هـــذا كلـــه أن التغطـــية بصورة عامة – لزيارة السادات لاســـرائيل كانـــت مـــؤيدة لاســـرائيل وليست مؤيدة للعرب. وتغطية زيارة

الـــسادات لـــم تعكـــس أى اتجاهـــات نحو تغطية مؤيدة للعرب في الاعلام الأمريكي.

6/9 تحليل نتائج الدراسة:

ماذا تشير إليه هذه النتائج؟

1. التغطـــية الاخبارية في الشبكات الأمريكية لزيارة السادات لم تكن مؤيدة للعـــرب. وهـــذا يتـــرك لنا في التفكير احتمالين أولهما أن التغطية كانت متوازنة وثانيهما أنها كانت مؤيدة لاسرائيل. ومن وجهة نظر الباحث فإن التقارير الاخبارية لم تكن متوازنة بل كانت في الواقع تميل إلى إسرائيل ميلا واضحا.

وعلـــى الـــرغم من "أفضلية الأخبار Newsorthiness تحتم أن يعطي السادات تغطية أكثر، أى أكثر من بيجين، إلا أن شبكة ABC قد أعطت بيجن وقتا أكثر، كما أن CBS قد أعطت الاثنين وقتا متساويا تقريبا. هذا بالإضافة إلـــى أن الاتجاهات العامة التي تم التعبير عنها في التقارير الاخبارية لم تكن مؤيدة للعرب، على العكس من ذلك فقد صورت العرب على أنهم ضد السلام وغير مؤيدين لرسالة السلام التي حملها السادات.

وعلـــى كـــل حـــال فالاجابة على السؤال الرئيسي الموضوع في هذه الدراســـة، هـــل تحول التليفزيون الأمريكي بطريقة واضحة عما تعود عليه الاعلام الأمريكي من التأييد لاسرائيل؟ فالاجابة على السؤال هى "لا".

لقـــد اســـتمرت البرامج في شبكات التليفزيون الأمريكية على تأييدها لاســـرائيل في تقاريرها الاخبارية، وإن لم تكن هذه التقارير مؤيدة لاسرائيل أو ضد العرب بنفس الدرجة التي كانت عليها فيما مضى، أى أنه ليس هناك دليل على اتجاه مؤيد للعرب في الاعلام الأمريكي كما ذهب إلى ذلك غريب (Chareeb, 1976) وكـــذلك بلكوي 1978 وغيرهم، ومع ذلك فيمكن أن يظهر هـــناك نـــوع من سد الفجوة بين تغطية الاسرائيليين كأبطال والعرب كأوغاد

وإن كـــان ذلـــك حقيقـــي بالنسبة لمصر وحدها نظرا للجهود غير Villians العاديـــة التـــي قـــام بها السادات في هذا الاتجاه. أما القادة العرب الآخرون وبلادهـــم فقد استمرت صورتهم سيئة لدى الصحافة، وذلك كنتيجة لسياساتهم واتجاهـــاتهم نحو المراسلين الغربيين فضلا عن تحيزات الصحافة الأمريكية نفسها في الأصل.

الجدول الأول:

تكوين الاتجاهات العامة الرئيسية والفرعية:

A يقوم السادات بهذه الزيارة بناء على مبادرته الشخصية.

B يقوم السادات بهذه الزيارة بناء على كل من مبادرته ومبادرة بيجن.

C يقوم السادات بهذه الزيارة بناء على مباردة بيجن.

D إذا تحقق السلام فإن السادات وحده سيكون المسئول.

E إذا تحقق السلام فسيكون السادات وبيجن مسئولين عن ذلك.

F إذا تحقق السلام فسيكون بيجن وحده هو المسئول.

G يجب أن يقوم السادات بزيارة إسرائيل.

H يجب ألا يقوم السادات بزيارة إسرائيل.

I يؤيد العرب زيارة السادات لاسرائيل.

J يؤيد الاسرائيليون زيارة السادات لاسرائيل.

K يؤيد الأمريكيون زيارة السادات لاسرائيل.

I لا يؤيد العرب زيارة السادات لاسرائيل.

M لا يؤيد الاسرائيليون زيارة السادات لاسرائيل.

N لا يؤيد الأمريكيون زيارة السادات لاسرائيل.

* كل واحد من هذه يمكن أن يكون اتجاهاً عاماً رئيسياً أو فرعياً بناء على مضمون النشرة الاخبارية.

وخلاصـــة هـــذا كلـــه أن أهـــم النتائج بالنسبة لهذه الدراسة هو تحيز الـــصحافة الأمريكية (بمعناها الشامل للاذاعة المسموعة والمرئية) لاسرائيل

ضد العرب عامة والفلسطينيين خاصة ولقد تأكد هذا المفهوم بعد ذلك بحوالى ثلاثـين عاماً فى كتاب المؤلف (أحمد بدر، الصحافة الكونية) حيث مازالت وسـائل الإعـلام الأمـريكية متحيـزة بـشدة لاسرائيل ضد العرب عامة والفلسطينيين خاصة.

الجدول الثاني

عينة استمارة التكويد

الموضع	القطاع	الشبكة	التاريخ
الزمن		المتحدث	
اتجاه عام فرعي		اتجاه عام رئيسي	
المكان		المضمون	
لقطة الكاميرا		زاوية الكامير	

المؤثرن

الشروط	
بيجن	السادات

الجدول الثالث

تحليل التقارير الاخبارية

لزيارة السادات لإسرائيل على شبكتي CBS, ABS

	BAC			CBS			ABC & CBS		
	الموضع	الزمن	النسبة	الموضع	الزمن	النسبة	الموضع	الزمن	النسبة
الاثنين	1	3.67	15.9	1	8.67	37.7	1	12.34	26.8
الثلاثاء	2	7.00	30.4	2	4.83	21.0	2	11.83	25.7
الأربعاء	1	6.17	26.8	1	5.83	25.3	1	12.00	26.0
الخميس	1	9.17	39.8	1	14.17	61.6	1	23.34	50.7
الجمعة	1	14.67	63.8	1	12.00	25.0	1	26.67	57.9
المجموع		40.68	35.3		54.50	39.6		86.18	37.4

الجدول الرابع
تحليل التقارير الاخبارية
لزيارة السادات لاسرائيل على شبكتي CBS, ABS وذلك حسب المتحدث

		BAC			CBS			ABC & CBS		
	المتحدث	الزمن	المتوسط	النسبة	الزمن	المتوسط	النسبة	الزمن	المتوسط	النسبة
1	مراسل معتمد	30.67	1.18	75.44	32.21	1.61	73.17	62.88	1.40	74.25
2	السادات	1.50	0.75	3.69	3.83	1.91	8.70	5.33	1.33	6.29
3	بيجن	4.17	1.04	10.25	3.51	0.87	7.97	7.68	0.96	9.07
4	مسئول مصري	0.34	0.34	0.84	-	-		0.34	0.34	0.40
5	مسئول إسرائيلي	2.00	1.00	4.92	-	-	-	2.00	1.00	2.36
6	مسئول أمريكي	0.83	0.41	2.04	2.02	0.40	4.59	2.84	0.40	3.35
7	مواطن عربي	0.50	0.50	1.23	2.11	0.36	4.79	2.61	0.43	3.08
8	مواطن اسرائيلي	0.17	0.17	0.42	-	-	-	0.17	0.17	0.20
9	مواطن أمريكي	0.50	0.50	1.23	0.34	0.34	0.77	0.84	0.42	0.99
	المجموع	40.68		100.00	44.2		100.00	84.69		100.00

الجدول الخامس

تحليل التقارير الاخبارية

لزيارة السادات لاسرائيل على شبكتي ABC & CBS حسب الاتجاهات الرئيسية

الاتجاه	ABC			CBS			الشبكتين مجتمعتان		
	الزمن	المتوسط	النسبة المئوية	الزمن	المتوسط	النسبة المئوية	الزمن	المتوسط	النسبة المئوية
A	-7.84-	-1.28	-9.43	-3.67-	-1.22	-8.07	-7.51-	-12.5	-8.71
B	-5.84-	-0.83	-14.36	-2.84-	-1.42	-6.24	-8.68	-0.96	-10.07
C	---	---	---	---	---	--	--	--	--
D	--	--	--	--	--	--	--	--	--
E	-4.00-	-1.00	-9.83	-0.34-	-0.34	-0.75	-4.34-	-0.93	-5.42
F	--	--	--	--	--	--	--	--	--
G	1.17-	-0.17	0.42	2.68-	-0.89	-5.89	2.84-	-0.71	-3.30
H	--	--	--	-1.00-	-0.50	-2.20	-1.00-	-0.50	-1.16
I	-0.17-	-0.17	-0.42	--	--	--	-1.17-	-1.17	-0.39
J	-3.34-	-0.67	-8.21	6.34-	-1.59	-13.93	-9.68-	-1.08	-11.23
K	-1.50-	-0.75	-3.69	-5.02.-	-0.84	-11.03	-6.02-	-0.75	-6.98
L	-16.90-	-1.30	-41.54	-13.03-	-1.54	-28.59	-29.91-	-1.75	-34.49
M	--	--	--	--	--	--	--	--	--
N	-1.17-	-1.17	-2.88	--	--	--	-1.17-	-1.17	-1.36

الجدول السادس

تحليل التقارير الاخبارية

لزيارة السادات لاسرائيل على شبكتي ABC & CBS حسب الاتجاهات الفرعية

	ABC			CBS			الشبكتين مجتمعتان		
الاتجاه	الزمن	المتوسط	النسبة المئوية	الزمن	المتوسط	النسبة المئوية	الزمن	المتوسط	النسبة المئوية
A	-10.63-	-1.48	25.78	4.01	1.00	8.81	15.03	2.15	17.44
B	-4.01-	-1.34	9.98	-	-	-	4.01	1.34	4.65
C	--	--	-	1.84-	0.92	4.04	1.84	0.92	2.13
D	-1.16-	0.83	4.31	2.83-	2.83	6.22	4.49	1.50	5.21
E	-4.34-	1.09	10.80	5.01-	1.25	11.01	10.01	1.25	11.61
F	--	-	-	--	-	--	-	-	-
G	-13.50-	1.13	33.60	5.67-	1.89	12.46	19.17	1.47	22.24
H	-6.80-	1.37	17.04	0.34-	0.34	7.47	7.02	1.17	8.15
I	-5.83-	0.97	14.51	5.51-	1.38	12.10	12.34	1.21	15.48
J	-7.01-	1.67	17.45	2.00-	2.00	4.40	9.01	1.29	10.45
K	-6.51	1.09	16.24	11.68-	1.30	25.67	17.34	1.10	20.58
L	-0.84-	0.96	8.12	9.52-	1.36	19.92	13.36	1.21	14.39
M	--	--	-	-	-	-	-	-	-
N	-7.18-	1.80	17.87	-	-	-	7.18	1.86	8.33

الفصل السابع

المسح كمنهج بحث

أولا: تعريف المسح وأنواعه ومميزاته:

يعتبــر البحث المسحي طريقة لتجميع البيانات الاجتماعية وتحليلها عبر المقــابلات أو الاستبيانات المقننة، من أجل الحصول على معلومات من أعداد كبيــرة مــن المستجيبين عن طريق جماعة ممثلة لهم، وهناك نوعان أساسيان للمــسوحات أولهمــا المسح الوصفي وثانيهما المسح التحليلي، ويهدف المسح الوصــفي إلــى الحصول على معلومات عن الجوانب السكانية والسن والجنس والحالــة الاجتماعــية والمهــنة والدخل والدين وربط هذه المعلومات بالآراء والمعتقدات والقيم والسلوك الخاص بجماعة معينة، وبؤرة المسوحات الوصفية المعاصــرة هــى السلوك. أما المسح التحليلي فيهدف إلى التعرف على أسباب الــسلوك بطــريقة معينة، وتستخدم البيانات الوصفية السابقة لوضع الفروض واســتخدام المسوحات التحليلية لاختبار هذه الفروض خصوصاً للتعرف على أســباب أنواع معينة من السلوك، ومحاولة التعرف على العلاقات السببية بين أنواع معينة من السلوك والصفات المختلفة الديموغرافية للناس.

وواضــح سهولة المسح الوصفي وصعوبة المسح التحليلي نظراً لتعدد العــوامل الداخلــة فــي الظاهــرة، وتــدخل العــوامل البيولوجية والنفسية والاجتماعــية والاقتــصادية والسياسية ضمن تحليل الظاهرة والتعرف على السلوك الانساني، مما يجعل التعرف على تأثير عامل معين أمر عسير.

هــذا ويعتبر البحث المسحي واحداً من أكثر المجالات أهمية في قياس الــبحوث الاجتماعــية التطبيقية، ويعرف المسح بأنه الوسيلة الفنية للحصول على المعلومات من عدد مناسب من المستفيدين (Brehob,2001) كما يستخدم المسح كوسيلة فنية في البحوث التفاعلية بين الانسان والحاسب الآلي Human

Computer Interction- حـيث يـزودنا بالـتغذية المـرتدة من وجهة نظر المـستفيدين وأفكارهم وأفضلياتهم.. ومع ذلك فليست جميع المسوحات مفيدة، ذلـك لأن بعض البيانات المجمعة قد تكون متحيزة، أى أن الاجابات لبعض الأسـئلة قد لا تكون موضع ثقة(مثل تلك المتعلقة بالقياسات الزمنية أو عدد مرات الحدوث...).

ويجـب أن نشير إلى أن المسح ليس قاصراً على مجرد الوصول إلى الحقائـق والحصول عليها Fact-Finding .. ولكن المسح يمكن أن يؤدي إلى صـياغة مـبادئ هامـة في المعرفة.. كما يمكن أن يؤدي إلى حل للمشاكل العلمية.

أما مميزات البحث المسحي فهى:

أ- المسوحات غير مكلفة.

ب- نستطيع بالمسوحات الحصول على المعلومات المعاصرة.

ج- تمكننا المسوحات من الحصول على قدر كبير من المعلومات في وقت واحـد، ويمكـن تلخيصها بطريقة تكشف بسرعة ما نريد معرفته عن مجتمع البحث.

د- تـزودنا المـسوحات بيـانات كمية أو رقمية، يمكن تحليلها احصائياً وبالتالـي يمكـن أن تـصل إلى درجة عالية من الدقة، الأمر الذي لا نستطيع تحقيقه بالمناهج الأخرى.

هـ- المـسوحات أسـاليب شائعة، وبالتالي فبعض المعلومات التي تسعى للحـصول عليها قد تكون قد تم اكتشافها من قبل. ومع ذلك فيجب أن نـرى العملـة مـن وجههـا الآخـر، وهـو أن الناس -العاديين أو المتخصـصين - قد كونوا شعوراً من المقاومة والرفض للاجابة على أسئلة المسح، أى أنهم غير متعاونين عادة مع الباحث.

وأخيــراً فــيمكن أن نؤكد على أن تجميع المعلومات باستخدام أسلوب الاستبيان أو المقابلة مثلا.. هو عملية أقل صعوبة من تفسير وتلخيص معنى ومدلــول هذه المعلومات. وتشير هذه الحقيقة إلى الضعف الأساسي لطريقة المسح كمنهج للبحث.. فعلى الرغم من أن المسح – عندما يتم القيام به على الــوجه الــصحيح – يمدنا بمصادر كافية لتعلم التفاصيل والتعرف عليها – وذلــك بالنــسبة للمواقف أو المشاكل الجذرية أو الحالية – فإن على الباحث مهمــة اســتخلاص التعميمات والمبادئ بناء على هذه الحقائق والمعلومات المجمعــة. ذلك لأن الحقائق بذاتها، لا تحل المشاكل.. ولكن ما يساعد على حــل هذه المشاكل هو النتائج التي يستخلصها الباحثون من هذه الحقائق بناء على تفكيرهم السليم والعميق.

ثانيا: المسح كمنهج لجعل الإعلام والسياسة علوماً:

لقــد جاء الاعتماد على المسح في العلوم السياسية والإعلامية كمنهج أساســي مــن مناهج البحث العلمي، متفقاً مع الاتجاه السلوكي Behavioral Emphasis والرغبة المتزايدة في جعل دراسة الإعلام والسياسة أقرب إلى العلم منها إلى الفلسفة.

لقــد جمع علم السياسية بالوسائل التقليدية الوثائقية وبالبداهة وغيرها.. كمــيات هائلة من المعلومات عن المؤسسات والممارسات السياسية وكان لها أهميتها القانونية والفلسفية لرجال الدولة.

ومــع تأثر الدارسين بالفلاسفة السياسيين الكبار مثل أرسطو وأفلاطون وهوبــز ولــوك وميكيافيلي وروسو وغيرهم – فقد أنتجوا مقالات كثيرة عن موضوعات فلسفية وتأملية مثل طبيعة الالتزام السياسي، التوازن الأمثل بين الــنظام والحــرية السياسية، المتطلبات الأخلاقية للديمقراطية، وعلاقة الدولة بالطبيعة الإنسانية.

هذا ويهدف العلم إلى صنع تركيب متماسك للمعرفة حيث يرتبط فيه كل موضـــوع ببقـــية الموضوعات الأخرى بطريقة منتظمة ثابتة.. وحيث يستطيع الباحث –من حيث المبدأ– أن يوضح وأن يشرح جميع الحقائق الواردة.

فالعلم يقترب من الظواهر ليس باعتبارها أحداثاً حدثت بالفطرة، ولكن باعتبارها حالات يستطيع الباحث –من حيث المبدأ– أن يقيم وأن يرسم أوجه اختلافاتها أو انتظاماتها.. وحتى يتحقق من ذلك، فعليه أن يتبع طرقاً صارمة للـــتحقق من "الحقائق" واختبار صحة شرحها وتفسيرها.. فالعلم إذن يجب أن يطـــور الأساليب اللازمة لاكتشاف وتصحيح الأخطاء التي تحدث في عملية القـــياس وأن يكـــون مستعداً لأن ينحى جانباً تلك النظريات والتفسيرات التي لا تتفق مع الدليل مهما كانت هذه النظرات عزيزة أو محببة.

والـــباحث يـــستطيع أن يـــتقدم خطوة بعد خطوة من المعلوم إلى غير المعلـــوم، علـــى أن يـــربط وأن يصل كل نتيجة يصل إليها بجسد المعارف الموجـــودة.. ويحـــرز الـــتقدم العلمي –بهذه الطريقة– نجاحات سريعة لأن المعـــارف الجديدة تنمو – بطريقة متضاعفة exponential كلما اتسعت دائرة المعـــارف الموجودة بصفة مستمرة. وهذه القدرة التضاعفية للمعلومات تعتبر أحـــد المظاهر الملحوظة في العلوم الطبيعية، وهى تقع في موطن القلب من الانفجـــار المعرفي الصناعي العلمي الحديث.. كما أن التخلف النسبي للعلوم الإنـــسانية والاجتماعية يرجع –جزئياً– إلى بطء هذه العلوم في تبني الطرق المنهجية التراكمية للبحث العلمي.

هذا وتهدف الدراسة العلمية للسياسة والإعلام –كما يراها السلوكيون– إلى كشف وملاحظة وشرح بعض الاختلافات والانتظامات regularities في الظواهـــر الـــسياسية. وحتـــى يصل الباحث إلى ذلك فيجب أن يتخذ أسباب الموضـــوعية والدقة على قدر المستطاع.. وأن يضع الفروض بوضوح وأن يستخدم بياناته بطريقة تختبر هذه الفروض مع استخدام الاصطلاحات واللغة الدقيقة المحددة للأفكار والمفاهيم.

والباحثون الذين يعتمدون في عملهم على الدراسات التي تمت بالطرق العلمــية يعــرفون مــنها الصادق والموثوق فيه، وبالتالي فسوف لا تقودهم المعلـومات الكاذبة في متاهات ودروب خادعة، وإلى استنتاجات غير مؤكدة قــام بهــا أسلافهم. وعلى ذلك فإن العلماء السلوكيين يؤدون ويركزون على الطـرق والمــناهج المــستخدمة للتحقق من الفروض ومن الايضاحات التي يضعها الباحث.. وبمقاييس ومعايير العلماء السلوكيين لم يعد كافياً للباحث أن يضع نظرية أو شرحاً تغلب عليه الاستمالة Persuasion أو الكياسة أو الجمال أو التألق ذلك لأن هذه النظرية أو ذلك الشرح يجب أن يكون صحيحاً Valid بناء على الدليل Evidence وبناء على اجتيازه للاختبارات الإحصائية النافذة.

ومعنى ذلك كله أن العالم السلوكي Behavioral Scientist يتخذ كل ما يــستطيع من أسباب لاقامة الحواجز بينه وبين تحيزاته الشخصية واعتقاداته الذاتــية.. ولا يدافــع عــن رسالته -كما يفعل الباحثون بالبداهة- بالمقالات الاستمالية.

والعــالم الــسلوكي كــذلك يقوم ببحثه بطريقة مقصودة واعية تكشف تــركيب وتــصميم الــبحث ولا تخفيه.. وتكشف طبيعة الإجراءات المتبعة ودرجــة القــوة والانــتظام فــي النتائج التي يصل إليها.. فهدفه النهائي هو الوصــول إلــى نظــرية نــسقية Systematic Theory كافية لشرح الظواهر السياسية والإعلامية وعلى أكبر مدى ممكن من الاتساع والتنوع.

وعلــى الــرغم ممــا نتوقعه من نتائج طيبة، بناء على انتهاج المسلك الــسلوكي الذي يعتمد على الأساليب العلمية في البحث، إلا أننا لا ينبغي أن نغفل في كتاب عن "أصول البحث ومناهجه فى علوم الإعلام ما يراه الفريق الآخــر مــن الفلاســفة والعلماء السياسيين ووجهة نظرهم بالنسبة للدراسات الــسلوكية الــسياسية.. فعلى سبيل المثال يقول هانزج مورجانتاو في مقدمة كتابه " السياسة بين الأمم" الطبعة الرابعة ما يلي:

ولقـد تعلمـت مـن الخبرة التاريخية والشخصية أن الجدل الأكاديمي Academic Polemics لا يعمـل عـادة على تقدم الحقيقة ولكنه يترك الأشياء كمـا وجدها. إن الشئ الحاسم بالنسبة لنجاح أو فشل أى نظرية، يعتمد على مقـدار إسهامها في معارفنا وفهمنا للظواهر الجديرة بفهمنا ومعرفتنا.. يجب أن نحكـم على النظرية بنتائجها وليس بناء على إدعاءاتها في فلسفة المعرفة والمنطق واختراعاتها المنهجية".

وعلى الرغم من هذا النزاع الأكاديمي، فلا يجد المؤلف تناقضاً أساسياً بين الاتجاهين الذين يسعيان لفهم الحقائق مستعينين بمناهج البحث المختلفة.. وإذا كـان التقدم العلمي يعتمد على المنهج، يدور معه وجوداً وعدماً، صدقاً وزيفـاً.. فقد أكدنا في أكثر من موضع على أنه من المفضل اتباع أكثر من منهج واحد في البحث للوصول إلى الحقيقة.. وعلى الاستعانة بأدوات البحث الدقـيقة المـتقدمة، فضلاً عن أن التفكير العلمي ذاته يتضمن كلاً من التدليل الاستقرائي والاستنباطي.

ونخلـص من ذلك إلى أن المسح يعتبر جزءاً من البحث الوصفي وهو عملـية نتعـرف بواسطتها على المعلومات الدقيقة المتعلقة بموضوع البحث وذلـك بالنـسبة للمواقف الحالية أو الجارية، لا القديمة.. ولقد أثبتت طريقة الـبحث المـسحى فعاليتها وأهميتها بالنسبة لكثير من الدراسات الاجتماعية والتعليمية والسياسية والاقتصادية والتجارية والإعلامية وغيرها.

ويتـضمن المسح المثالي استخدام العينة المختارة اختياراً سليماً لتمثيل المجـتمع الكلي موضع الدراسة.. وذلك بغرض الملاحظة المباشرة والدقيقة لمخـتلف الظواهر المطلوبة في البحث. ويجب أ، تكون العينة – إلى جانب تمثـيلها للمجـتمع موضع الدراسة تمثيلاً صحيحاً – أن تكون كبيرة الحجم نسبياً، وذلك حتى تؤدي إلى نتائج موثوق فيها.

إن الأساليب الرئيسية المستخدمة في المسح لتجميع البيانات هما أسلوباً الاسـتبيان والمقابلـة.. وكل واحد من هذه الوسائل يجب تخطيطها تخطيطاً

محكمـــاً ســـليماً، وذلــك لأن هناك مزالق كثيرة في استخدامها.. فإلى جانب الأخطاء التي تنتج من المعاينة غير الصحيحة، فهناك بذور أخطاء ممكنة في تصميم الاستبيان نفسه.. وهناك تحيز الباحث، وتحيز الممول لمشروع البحث واســتخدام لغـــة تحـــتمل التأويل وعدم الشرح الكامل لغرض ونطاق البحث والدراســـة.. وغيـــر ذلك من الأخطاء في الموضوعية وفي الاتصال.. مما يؤدي إلى تشويه النتائج.

وعلـــى العمـــوم.. فيمكنـــنا أن نقول بأن جمع البيانات والحصول عليها بطريقة المسح أسهل كثيراً من الوصول إلى النتائج الصحيحة والسليمة المبنية علـــى هـــذه الحقائق المجمعة.. كما أن المسح لا ينبغي أن يكون مجرد وسيلة لجمع الحقائق والحصول عليها.. ذلك لأن المسح يمكن أن يكون وسيلة اختبار وإرســـاء قواعد ومبادئ لمقارنة الماضي بالحاضر، وللتعرف على الاتجاهات المختلفة، وبالتالي تقديم أساس سليم للعمل الاجتماعي والسياسي والتجاري.

ثالثا: أخطاء يمكن مواجهتها في الاستبيان:

- ألا يـــشمل الاستبيان أسئلة قد يعتبرها المفحوص تافهة لا أهمية لها، أو هامـــشية.. وبالتالـــي فهـــي لا تبرر أن ينفق في إجابتها الوقت والجهد المبذول.
- ألا يـــشمل الاســـتبيان أســـئلة غيـــر مفهومة أو مبهمة وتحتمل إجابات متعارضـــة (كـــأن يسأل مثلاً : هل تؤيد أو تعارض المواطنة العالمية.. فهـــذه تمثل مفهوماً مختلفاً لدى الشعوب المختلفة بل ولدى الشعب الواحد في ظروف مختلفة).
- قد تستدعي الاجابة على السؤال "بنعم" أو "لا" لاجابات متعددة يختار منها المفحـــوص. ولكن دون شرح مناسب للمطلوب، وبالتالي فهناك احتمال بـــأن تكـــون الاجابات غير صحيحة.. أى أن وجود التعليمات الواضحة يساعد على صحة الاجابات.

- استخدام الاستبيانات الطويلة التي يمل من ملئها المفحوص خصوصاً إذا كانت لديه أعمال ومشغوليات عديدة، وبالتالي فينبغي أن يكون الاستبيان مختصراً على قدر الامكان ومخططاً فى يسر حتى لا يأخذ من وقت المستجيب إلا القليل.

- تحيز القائم بالاستبيان أو رغبته في الحصول على اجابات ذات طبيعة خاصة وذلك رغبة منه في إثبات صحة فرضه (وذلك باستخدامه الأسئلة الايحائية).. وهذا موقف غير صحي من غير شك بالنسبة للبحث الموضوعى العلمي..

- تحيزات الممولين أو المشرفين على البحث، ستؤثر من غير شك على نتائجه، ذلك لأن هذه النتائج ستكون غالباً طبقاً لتحيزات الجماعات الممولة الملتزمة بوجهة نظر معينة، شأنها في ذك شأن الشركات التي تهتم بتسويق سلعة معينة.

- إن عدم تصميم الاستبيان تصميماً دقيقاً يمكن أن يؤدي إلى عدم دقة الاجابات. فعدم انتظام وترتيب البنود وعدم وجود التعليمات المفصلة وعدم شرح غرض ونطاق الدراسة.. هذه النواقص كلها –وغيرها كثير– من شأنها أن تربك المستجيب وتجعل اجابته لا معنى لها ولا قيمة.

- تؤدي العينة غير الممثلة إلى إفشال قيمة أى دراسة مسحية.. وبالنسبة للاستبيان فإن المشكلة ستكون أكثر حدة، نظراً لاحتمال عدم قيام كثير من الذين يسلمون الاستبيان بإعادته مع إجاباتهم.. ومعنى ذلك أنه حتى إذا كانت العينة ممثلة بدقة للمجتمع المفحوص، فإن هذه العينة نفسها غير ممثلة، إذا قام جزء محدود فقط من المستجيبين برد الاستبيانات مع اجابتهم عليها. ومن هنا ظهرت أهمية متابعة الاستبيان وحث المفحوص على الاستجابة بكافة الطرق الممكنة (خطاب استعجال/الاتصال الشخصي).

رابعاً: الخطوات اللازمة لتصميم البحث والقيام به:

1. وضع الأهداف (ماذا نريد أن نحصل عليه Capture).
2. حدود مجتمع البحث وحجم العينة (من الذين سنقوم بسؤالهم).
3. حدود الأسئلة المطلوبة (ماذا ستقوم بسؤاله)؟.
4. قم بالاختبار القبلي للمسح (اختبر الأسئلة).
5. قم بعمل المسح (قم بسؤال الأسئلة).
6. قم بتحليل البيانات المجمعة (قم بانتاج التقرير).

وواضــح مــن الخطوات السابقة أن تصميم المسح يعتمد أساساً على الأهــداف النهائــية Goals وهذه ستحدد مجتمع البحث والأسئلة. وإذا لم تكن الأهداف واضحة فالنتيجة مشكوك فيها.

أما المعاينة فتعني عملية أو أسلوب الاختيار حيث يتم اختيار جزء من مجــتمع الــبحث يكــون ممــثلاً لهــذا المجتمع وذلك بغرض تحديد صفات ومميزات مجتمع البحث كله.

أمــا بالنسبة للأسئلة فالباحثون يستخدمون عادة ثلاثة أنواع من الأسئلة وهــى: الاختيارات المتعددة / والأسئلة الرقمية مفتوحة النهايات / والأسئلة التي تتضمن اجابة نصية مفتوحة أى أن المستجيب سيقوم بتقديم تعليقه.

أما بالنسبة للاجابات فهناك نوعان أساسيان من أشكال الاستجابات وهما الاســتجابة التــركيبية Structured والاستجابة غير التركيبية Unstructured، والاستجابة الأولى سهلة الاجابة ولكنها قد لا تلتقط كل شئ في ذهن المستجيب (على سبيل المثال الأسئلة متعددة الاختيارات).

أمــا في الاستجابات غير التركيبية فيكتب المستجيبون النص كاستجابة (علــى ســبيل المــثال النصوص التي يكتبها المستجيب كتعليق على الأسئلة المفتوحة).

ويلاحـــظ فـــي الأســـئلة أن تكون واضحة لا تحتمل فهما مختلفاً عما يقصده الباحث، كما أن ترتيب الأسئلة له أهمية فالأسئلة السهلة يجب وضعها قبل الصعبة، وذلك حتى لا يتسبب ذلك في عزوف المستجيب عن الاستمرار في استكمال ردوده على الأسئلة.

كمـــا ينبغي أن يعد الباحث أسئلته واختيارات الاجابة بناء على طريقة احـــصائية فـــي ذهـــنه، ذلك لأن هذه الاجابات ستستخدم في تحليل البيانات المجمعـــة في النهاية.. ومع ذلك فليست جميع الطرق الإحصائية صالحة لكل الأغـــراض، وعلى سبيل المثال فليست هناك طريقة إحصائية تستطيع تحليل النص المتصل بالأسئلة مفتوحة الاجابات.

هـــذا وينبغـــي أن يقـــوم الباحثون باختبار الأسئلة وتحليلها على عينة صـــغيرة مـــن المستفيدين حتى يمكن تحديد بعض مشكلات الدراسة التي قد تحول بين الباحث واستكمال دراسته.

وأخيـــراً فـــيجب أن يكون الباحثون على دراية بالقضايا الأخلاقية في إعداد وتحليل البيانات المجمعة من المسوحات.

وفـــيما يلـــي يمكـــن التركيـــز علـــى شكلين من أشكال المسح وهما الاســـتبيانات والمقابلات ويتضمن ذلك بعض التعاريف والمزايا والعيوب مع بعض الأمثلة والتوصيات.

خامسا: أدوات المسح: الاستبيانات:

يعرف قاموس بريهوب الاستبيان بأنه استمارة يملأها الناس للحصول علـــى معلومات ديموجرافية عن آراء واهتمامات الذين يتم استجوابهم وهناك نـــوعان رئيسيان من الاستبيان أولهما الاستبيان الذى يرسل بالبريد وثانيهما الاســـتبيان علـــى الخط المباشر والنوع الأخير يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام فرعية وهي:

أ- الاستبيان بالبريد الالكتروني.

ب- الاستبيان المباشر باستخدام الحاسب الآلي.

ج- الاستبيان المعتمد على الوب في الانترنت.

الاستبيان المعتمد على الوب Web:

يمكـن في البداية الإشارة للاستبيانات المرسلة بالبريد العادي، فإحدى المميـزات الهامـة لهذا النوع من الاستبيان هو أنه غير مكلف كما يمكن أن يشمل الاستبيان الصور Pictures وهذا الاستبيان له ميزة أخرى وهى إتاحة الـوقت الكافـي للمـستجوبين لملء استمارة الاستبيان، الأمر الذي لا تتيحه المقابلة الشخصية أو الاتصال التليفوني.

كمـا أن هـناك بعض المساوئ المتصلة بالاستبيان البريدي أولهما أن الـباحث سـينتظر عدة أسابيع أو أكثر لتجميع الاستجابات وثانيهما أن معدل الاستجابة يكون عادة في حدود 5%، وأخيرا فهذه الاستبيانات البريدية يمكن أن تؤدي إلى عينة متحيزة نظرا لعدم معرفة خلفية المستجيب (ويمكن لتقليل هذا التحيز بوضع بعض الأسئلة الضابطة في الاستبيان).

أمـا الاسـتبيانات المعتمدة على الوب Web فتتخذ سبيلها السريع مع زيادة استخدام الانترنت والوب. وذلك للمزايا التالية:

أ- هذه الاستبيانات سريعة جداً.

ب- مـن الممكن الحصول على عدد كبير من الاستجابات (قد يصل إلى الآلاف).

ج- تـرتيب الأسـئلة (وحتى عددها ونوعها) يمكن أن يتغير تبعا لاجابات المستجيبين.

د- يمكن أن يستخدم الاستبيان الوسائط المتعددة (كالصوت والفيديو...الخ)، فضلا عن اختيارات الألوان والفورمات المختلفة.

وعلـــى الـــرغم من شعبية الانترنت الحالية فهي لم تصل إلى مستوى العالمية في هذا المجال، كما قد تؤدي هذه الاستبيانات إلى عينة متحيزة نظرا لعــدم وجــود تحكم بالنسبة للمستجوبين وقد يجيب نفس الشخص على نفس الاستبيان عدة مرات.

سادسا: بعض مجالات إسهام المسح في العلوم السياسية والاعلامية:

لقــد تضاعفت أشكال وأعداد المسوحات السياسية والاعلامية بسرعة كبيـــرة خلال الأعوام العشرين الماضية، وبالتالي فقد أصبح من غير الممكن حــصر هــذه المــسوحات وبـــيان جمـــيع أشكاها واستخداماتها. وإذا كانت المــسوحات الأولـــى تهــتم بالرأى العام والانتخابات، وتعتمد في ذلك على الجوانب الديموجرافية والسجلات الرسمية، فإن المسوحات المعاصرة لم تعد تقتــصر علـــى هـــذين المجالـــين، بـــل تعـــدتهما لتشمل دراسات الأحزاب والأيديولوجية والمعتقدات والانتماءات والاستقرار والثبات والتغيير والتنشئة والعملـــيات التـــشريعية والتمثـــيل والسياسة المقارنة وعلاقة الآراء بتكوين الـــسياسة الخارجـــية وتركيب القوى في المجتمع.. الخ.. ، وفما يلي بعض نماذج من المسوحات التي توضح استخداماتها المتنوعة.

1/6 الرأى العام:

علـــى الرغم من أن المسوحات تعتبر ذات أهمية واضحة في التعرف علـــى أراء الجماهيـــر واتجاهاتها، إلا أن هذه المسوحات ليست هى السبيل الوحـــيد للوصول لهذا الغرض، ذلك لأن هذه الآراء يمكن الوصول إليها عن طريق المواد الصحفية وتحليل المطبوعات والصحف التي تتضمن ردود فعل الـــناس بالنسبة للسياسات والقرارات الحكومية، أو عن طريق التعرف على الـــسياسات نفسها التي تتبعها المؤسسات العامة.. أو غير ذلك من الوسائل.. وجمـــيع هـــذه الطرق تزودنا بصورة متكاملة لمختلف آراء الناخبين ومداها وشدتها.

ومن المعروف أن دراسات الرأى العام، تقوم بها الهيئات التجارية أو الحكومية، كما يقوم بها الباحثون والعلماء.. وإذا كانت القياسات التي تقوم بها الهيـئات المخـتلفة لا تهـتم بالتعمق واختبار الفروض، فإن المعلومات التي تجمعهـا تعتبر ذات أهمية بالغة للعلماء والباحثين.. ذلك لأن علماء السياسة والاعــلام يفيدون من نتائج استفتاءات الرأى العام بالنسبة للقضايا المختلفة، للتعــرف على التحولات في الرأى العام، بالنسبة للقضايا المختلفة في فترات معيــنة وبالنــسبة لمــستوى المعلومات العامة عن هذه القضايا، فضلا عن محاولــة ربــط الــرأى العــام بأشــكال معينة من السلوك السياسي الظاهر كالانتخابات وأنشطة الهيئات الحكومية وقراراتها.

وإذا كانت هذه الهيئات تجمع في استفتاءاتها بيانات ومعلومات كثيرة لا تنــشر منها إلا القليل، فإن العلماء والباحثين يفيدون منها في تحليلهم العلمي، ويتعــرفون بمتابعــتها علــى التحولات التي تحدث في قطاعات الرأى العام المختلفة، ثم هم يقومون بتفسير هذه التحولات وربطها بالأزمات السياسية أو الاقتصادية الدولية منها أو الداخلية.

ولقــد أثبــتت هــذه الاســتفتاءات أهميتها في الدراسات السياسية أو الاعلامــية المقارنة، وذلك بمقارنة استجابة الجماهير في أقطار مختلفة لنفس الأسئلة أو الأسئلة الموازية.

ولقــد تعلمــنا من المسوحات مثلاً أن الآراء الشعبية الخاصة بالقضايا الــسياسة لا تثــبت علــى حــال واحدة، بل هى غالباً ما تتميز بعدم الثبات والاســتمرار، وأن عدم الثبات هذا يعكس عادة آراء أولئك الذين ليس لديهم معلومات كافية عن هذه القضايا، كما تعلمنا من المسوحات أن نسبة قليلة فقط مــن الناخبــين، يمكن أن توصف بأنها "متعمقة في الفلسفات الأيديولوجية أو مؤمــنة عقائــدياً" وأن عــدد الذين يؤمنون بالآراء الفلسفية والسياسية الثابتة والمستمرة هو عدد قليل، ولعل هذه النتائج تكشف لنا -بصورة كمية- أننا كنا فــي الماضــي نتصور أن للأفكار والأيديولوجيات السياسية دوراً بارزاً في المجتمعات الديمقراطية الحديثة.

كمـــا تكـــشف لنا هذه النتائج كذلك أن "الاتفاق العام" Consensus ليس شرطاً مسبقاً في ممارسة الديمقراطية. فالناخبون قد يكونون مختلفين بالنسبة لبعض القيم السياسة الهامة، ومع ذلك يظل المجتمع التعددي مجتمعاً صحيحاً متكافلاً متكاتفاً.

هذا وتشير أدلة المسح إلى أن هناك بعض الآراء التي تستحق أن تؤخذ بعـــين الاعتـــبار أكثـــر مـــن غيرها، نظراً لأن تلك الآراء قد صدرت عن أصحابها بعد إعمال الفكر وطول النظر.

وإذا كانـــت بعض الآراء تصدر بطريقة عفوية وبدون تفكير فإن هناك آراء أخـــرى تـــصدر عن أناس يدينون بعمق بفلسفات سياسية أو اجتماعية معينة وهكذا.

وعلى الرغم من أننا نردد في كتاباتنا وخطبنا – منذ قرون أن صوت الشعوب من صوت الله، إلا أنه من الواضح بناء على المعلومات المستقاة من مئات المسوحات، أن الناس يتحدثون بأكثر من صوت واحد، وأن بعض هذه الآراء والأصوات متناقضة ومكررة بل ومضللة.

كما أوضحت مسوحات الرأى العام أن أعضاء الفئة الواحدة قد يختلفون بـــشدة فـــي آرائهم السياسية والاجتماعية وأن التقسيمات الفئوية هى تصنيفات غير سليمة لخريطة المجتمع بالنسبة للمعتقدات السياسية والاجتماعية.

فعلى سبيل المثال أن تكون من بين جماعة المسلمين أو المسيحيين أو الأطباء، قد يكون له تأثير على القضايا المتعلقة بالدين أو الطب على التوالي، ولكـــنه ســـيكون ذا تأثير ضعيف بالنسبة لقضايا أخرى كتدخل الحكومة في الاقتـــصاد أو تخطـــيط المـــدن الجديدة أو السياسة الخارجية.. الخ، فالانسان المعاصـــر الذي يعيش في المجتمعات الديمقراطية التعددية لا يقصر صحبته على فريق أو جماعة معينة ولكنه يمارس نشاطاته مع جماعات متعددة، وهو عضو في جماعات مختلفة في ذات الوقت.

هذا وقد ساعدت المسوحات في فهم العلاقة المعقدة بين الرأى الشعبي والقـرارات الحكومـية، أى أننا نستطيع أن نقيم بطريقة أفضل وأدق مقدار اسـتجابة ممثلـي الشعب ونوابه لآراء الناخبين، ومن أمثلة الأسئلة والقضايا المتصلة بهذه العلاقة مايلي:

هل يعبر النواب عن بعض ناخبيهم دون البعض الآخر، وهل يستمعون إلـى صوت الشعب. أى صوت ناخبيهم بالنسبة لبعض القضايا دون البعض الآخر؟ وهل يتأثرون في قراراتهم بآراء الحزب أم بتفكيرهم الخاص نحو كل قضية، أم أنهم يعكسون فقط ما يحسونه من مشاعر ناخبيهم.

وعلـى الـرغم من أن المسوحات قد أصبحت ضرورية في الدراسة الجادة للرأى العام، إلا أن للمسح عيوبه عند التطبيق.

فهـناك مشكلة تفسير الاجابات التي يعطيها المستجيبون لأسئلة المسح، وهناك من يجيبون بدون تفكير ويعبرون بذلك عن آراء متناقضة، وهناك من يجيبون بطريقة لا تعكس اتجاهاتهم الحقيقية.

وعلـى سـبيل المثال فقد أجاب ثلثا المستجيبين في إحدى المسوحات العامـة" أنهم يعتقدون أن الناس كانوا أسعد حالاً وأكثر سعادة واطمئناناً منذ ثلاثين عاماً ولكنهم عندما سئلوا: هل يفضلون العيش في الفترة الماضية تلك أو في الوقت الحاضر، أجابوا بأنهم يفضلون الحاضر.

أى أن القائم بالمسح الذي يكتفي بردود الناس في السؤال الأول يعطي صورة غير حقيقية عن مشاعر الناس نحو المجتمع الحاضر.

وعلـى كـل حـال فيمكن معالجة المشاكل السابقة والقليل من عيوب المـسح باستخدام الأسئلة الضابطة، مع تكامل الاستبيان مع المقابلة الماهرة، وقياس الاتجاهات وغيرها من أدوات تجميع البيانات وتحقيقها.

2/6 السلوك الانتخابي:

لعـــل هذا المجال هو أكثر مجالات الدراسات السياسية والإعلامية إفادة مـــن مـــنهج المسح. وإذا كانت معرفتنا بظاهرة السلوك الانتخابي في الماضي يشوبها الكثير من المعتقدات وتسودها الذاتية لا الموضوعية في التحليل، فمنهج المـــسح يقدم لنا في الوقت الحاضر بيانات "صلبة" تأكدت بدراسات الانتخابات في بلاد عديدة، وأصبح من الممكن وضع النماذج التوضيحية لهذه العملية.

إن الدراســـات المـــسحية للانتخابات تزودنا بالعديد من التفاصيل التي تـــساعدنا علي التقييم الواقعي للقوى التي أسهمت في النتائج الانتخابية.. فهذه الدراسات مثلاً توضح لنا الانتماء الحزبي – وهو أقوى العوامل المؤثرة في القرار الانتخابي – يتشكل ويتدعم بالاتجاه الأسري، وأن حوالي ثلاثة أرباع الناخبـــين البالغـــين يؤيدون الأفضليات الحزبية لآبائهم. هذا ويتدعم الانتماء الحزبـــي بعد ذلك بجماعات الانتماء وجماعات المصالح والزملاء.. وهناك عـــوامل تؤثـــر علـــى السلوك الانتخابي وتضعف الانتماء الحزبي الأسري المذكـــور، ومـــن بينها التحولات الاجتماعية والاقتصادية وبناء المجتمعات الجديـــدة.. وغيـــر ذلـــك من العوامل التي تؤدي بالناخب إلى تحويل تأييده الحزبـــي وتغييـــره بالكامل أحيانا. لقد أثبتت المسوحات في بلاد عديدة، أن الانـــتماء الحزبي ليس هو أقوى المؤثرات على رأى الناخب فحسب، ولكنه يمكن أن يكون أكثر القوى أهمية أيضا في تغذية وتدعيم معتقداته السياسية.

وتنطبق هذه الملاحظة بصفة خاصة على الأعضاء النشطين والمؤيدين للأحـــزاب.. وهـــؤلاء هـــم المتحمـــسون أيديولوجيا لحزب بعينه..أما غير المتحمـــسين أيديولوجـــيا فهم يميلون للامتناع عن الادلاء بأصواتهم، وهم قد يـــتحولون من حزب إلى آخر، على عكس المتحمسين أيديولوجيا فهم يظلون مخلـــصين بقوة وثبات لحزبهم وبالتالي لعاداتهم الانتخابية.. وإذا كان "بعض" غيـــر المتحمـــسين أيديولوجـــياً يـــصفون أنفسهم بأنهم "مستقلون" فإن نتائج المـــسوحات العديـــدة، تـــشير إلى أن الصورة المنطبعة في الأذهان، من أن

الـــشخص المستقبل هو بالضرورة شخص موضوعي النظرة، يتمتع بالوعي الـــسياسي ووفـــرة المعلومات، هذه الصورة مبالغ فيها، ذلك لأنه قد ثبت أن الاستقلالية بالنسبة لمعظم المواطنين، تعني العزوف السياسي وعدم المبالاة، بل تعني كذلك انخفاض مستوى المعلومات السياسية.

ولعلنا نلاحظ ذك في انتخابات مصر عام 1984 فهناك نسبة عالية من الذين لم يدلوا بأصواتهم (بلغت نسبة الذين أدلوا بأصواتهم حوالي 43% من المقـــيدين فـــي الجداول) وكثير من هؤلاء الذين لم يدلوا بأصواتهم لا تطلق عليهم الدولة مصطلح "مستقلون" إذ لا يعترف العرف السياسي السائد بهؤلاء فـــي ذلـــك الـــوقت ولكـــن يطلق عليهم العازفون عن الانتخابات (وإن كان المستقلون قد أصبح لهم كيان خاص بهم إلى حد ما في الانتخابات التالية عام 1987) وقد أجريت في مصر دراسات للتعرف على أسباب عزوف هؤلاء أو عـــدم مـــبالاتهم بالاشـــتراك في انتخابات حرة نزيهة؟ خصوصا وأن معظم هـــؤلاء العازفين من المتعلمين والشباب بالمدن.. ولكن الكاتب يود أن يسجل هـــنا أن بعض كتاب مصر المشهود لهم باتزان الرأى ورجاحته ومن تتلقف صـــحف الـــدول العـــربية المحتـــرمة (وبعض الصحف الأجنبية) مقالاتهم اليومـــية.. هـــؤلاء الكتاب قد سجلوا استقلاليتهم وظهر في كتاباتهم نظرتهم الموضـــوعية التـــي تنظـــر للمشكلة أو القضية كقضية مجردة.. وكثيرا ما أغـــضبت آراؤهـــم الأحـــزاب جميعاً وكثيراً ما كانت آراؤهم أيضاً موضعاً لرضا الأحزاب جميعاً أو معظمهم على الأقل (مثل الكاتبين أحمد بهاء الدين ومصطفى أمين –رحمهما الله– على سبيل المثال لا الحصر..).

وخلاصة هذا كله أن المستقلين ينبغي أن يكون لهم مكان في الخريطة الـــسياسية لأى بلـــد تأخذ بنظام الأحزاب خصوصا تلك البلاد التي تقيد عدد الأحـــزاب أو تـــضع لظهورها شروطاً معينة.. وقد سمح قانون الانتخابات المـــصري مؤخراً لدخول المستقلين بالانتخابات وإن كان ذلك يتم على ضوء الانتخابات بالقائمة على ما فيه من عيوب ظاهرة غير موجودة في الانتخابات

المباشـــرة. كما ينبغي أن نسجل هنا أن المسوحات العديدة في البلاد المختلفة قـــد أثبتت أن معظم الناخبين لا يميلون إلى التحول عن الحزب الذي تعودوا أن يـــؤيدوه، إلا إذا كان هناك اختلاف ملحوظ في شعبية وشهرة المرشحين مـــن الأحـــزاب الأخـــرى على جميع المستويات من رئيس الدولة ورؤساء الأحـــزاب والمرشحين عن الدوائر نفسها.. ولعل ذلك إذا حدث أن يغير من أفـــضليات الناخبين وأن تشهد العديد من التحولات التي تركز على الشخص لا على الحزب أو العكس.. وهذا يقودنا إلى مناقشة خاصة لانتخابات مصر.

3/6 انتخابات مصر عام 1984 وتكنولوجيا الحاسب الالكتروني:

لم تتجاوز نسبة الذين أدلوا بأصواتهم في هذه الانتخابات عن 43% من المقـــيدين فـــي الجـــداول، وذلك حسب بيان وزارة الداخلية المصرية. وقد رد الـــبعض ســـبب عـــزوف المواطنين للمشاركة إلى طريقة الانتخابات بالقوائم النـــسبية ويـــسمى الانتخاب المباشر.. (أذكر مصطفى أمين حين اعترض في كـــتاباته اليومـــية على هذه الطريقة وقال فيما قال كيف أعطى صوتي لمرشح معـــين وفي النهاية يذهب صوتي لمرشح آخر؟ وقال أحمد بهاء الدين فيما قال إن هـــذا القانون الانتخابي اخترعه أنيشتين المصري).. كما رد البعض سبب عـــزوف المواطنين إلى أن قوانين الانتخاب لا تعترف بالمستقلين، إذ لابد أن يحـــشر المواطنون حشراً في أى حزب من الأحزاب القائمة فعلا.. وأن هؤلاء المـــستقلين هم مواطنون بلا هوية فكرية. كما اتهمت بعض أحزاب المعارضة الانـــتخابات في بعض الدوائر بالتزوير نظراً لأن ملايين الكشوف التي تحوي أسماء الناخبين قد شملت أشخاصاً لم تثبت هوياتهم أو أن هواياتهم نفسها مزورة (كمـــا حدث حين تبين أن هناك مليون اسم زائد في بطاقات التموين). ويرى الـــبعض في تحليله السياسي لحصول الحزب الوطني الديمقراطي الحاكم على الأغلبـــية، كون هذا الحزب هو الحزب الحاكم، والتحليل السياسي الذي أقصده هـــنا لا يتـــضمن أى نـــوع من التزوير من قبل أعضاء الحزب الذين يتولون الـــسلطة بالفعـــل، ولكـــن لأن الرأى العام بطبيعته –خصوصاً في الدول التي

عاشــت تاريخــاً طــويلاً من الحكم الشمولي التسلطي- يميل إلى تقبل حزب الحكومة بحكم العادة كما أن الرأى العام هنا أيضا يعكس تأثره بالعملية النفسية التــي يــسميها خبــراء الرأى العام تأثير عربة الحزب الفائز Band Wagon Effect.، وقــد رد الــبعض نجــاح الحزب في التحليل السياسي أيضاً، لوجود الــرئيس حــسنى مبارك على رأس الحزب، خصوصاً مع اتفاق الجميع (بما فــيهم أحــزاب المعارضة) على نزاهته، ورغبته المخلصة الأكيدة في تثبيت دعائم الديمقراطية ودفع مسيرتها إلى الأمام.. إن موقفه هذا نفسه، مع ما يدعم هذا الموقف من صفاته الشخصية ورصيده السياسي وممارساته الفعلية السابقة فــي إدارته لدفة الحكم بالشكل الديمقراطي (إخراج السياسيين من السجون التي أودعهــم فــيها الــسادات فــضلاً عــن تشاوره المستمر مع رؤساء أحزاب المعارضــة.. الــخ) إن هــذا كلــه قد أسهم في حصول الحزب الحاكم على الأغلبــية، فضلاً عن اعتبار هذا الحزب حزباً وسطاً من الناحية الأيديولوجية وهو الامتداد الحقيقي لثورة 23 يوليو 1952.

هــذا واهتمام الكاتب بانتخابات عام 1984 في مصر ذو شقين. أولهما الــشق الــسياسي الإعلامــي وهو الذي تحدث الكاتب عن بعض جوانبه في الــسطور السابقة، ولكن الشق الثاني يتعلق بالناحية التكنولوجية الالكترونية، والتــي ينبغــي أن تــسود حياتــنا الاقتــصادية والادارية فضلاً عن حياتنا الاجتماعــية والــسياسية. فعملية الانتخاب مثلا يمكن أن ينظمها وأن يحلها الحاســب الآلــي أى أن يكون في كل دائرة انتخابية ترمينال أو نهاية طرفية تــرتبط بالحاســب المركزي، وما على العامل أمام النهايات الطرفية – حين يحضر أحد المواطنين للادلاء بصوته – إلا أن يضغط على مفاتيح النهايات الطــرفية (التــي تــشبه الآلة الكاتبة العادية) وذلك لاستدعاء الرقم القومي للمــواطن وهــو نفــسه الرقم الانتخابي، ثم يدلي المواطن بصوته وبالتالي يستطيع المواطن أيا كان موقعه أو موطنه الانتخابي الادلاء بصوته (ويلاحظ أن هذا التطبيق يستدعي تبني مشروع الرقم القومي للمواطن).

ولعل الأخذ بالأساليب التكنولوجية الحديثة من شأنها أن تقلل من أسباب التذمر بسبب التزوير أو أن تجعل التزوير معدوما، فضلا عن إمكانية زيادة نسبة المواطنين الذين يشاركون بأصواتهم في انتخابات بلادهم خصوصاً إذا تعدلت قوانين الانتخابات واستمر المناخ الديمقراطي أو الهامش الديمقراطي كما يسميه البعض الذي تنعم به البلاد في الوقت الحاضر، وهو النظام الذى يتيح إنشاء الأحزاب دون لجنة تتحكم فى ذلك، والذى يطبق تداول السلطة ومختلف جوانب العملية الديمقراطية.

4/6 الصحافة والدعاية السياسية والانتخابات:

لقد أسهمت المسوح في التعرف الموضوعي على تأثير الصحافة والدعاية السياسية في الانتخابات، وكذلك التعرف على تأثير الحملات الانتخابية في تحويل أو تثبيت الأفضليات السياسية للناخب.

وعلى الرغم من الدراسات المسحية العديدة السابقة فما زالت معارفنا محدودة عن هذه الظواهر والتأثيرات. وعلى كل حال، فإن دراسة تأثير الحملات الانتخابية يتم بصورة أفضل عند اتباع منهج فرق المسح Panel Survey ، حيث يستطيع الباحثون إعادة إجراء المقابلات مع المستجيبين خلال تقدم الحملات والدعايات الانتخابية.. فالباحث في هذه الحالة سيستطيع متابعة التحولات في أفضليات الناخبين وسيستطيع الباحث ملاحظة العملية التي تتكون بواسطتها القرارات كما سيستطيع تقييم تأثير الخطب والأنشطة والأحداث المختلفة على رأى الناخب وتحوله من حزب إلى حزب أو من شخص إلى شخص. وإذا لم يتم تتبع عملية اتخاذ القرار بهذه الطريقة فسيواجه مراقب الحملة الانتخابية بموقف تختلط فيه مواقف وقوى وأحداث عديدة.. وكأنها حدثت جميعها في وقت واحد وعلى ذلك سيصبح من العسير التمييز بينها وتقييمها. هذا وتشير نتائج العديد من المسوحات المختلفة إلى أننا نهول ونبالغ في تصورنا لتأثير الحملات الانتخابية السياسية والصحفية على الناخبين.. ذلك لأن معظم الناخبين قد استقر رأيهم على من ينتخبوه

حتـــى قـــبل أن تـــبدأ هذه الحملات.. ولعل هذه الحملات تدعم وتثبت قرار الـــناخب فقـــط. والناخـــبون الذين يعلنون في البداية أنهم مترددون، عادة ما يعطون أصواتهم للحزب الذي تعودوا أن ينتخبوه.

أى أن هـــذه الحمـــلات ســـتبلور الآراء الموجودة فعلاً ولكنها سوف لا تحـــول الناخبـــين من حزب إلى آخر، وإن كان الباحثون يرصدون لهذه الحمـــلات السياسية والصحفية تأثيراً، عندما يتساوى مرشحان بالنسبة لتأييد الناخبين، فإن الحملة الناجحة هى التي تجعل أحد المرشحين يفوز على الآخر ولو بأصوات قليلة.

أما تحول الناخبين بشكل كبير من حزب إلى آخر فيمكن أن يحدث فقط إذا فجرت الانتخابات أزمة حادة وتفاعلت معها الجماهير.

هـــذا وقد درس دور الاعلام والاتصال الجماهيري في الانتخابات عن طـــريق المسوحات.. فلقد تبين على سبيل المثال أن معظم الناخبين يطلعون علـــى وســـائل الاعلام "لتدعيم" رغبتهم الانتخابية التي كونوها من قبل. وهم يميلون إلى تجنب وسائل الاعلام التي تتعارض مع قرارهم الانتخابي، أو إلى تفسير ما تكتبه أو تذيعه وسائل الإعلام على ضوء معتقداتهم وميولهم.

والناخبون يتعرضون خلال الحملات الانتخابية لوسائل اتصال ودعاية كثيـــرة تأتـــيهم من مصادر كثيرة وتتناول قضايا وموضوعات عديدة أيضاً، وبالتالـــي فالناخبون يختارون من هذا الفيض الدعائي والاعلامي ما يرغبون في سماعه أو قراءته ويعزفون عما يرغبون في تجنبه ورفضه.

ولما كانت معظم القضايا المعروضة على الناخبين هى قضايا معقدة أو فنـــية وذات جـــوانب متعددة، فإن الناخبين يميلون في هذه الأحوال إلى تقبل التفسيرات والآراء التي يضعها المتحدثون باسم الحزب لشرح هذه القضايا.

وهـــناك اســـتثناءات لهـــذه القاعـــدة السالفة الذكر، فقد تكون التغطية الـــصحفية أو الاذاعـــية الواســـعة، بالنسبة لبعض المرشحين ذوي الأصالة

الفكـــرية أو الشخـــصية القوية الجاذبة، ذات أثر واضح في تعريف الجمهور بهؤلاء المرشحين وزيادة شعبيتهم.

لقد أظهرت بحوث المسح التي قام بها لازرزفيلد وزملاؤه، أن وسائل الاعـــلام خصوصاً الصحفية منها تخاطب القطاعات المتعلمة وهى القطاعات ذات الدرايـــة بالشئون العامة والتي استقرت عادة على قرار انتخابي حازم، أمـــا الناخـــبون المتـــرددون، وهم الذين يود المسح الوصول إليهم، فهؤلاء لا يـــصل إلـــيهم الـــباحث عن طريق وسائل الاعلام وإنما يصل إليهم عن الطريق الشخصي المباشر.

هـــذا والقطـــاع المتعلم أو الواعي سياسياً هو القطاع الذي يعمل كحلقة وسيطة بين وسائل الاعلام وبين الناخب العادي، أى أن وسائل الاعلام في هذه الحالـــة تمارس على الأقل تأثيراً غير مباشر على الناخب العادي من خلال ما يـــسمى "بالاتصال على مرحلتين" Two Step flow of Communication حيث يقـــوم أعضاء الجماعة الناخبة الأكثر وعياً وتعليماً بتلقي المعلومات من وسائل الاعلام ثم نقلها إلى الناخبين العاديين.

وأخيـــراً فتـــساعدنا المسوحات في التعرف على مدى صحة أو تأثير بعـــض التفسيرات الشائعة، كتأثير عربة الحزب الفائز Band Wagon Effect والتعـــرف علـــى حدوثها من عدمه وتحت أى ظروف وكذلك التعرف على كثيـــر من العلاقات والارتباطات Correlations كالارتباط بين مستوى التعليم والاهتمامات والانتماءات السياسية وتأثير الشخصية على الاختيار الانتخابي، ودرجة عمق الانتماء الحزبي في الأسرة وغيرها من الجماعات.

أى أن مـــنهج المـــسح سيساعدنا في التعرف على مختلف المتغيرات والتأثيرات المتعلقة بالعملية الانتخابية ابتداء من التنظيمات الحزبية وأنشطتها والدعايـــة الانتخابية إلى دور المرشحين والناخبين والمؤسسات المختلفة في تدعيم قرار الناخب أو تحوله من حزب إلى آخر.

وإذا ما علمنا بطريقة أكثر موضوعية تأثير العضوية في جماعة معينة أو تأثيــر الشخصية والأيديولوجية والجماعات المرجعية ووسائل الاعلام في العملية الانتخابية، كان تقييمنا للتأثيرات السياسية أكثر موضوعية وصحة.

5/6 إسهام المسح في النظرية السياسية والإعلامية:

يلجــأ الدارسون للمسح عادة باعتباره مجموعة إجراءات قوية لتجميع الحقائــق، ولكــن إسهام المسح في تركيب واختبار الفروض والنظريات لا تحتل عند هؤلاء مكاناً أساسياً.

وتقــع القــيمة الفعلــية للمــسح بالنسبة للنظرية السياسية -بداية- في المتطلبات الفكرية لمنهجية البحث.. والذين يستخدمون المسح كمنهج، يجب أن يوضــحوا معانــي وتعــريف مصطلحاتهم وأهدافهم، وكيفية قياسها بدقة. كما ينبغــي عليهم أن يضعوا نظرياتهم بطريقة نسقية متماسكة، وأن يستمدوا منها الفــروض التي يرغبون في اختبارها. كما ينبغي عليهم في مرحلة استخلاص النتائج، القيام بالتحليل والتفسير السليم لتقرير مدى صحة النظرية التي تبنوها.

إن الــتقدم في النظرية لايعتمد فقط على فطنة الباحث المتميزة، ولكنها تعتمد كذلك على مقدرته على مواجهة الحقائق وتقديم التفسير المناسب لها.

وإذا كانــت المــسوحات وغيرها من الأساليب الامبيريقية تؤدي إلى ظهــور حقائق معينة، فإن هذه الحقائق تفرض على الباحث إعادة النظر في نظرياته وتعديلها.

ولقد ظهر تأثير المسوحات على النظرية السياسية في مجالات عديدة.. وعلــى ســبيل المــثال لا الحصر.. فقد ظهر هذا التأثير في مجال النظرية الديمقراطية أى في مجال طبيعة وممارسة الحكومة الديمقراطية.

وعلــى الــرغم مــن عدم وجود تعريف واحد يقبله الجميع لمصطلح "الديمقــراطية" في جميع الأقطار والأزمنة، فإن النموذج الذي يكثر عرضه

عـن الديمقـراطية "السـياسية" يعكس النظام المعتمد على الرضا الايجابي للناخبـين الواعين، وهؤلاء يختارون حكامهم فقط بعد تمحيص ومفاضلة بين المرشحين الذين سيمثلونهم ويحكمونهم عن طريق الأغلبية ورضى الأقلية.

هـذا ويفتـرض فـي الناخبين الوعي الكامل والمعرفة التامة بجميع الأحزاب المتنافسة وجميع المرشحين والبرامج التي سيعمل كل واحد من هذه الأحزاب على تحقيقها.. كما يفترض في الناخبين كذلك أنهم سيمارسون حقهم الانتخابي في تجرد عاطفي وحكم عقلاني، وبعد تقييمه ووزنه ومدى تحقيقه لمصالحه الخاصة. ومصالح وطنه وأمته. إن هذا الاختيار الحكيم للمرشحين هـو اختـيار الأغلبـية لحكامهـا الذين سيمثلونها خلال الفترة التي حددها الدسـتور. ويفتـرض في اختيار الأغلبية هذا أنه اختيار "صحيح" عادة لأن الرأى العام له السيادة لا في القانون وحده بل في الحكمة المتفوقة كذلك.

واهتمامـنا فـي هـذا التحليل لا ينسحب على هذا النموذج "العقلاني" للديمقـراطية أو غيره، ذلك لأن هذه النماذج لها فائدتها من غير شك.. ومع ذلـك فينبغـي أن نشير إلى أن بحوث المسح الخاصة بالانتخاب وغيره من العملـيات الديمقراطية – قد أظهرت أن هناك عناصر مختلفة في النظريات الدراسية لا يمكن الدفاع عنها أمبيريقيا.

مـن أجل ذلك فقد بدأ دارسو السياسات الديمقراطية في تعديل النظرية لتـتلاءم مع الدور الذي يلعبه الناخبون فعلا في التعبير عن آرائهم وثقتهم.. فضلاً عن إعادة النظر في التعرف على دور الأحزاب والمرشحين والقضايا والعمليات الاتصالية.. الخ في مسار الانتخابات وتقدمها.

ويستتبع ذلك أيضا إعادة النظر في معاني وتعريف مصطلحات عديدة في هذا المجال كالجمهور والرأى العام وحكم الأغلبية وذلك حتى تتفق مع ما تكشفه بحوث المسح.

إن دور "الصفوة" الفعلي في العملية الديمقراطية قد أصبح موضع نظر جـاد مـن هؤلاء الدارسين، كما أعيد تقييم دور "الصفوة" كركائز للمعتقدات الديمقراطية وكوكلاء لدعم قواعد اللعبة الديمقراطية.

كمـا وضـعت هـذه الدراسـات الامبيريقية الافتراضات التقليديةعن الديمقراطية "الطبيعية" للفقير والجاهل والشخص الطيب المسالم الذي لا يدخل فـي مـساجلات أو محـاورات أيديولوجية، وضعت هذا كله تحت الاختبار والتساؤل.

لقـد فرضـت علينـا بحوث المسح كذلك إجراء بعض التعديلات في نظـرياتنا عـن المعتقدات والانتماءات السياسية المتطرفة. فنحن لم نعد نرد تبنـي المعـتقدات المتطـرفة اليسارية أو اليمينية إلى العوامل السياسية أو الاجتماعـية والاقتـصادية وحـدها، بل يجب أن نأخذ في اعتبارنا عوامل "الشخـصية" كالمـيول التسلطية وعدم القابلية للتفاهم والملاءمة وغيرها من الأمراض النفسية.

ويـوجد هؤلاء المتطرفون في جميع الوظائف والقطاعات الاجتماعية والمستويات التعليمية.. ولكنهم يشتركون جميعا في احتياجات "الشخصية" أى أنهـم يـشتركون جميعا في الطرق التي يواجهون بها احتياجاتهم وتطلعاتهم واحـباطاتهم عـن العالم من حولهم. كما تناولت بحوث المسح كذلك ظواهر عديدة كالعزوف السياسي واللامبالاة Alienation and anomy فقد أثبتت هذه البحوث أن النظريات التقليدية في شرح هذه الظواهر وردها إلى التصنيع أو التحـضر أو المجـتمع الجماهيري Mass Society أو الاحباط الاجتماعي أو أفـول وتقليل دور الأيديولوجية.. هذه النظريات التقليدية غير كافية للتفسير والـشرح، ووضـعت بحـوث المـسح كثيراً من جوانبها موضع التساؤل والاختبار بادخالها لدور العوامل "الشخصية" ولدور التعلم والتطبيع السياسي والاجتماعـي Learning and Socialization لقـد كشفت المسوحات أيضاً أن كثيـراً مـن التـصنيفات التقليدية السياسية والتي ينادي بها بعض المنظرين

والدعاة، هذه التصنيفات لا تعيش في أرض الواقع العملي.. فاليسار واليمين السياسي مثلاً ليسا مجرد محاور سياسية متباعدة، ذلك لأن نفس الأشخاص يمكن أن يؤمنوا بقيم يصنفها بعض المنظرين على أنها يسارًا أو يمين.. أى أن تحليل نتائج المسح لبعض المستجيبون تشير إلى درجات عالية High Scores في بعض القيم التي يعتبرها بعض المنظرين يسارًا أو قيم تحررية Liberal بينما يحصل هؤلاء المستجيبون أنفسهم على درجات عالية أيضاً في بعض القيم التي تعتبر بمقاييس أخرى يمينية أو محافظة Conservative.

أى أن النظريات السياسية التقليدية تميل إلى التبسيط الشديد للانحيازات السياسية، ومن هنا فإن نتائج بحوث المسح تجبر الباحثين السياسيين والإعلاميين على إعادة النظر في الافتراضات والتفسيرات السابقة وذلك للوصول إلى شرح للسلوك السياسي يتفق مع هذه الحقائق والنتائج.

ومن أمثلة نتائج المسوحات هذه ما يلاحظه الباحث من اتفاق اليمين المتطرف واليسار المتطرف في رفض المؤسسات السياسية القائمة كالحكومة الديمقراطية والمجتمع المفتوح وحرية الصحافة.. وكل من اليمين واليسار المتطرف يحمل عناصر التآمر والخوف الذي لا أساس له والغضب وعدم المرونة وعدم التسامح. إن هذه الصفات التي تظهر في الجماعات المتطرفة بناء على تحليل المسوحات السياسية يمكن ملاحظتها أيضاً في الحركات المتطرفة (كالنازية والشيوعية...الخ).

إن التغيير الذي يمكن أن يؤثر على مفاهيمنا النظرية بالنسبة لهذه الظواهر، لا يأتينا من المسوحات وحدها، ولكن بحوث المسح قد أضافت أدلة هامة تدعم هذه الاتجاهات الجديدة.

سابعا: حدود ومشكلات استخدام المسوحات السياسية والاعلامية:

على الرغم من الأهمية الكبرى للمسوحات في الدراسة السياسية والاعلامية إلا أن هناك مشكلات ترتبط باستخدام المسوحات للبحث، ومن

بين هذه المشكلات تكاليف المسح العالية وعدم إمكانية الوصول إلى قطاعات معيـــنة من المستجيبين (نظرا لتوليهم مناصب بارزة أو لجهلهم أو فقرهم أو عزلتهم الجغرافية.. الخ).

هـــذا وتفقـــد المـــسوحات فعاليتها إذا لم يستطع الباحث وضع المفاهيم المطلـــوبة في استبيانات فعالة. فعلى سبيل المثال لا الحصر إذا أخذنا مشكلة "الـــولاء للحـــزب " فسنجد أن الجماعات المختلفة لا تفهم أو لا تستجيب لهذا الـــولاء بـــنفس الطـــريقة، فغيـــر المتعلمين قد يعلنون هذا الولاء ولكنهم في التطبـــيق العملي قد لا يعكسون هذا الولاء، كما تعتبر بعض الجماعات نفسها من بين "المستقلين" أو المتمردين على سيطرة الحزب أياً كانت درجة انتمائهم وولائهـــم لحزب معين، خصوصًا إذا كان هذا الحزب مسيطر بدرجة تعوق تحقيق التعددية والتنافسية.

وهـــناك حدود أيضا للمسوحات، إذ أنها ليست الاجراء الأمثل للتعرف علـــى المعـــتقدات أو ملاحظة التغيير وإن كانت المسوحات تنير لنا الطريق وتـــساعدنا مـــع المـــداخل الأخرى كالملاحظة والوصف والتحليل على فهم الظواهر والعلاقات السياسية.

أما بالنسبة للحدود والمشكلات الفنية المصاحبة للمسح السياسي، فهناك مشاكل "المعاينة" "Sampling" حيث يصعب تحديد صفات مجتمع البحث، كما قـــد يـــصعب الوصول إلى بعض الأفراد، كما قد يرفض بعضهم الاجابة.. وعلى الرغم من إمكانية تصميم العينة احتماليا فقد يصعب تطبيقها عمليا.

إن الطـــريقة التي يسلك بها شخص معين في موقف فعلي، تعتمد على "محـــتوى وشـــدة" اتجاهاته ومعتقداته، كما تعتمد على قوة العوامل الخارجية التـــي تؤثر على هذا الشخص، كما يعتمد سلوكه فوق هذا كله على الظروف المحيطة به ساعة الفعل.

مــن أجــل ذلك فالمسوحات لا تستطيع دائماً التنبؤ بالسلوك الصريح، نظــرا لــصعوبة التأكد من العوامل السابقة جميعها في أى حالة من حالات البحث والدراسة.

وأخيــرا فالمسح –مثله في ذلك مثل الدراسات السلوكية بصفة عامة– تحــرم السياسة من حيويتها، وذلك عندما يجمع المسح الاستجابات الشفوية في لحظــة معيــنة وعــندما يتعامل مع المتغيرات والعناصر المعزولة وليس مع الانسان واستجاباته الكلية.. أى التعامل مع الإنسان بضغطه إلى أبعاد وعناصر وإحــصائيات أي ضــغطه إلــى حيوان سياسي لــه مجموعة من الاحتياجات والدوافــع فضلاً عن دوره في جماعة معينة، وواضح أن هذا النقد الأخير هو نقد الحركات الانسانية Humanistic للدراسات السلوكية بصفة عامة.

ثامناً: دراسة مسحية تطبيقية عن اتجاهات العرب والمسلمين الأمريكيين وعن العقيدة الإسلامية بعد الحادي عشر من سبتمبر 2001:

مقدمــة :

لقد أشعلت الاعتداءات الارهابية ضد الولايات المتحدة في الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 اهتمامات واسعة بالنسبة لصعود وتوافر مشاعر الخوف من الاسلام بين الأمريكيين كانعكاس لهذه الحادث، وحتى يمكن قياس اتجاهات الــرأى عن المسلمين والعرب (سواء الذين يعيشون داخل الولايات المتحدة أو خارجهــا) وعــن الاتجاهات نحو العقيدة الإسلامية فقد اهتمت منظمات عديدة بــصفة منــتظمة بمــسح هــذه الآراء والاتجاهات وقام الباحث بانا جوبولس (Panagopolos C. 2006) بتحليل هذه التطورات في مشاعر الجمهور الأمريكي حــول الأمــريكيين العرب والمسلمين وحول الاسلام في عصر الحرب على الارهاب باستخدام البيانات المتوفرة عن قياسات الرأى العام الأمريكي.

ويــشير تحلــيل هذه البيانات في هذه الدراسة إلى أن الأمريكيين لديهم اســتنكار قديم وتحفظت مترسبة عن الأمريكيين العرب والمسلمين، كما تعكس

الأدلـــة أيـــضا المـــستويات المنخفضة لوعي ومعرفة الأمريكيين عن المبادئ الأساســية للاسلام فضلا عن الجزع والخوف المتنامي عن الاسلام (خصوصا بالنسبة للأصوليين الاسلاميين) وعدم ملاءمتها للقيم الغربية المتصلة بالتسامح وتقــبل الآخــر والتحــضر. وإذا كانت بعض الحركات العنيفة في ديناميكيات الرأى الملحوظة بوضوح بعد اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر مباشرة، فإن مــستويات الرأى قد استقرت بعد وقت قصير واستمرت هذه التطورات كجزء مــن الحرب على الارهاب، وسيقوم مؤلف هذا الكتاب الذى بين أيدينا بطرح بعــض تفصيلات دراسة الباحث بانا جوبولس المنشورة في مجلة الرأى العام الفصلية في شتاء عام 2006 وذلك تحت البنود الأربعة التالية:

1/8 نظـرة عامـة عـن ردود فعل الإدارة الأمريكية ونشاط مؤسسات قياس الرأى العام:

قـــام الـــرئيس الأمريكـــي جورج بوش في جهوده لتجنب ردود الفعل الأمريكية بعد اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر، بحث الأمريكيين بمقاومة الدوافـــع ضـــد المـــسلمين وذلك في خطبته إلى أمة حزينة وذلك في اجتماع مشترك للكونجرس في العشرين من سبتمبر عام 2001، حيث أعلن أن عدو أمـــريكا لـــيس العديـــد مـــن أصدقائنا المسلمين ولا من العديد من أصدقائنا العرب.. وبالتالي فلا ينبغي ألا تكون هناك معاملة غير عادلة أو غير كريمة انطلاقاً من الأساس العرقي أو العقيدة الدينية.

وفي دراسة أذاعتها مؤسسة حقوق الانسان Human Right Watch في نوفمبـــر عـــام 2002 أن المكـــتب الفيدرالـــي للتفتـــيش Federal Bureau of Investigation أشـــار إلى أن هناك زيادة تبلغ (17) مرة ضعف في الجرائم ضد المسلمين في الولايات المتحدة على اتساعها خلال عام 2001 .

وقـــد اعـــتمد الـــباحث بانا جوبولس في دراسته هذه عن تطورات آراء الأمـــريكيين عن المسلمين والعرب (المقيمين منهم داخل أمريكا أو خارجها)

والتعرف على اتجاهاتهم نحو العقيدة الاسلامية، اعتمد على بيانات الرأى العام التي يقوم بتجميعها مركز روبر لقواعد البيانات Roper Center's IPOLI Data Base وقد أظهرت هذه البيانات الأخيرة أن الأمريكيين مع ابتعادهم عن مسرح وزمــن اعــتداءات الحــادي عشر من سبتمبر – قد أصبحوا أقل معرفة عن العــرب والمــسلمين الأمــريكيين وأكثر حذرا منهم، ومع ذلك فإن الحساسية الشديدة التي صاحبت الحادي عشر من سبتمبر لم تستمر أمداً طويلاً.

2/8 مجتمع الأمريكيين المسلمين:

إذا كانت هناك بعض الأدلة التي سيشير إليها الباحث باناجوبولس فيما بعــد، والتي تشير إلى أن الجمهور الأمريكي قد تفاعل مع اعتداءات سبتمبر بطريقة متوقعة إلا أنه ليس هناك رد فعل زائد عن الحد، فبيانات الرأى العام الأمريكــي تــشير إلـــى أن رد فعله كانت تتصف بالوضوح والتسامح وكبح الجمــاح، فقــد تحولت الهزات الانفعالية المبدئية إلى المستويات السابقة قبل الحادي عشر من سبتمبر. فنسبة الأمريكيين الذين تبنوا مشاعر غير مشجعة ضد الأمريكيين المسلمين قد تضاعفت في نوفمبر 2001 (إلى 15%) بالنسبة للمــشاعر السابقة الموجودة ولكن بنسبة أقل (أى إلى حوالي 7%) ولكن هذه المــشاعر تعدلت في فبراير عام 2002م لتصبح 8% فقط وارتفعت قليلاً في يونــيو عــام 2003 إلى حوالي 10%، كما أشارت البيانات المجمعة بواسطة مجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية Chicago Council on Foreign Relations إلـــى أن الاتجاهات المؤيدة للمسلمين قد انخفضت بين عامي 2002 – 2004، ومع ذلك فهناك ثبات بالنسبة لأغلبية المشاعر بين الأمريكيين وهوان مسلمي الــولايات المــتحدة علــيهم التزام خاص لمساعدة الإدارة الأمريكية لسحق الإرهابيين وهزيمة أسامة بن لادن.

3/8 العقيدة الاسلامية:

هـــناك بعض المتخصصين الذين يرون أن اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر قد أشعلت ما يسمى بصدام الحضارات Clash of Civilizations ولكن وعـــي الأمريكيين ربما قد تغير في السنوات الأخيرة عن العقيدة الاسلامية، ولكـــن معظم الأمريكيين يعرفون قليلا جدا عن الاسلام، ومعظم المستجيبين علـــى الاســـئلة يشيرون إلى أن الاسلام يختلف اختلافا جذرياً عن ديانتهم – وإن كانـــت المـــسموحات التي تمت خلال السبعينيات والثمانينيات قد عبرت عـــن مشاعر معظم الأمريكيين التي تشير إلى أن الاسلام قد أصبح قوة هائلة فـــي العـــالم، ويجب الإشارة إلى أن بيانات المسوحات التي أجريت في عام 2001 تـــشير إلـــى أن، نـــسبة الذين لا يعرفون شيئا مطلقا عن الممارسات الاسلامية وصلت إلى 24% وهذه النسبة وصلت إلى 29% عام 2003.

وعندما أجرت مؤسسة البحوث المسحية في برنستون Princeton Survey Research Associates أســئلة للأمـــريكيين للتعـــرف على مدى وجود أشياء مـــشتركة بين القرآن" والانجيل فأجاب معظمهم بأن ديانتهم تختلف جذرياً عن الاســـلام Very Different From Islam وقـــد زادت نسبة هؤلاء المؤيدين لهذه المقولة من 52% في نوفمبر 2001 إلى نسبة 60% في يونيو 2003.

وقـــد أجـــاب 40% مـــن الأمريكيين إلى أنهم يشعرون بأن اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر تمثل " التعاليم الحقيقية للإسلام" وأن الاسلام يشجع العـــنف ضد غير المسلمين وقد زادت نسبة هذه المقولة من 14% إلى 34% فـــي مـــارس عـــام 2006، كمـــا أشارت مسوحات مجلس شيكاغو للعلاقات الخارجـــية أن الأصـــوليين المـــسلمين يعتبرون تهديدا مباشرا للأمن القومي الأمريكي.

4/8 الحادي عشر من سبتمبر والإرهاب والتسامح:

تعرضت قياسات الرأى لتطورات عديدة في اتجاهات الأمريكيين نحو المسلمين منذ اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر وخلال الأعمال العسكرية التالية، وأظهرت البيانات تخوف الجمهور الأمريكي من التعامل مع المسلمين بطريقة مختلفة في ملاحقة أنشطتهم.

ومن بين تلك القياسات للرأى العام، أن نصف الأمريكيين يعتقدون في يونيو عام 2002، أن معاملة المسلمين بطريقة مختلفة فيه انتهاك لحقوقهم وزادت هذه النسبة إلى 52% في يونيو 2003، ومع ذلك فهناك نسبة كبيرة أيضا من السكان (حوالي 42% عام 2002، 39% عام 2003) يشعرون بأن الحكومة يجب أن يكون لديها نفوذاً أكبر في الرقابة على المسلمين أكثر من أى جماعة أخرى.

وهناك بيانات أخرى تشير إلى أن نسبة المستجيبين ممن يعتقدون أن الحكومة تقوم بدرجة كافية" بتقديم واحترام وحماية حقوق الأمريكيين العرب والمسلمين، قد انخفضت بشدة من 73% في نوفمبر 2001 إلى 61% في سبتمبر عام 2003، كما أظهرت نسبة كبيرة من الأمريكيين رغبتهم في زيادة التضييق في قوانين الهجرة للحد من دخول العرب والمسلمين إلى البلاد، مع وضعهم تحت الرقابة الخاصة، خصوصا ونسبة المستجيبين من الأمريكيين قد تضاعفت حيث ترى أن الأمريكيين العرب متعاطفين مع الارهابيين وأن هذه النسبة قد زادت من 18% في أكتوبر عام 2001 إلى 33% في سبتمبر عام 2002 ذلك لأن الثقة فيهم قد قلت عن ذي قبل.

وبعد استعراض دراسات الباحث بانا جوبولس السابقة المعتمدة على تجميع وتحليل اتجاهات الرأى العام الأمريكي نحو الأمريكيين العرب والمسلمين، ونحو العقيدة الاسلامية التي تدعم الارهاب وتدعو له.. يجب أن يشير مؤلف هذا الكتاب إلى رؤيته والتي استخلصها بمعايشة الصفوة من الرأى العام الأمريكي أثناء دراسته بأمريكا في بداية الستينيات، وهى أن

هــناك اتجاهات واضحة لدى الأمريكيين بالنسبة للاسلام حتى في هذه الفترة البعــيدة عن الحادي عشر من سبتمبر عام 2001، وذلك لأن النظام التعليمي خــصوصا في مرحلة الطفولة والشباب يعتمد على التنشئة اليهودية المسيحية Judo christianity أى أن هــناك بــناء الاتجاهــات على هذا التلاحم.. وهذه الخلفية المعادية للاسلام هى التي ظهرت واضحة بعد اعتداءات الحادي عشر مــن ســبتمبر 2001، وعلى الدول العربية والاسلامية حكومات وشعوبا أن تــضع استراتيجيات للدعوة الاسلامية المضادة من أجل تعديل " وليس تغيير" بعض هذه الاتجاهات الراسخة لدى الأمريكيين منذ طفولتهم.

الفصل الثامن

المنهج التجريبي

أولا: أهمية التجربة ومكوناتها المفتاحية وعوامل السببية:

تقوم التجارب في الاتصال الجماهيري بتجميع البيانات بطريقة مباشرة مــن الــناس مثل منهج المسح، ولكن التجربة – على عكس المسح – تسعى لتجمـــيع هذه البيانات تحت ظروف محكومة، وإذا ما طبقت التجربة بعناية، فــسيكون الــباحث قادراً في معظم الأحيان على الاستجابة لمختلف جوانب العلاقات السببية.

ولعـــل أهم هذه المكونات هو تطويع manipulation المتغير المفتاحي، ومتى حدد القائم بالتجربة المتغير (ويسمى عادة المتغير المستقل) وهو الذي يعتبر السبب الرئيسي في التأثير على متغير آخر (يسمى عادة متغير تابع)، فالاستراتيجية المتبعة هى تطويع المتغير المستقل حتى يمكن إنشاء أكثر من حالة تجريبية. وهدف هذا التطويع هو القدرة على ملاحظة تأثير المستويات المخــتلفة للمتغير المستقل على بعض المتغير التابع (Sparks, G. 2006: 35) أى أن السببية مفهوم حاسم في البحث التجريبي ويعني ببساطة أن حدثاً معيناً (السبب) يؤدي دائما إلى حدث آخر (الأثر).

أما العوامل التي تدخل في السببية فهي:

أ- **العامــل الــضروري:** يعنــي أنــه إذا كان (س) المتغير المستقل عامل ضــروري لحدوث (ص) المتغير التابع فإن (ص) يستحيل حدوثه إلا بعد حــدوث (س) .. وعلــى ســبيل المــثال إذا كان التعلم الإعلامى عامل ضــروري للاســتخدام الفعال لمركز المعلومات الصحفية، فإن الأخير لا يمكن حدوثه إلا إذا قمنا بالتعليم الإعلامى.

ب- **العامل الكافي:** ويعني أنه إذا كان (س) يعتبر عاملا كافيا لظهور (ص) فكلما حدث فإن (ص) سيحدث دائما - أى أنه إذا كان التعلم الإعلامى عامل كاف للاستخدام الفعال، فمعنى ذلك أنه إذا حصل الفرد على التعليم الإعلامى المناسب فسيبدأ الفرد بالاستخدام الفعال لمركز المعلومات الصحفى.

ومع ذلك فقد لا يكون العامل ضروريا أو كافياً لحدوث الظاهرة.. أى أن التعليم الإعلامى قد لا يكون عاملا ضروريا للاستخدام الفعال لمركز المعلومات الصحفية، ذلك لأن الفرد قد يعلم نفسه كيفية الاستخدام، ففي العلوم الاجتماعية ومن بينها علوم الإعلام هناك عوامل مختلفة تميل إلى أن تكون السبب أو التأثير على أى متغير تابع.

فبالإضافة للتعليم الإعلامى قد يكون هناك عوامل أخرى كالدافعية والتشجيع والذكاء والخبرات المسبقة وضغط الزملاء.. الخ تساعد على الاستخدام الفعال لمركز المعلومات الصحفى أى أن على الباحث في علوم الإعلام أن يبحث دائما لا عن عامل واحد بل عن عدة عوامل لحدوث الظاهرة.. بل على الباحث في العلوم الاجتماعية بصفة عامة أن يستنتج علاقة سببية بين اثنين أو أكثر من المتغيرات بناء على البيانات المجمعة وتحليلها.

وتظل السببية مفهوما حاسما في البحوث التجريبية، ويعنى ببساطة أن حدثاً معيناً (السبب) يؤدي دائما إلى حدث آخر (الأثر).. وفي العلوم الاجتماعية يعتبر المحور عادة شاملاً لعوامل مختلفة تدخل في الظاهرة وهذا معناه زيادة احتمال حدوث حدث معين نتيجة لهذه العوامل وليس نتيجة لحدث واحد محدد.. ويفضل البعض استخدام السببية والشرح بطريقة متبادلة في العلوم الاجتماعية.

ثانيا: أنواع التجارب المعملية:

1. **التجارب المعملية والتجارب مع الناس:**

والأولـــى تتميز بالضبط والتحكم والتطويع من جانب الباحث، ومن ثم يمكن تكرارها في أى وقت. أما في التجارب مع الناس فيضع الباحث فرضه عن طريق تجميع المعلومات من الظواهر الطبيعية بدلاً من اصطناعها.

2. **التجارب التي تستخدم فيها مجموعة واحدة من الأفراد أو أكثر:**

وفـــي الحالة الأولى يتعرف الباحث على اتجاهات أفراد المجموعة ثم يدخل العامل التجربي عليها، ويتعرف على اتجاه أفراد المجموعة نفسها بعد ذلك.. والفرق بين القياسين –إذا وجد– يكون راجعاً للعامل التجريبي. أما إذا استخدم الباحث مجموعتين فتكون إحداهما "تجريبية" والأخرى "ضابطة" حيث يفترض أن المجموعتين متساويتان من جميع الوجوه. ثم يدخل الباحث العامل التجريبـــي على المجموعة التجريبية فقط. ويقيس بعد ذلك اتجاه المجموعتين والفـــرق بـــين المجموعة الضابطة والتجريبية –إذا وجد– يعود إلى العامل التجريبي.

3. **التجارب التي تستغرق وقتا طويلا أو قصيراً لإثبات الفرض:**

(كأثـــر دراسة المرحلة المتوسطة على التعلم السياسي) والتجارب التي يمكـــن إثبات الفرض فيها في زمن قصير (كتأثير بعض البرامج الاذاعية في تغيير اتجاهات الأفراد).

ثالثا: عناصر التجربة والمنهج التجريبي:

- **تجربة سانتشى على الحشرات:**

فـــي مطلـــع القرن العشرين كان عالم الحشرات فيلكس سانتشي Felix Santschi مشغولا في دراسة سلوك النمل العادي. وقد قادته بعض ملاحظاته

إلـــى "فـــرض معين" هو أن النمل ربما يعتمد على ضوء الشمس في تحديد اتجاهاتـــه. وحتـــى يضع فرضه هذا تحت الاختبار. فقد صمم سانتشى خطة تجــربة، حيث اختار قطعة عشب في مكان لا يبعد كثيرا عن بيت النمل، ثم وضع على أحد جوانب هذه القطعة شيئا معتماً يحجب ضوء الشمس ووضع على الجانب الآخر لهذه القطعة مرآه مائلة.. وانتظر بهدوء حتى تظهر نملة بمفردها في طريق عودتها إلى بيتها، ثم وضع الباحث الستر المعتم في مكان يستطيع أن يحجب به أشعة الشمس المباشرة عن رؤيا النملة ثم حرك المرآة المائلـــة بحيث تنعكس أشعة الشمس بواسطتها على النملة من اتجاه بعيد عن الـــشمس نفـــسها. ومعنـــى ذلك بالنسبة للنملة أن الشمس التي كانت تشع من الغـــرب، أصبحت تشع من الشرق. وقد لاحظ الباحث أن النملة توقفت فجأة. وبعد فترة قصيرة حولت مسيرتها إلى الاتجاه المعاكس. أى بعيداً عن بيتها. وقـــد علل فيلكس الباحث هذا التصرف على أن النملة كانت تستخدم الشمس كأداة لتحديد اتجاهها.

- **بعض عناصر التجربة:**

إن طـــريقة سانتـــشى فـــي الملاحظة توضح في شكل مبسط العناصر الأساســـية للـــبحث التجريبي. أى اختبار الفرض عن طريق توفير ظروف صناعية يمكن التحكم فيها بالملاحظة.. فبدلا من أن يصل الباحث إلى نتائجه عن طريق المنطق أو من ملاحظته للأشياء تحت الظروف الطبيعية Natural Conditions فقد اخترع سانتشى ظروفا جديدة، على أن يختبر نظريته تحت هذه الظروف بسرعة ودقة.

هـــذا ويتضمن البحث التجريبي عادة، تركيب واستخدام الات وأدوات ميكانيكـــية، كما يستخدم الكيميائيون وعلماء الفيزياء المحدثون أجهزة معقدة فـــي أغراضـــهم التجـــريبية. ولكن الأجهزة والأدوات ليست بذاتها العنصر الـــضروري فـــي هذا النوع من البحوث، وذلك لأن العامل الهام الحقيقي هو ذكـــاء الـــباحث وفطنـــته. فالـــباحث لابد أن يكون قادراً على ابتكار وتدبير

الظروف التي يمكن أن يتحكم فيها في كل مرحلة من مراحل التجربة. ويجب أن يكـــون الـــباحث متيقظاً بدرجة كافية لمتابعة تطورات التجربة، وفهم ما يحـــدث خلال اجرائها.. وإذا لم يكن الباحث على دراية بذلك، فإن ملاحظاته ستكون غير موثوق فيها.

وهـــناك بعـــض التجارب التي يمكن إجراؤها دون استخدام أى أجهزة خاصـــة. وذلـــك مـــثل الـــتجارب التـــي تتم لاختبار طرق جديدة للتدريس بالمـــدارس. ولكن يجب أن يكون واضحاً أنه لابد في هذا الأحوال أيضاً من توفير ضوابط Controls وظروف معينة في أى تجربة دقيقة.

- **جاليليو رائد المنهج التجريبي:**

كثيـــراً ما يلقب جاليليو بأنه أب الطريقة التجريبية، ونعود فى ذلك إلى تجاربـــه علـــى الأشياء ذات الأوزان المختلفة التي أسقطها من ارتفاع معين علـــى الأرض. حيث يبدو أن المنطق يشير إلى أن الأشياء الثقيلة ستهبط إلى الأرض أســـرع مـــن الأشياء الخفيفة ولكن تجارب جاليليو (الملاحظة تحت ظـــروف يمكـــن التحكم فيها (Controlled Conditions) أظهرت أن الأشياء التـــي تتكون من مادة واحدة تسقط على الأرض بمعدلات سرعة واحدة مهما اختلفت أحجام وأوزان هذه الأشياء.

- **الدراسات التجريبية على أصل الحياة:**

لقـــد ثبت أن الملاحظات التي تمت تحت الظروف الطبيعية – لم تكن حاســـمة بالنـــسبة للكائنات الحية. فهل تنشأ هذه دائما كنسل وذرية للوالدين الأحـــياء أم أن هـــذه الكائنات تنتج أحيانا بواسطة التولد الذاتي Spontaneous Generation. لقـــد اســـتدعت هذه المشكلة إجراء التجارب التي يمكن التحكم فيها وذلك للاجابة على هذا السؤال بصورة قطعية.

لقـــد تـــناول لـــويس باســـتير Louis Pasteur عام 1860 هذه المشكلة مـــستخدماً كـــلا مـــن الطريقة التجريبية وغيرها من الطرق. وفحص بعناية

"الفــرض" الــذي يقــول بأن الجراثيم Germs تعيش في الهواء، وأنها تنقل بواســطة تيارات الهواء من مكان إلى آخر. وإذا كانت هذه الرواية صحيحة فمعنـــى ذلك أن هذه الجراثيم سوف تترسب في السوائل المعقمة والمحفوظة في الأوعية المفتوحة.

ولاختــبار هــذا الفرض. فقد قام باستير بتوجيه تيار من الهواء تحت ضــغط قوي من خلال مرشحات قطنية ثم وجه هذا التيار بعد ذلك من خلال مرشــحات اسبستوس (وذلك لتجنب أى مواد غريبة في القطن). وفي هاتين الحالتين ترسبت الجراثيم على المرشحات. مما يؤكد بقوة وجود كائنات غير مرئية في الهواء.

ثــم قــام باستير بعد ذلك باختبار عينات من الهواء قام بتجميعها من قطاعــات مخــتلفة مــن فرنــسا (من الشوارع، من الحقول، من المرتفعات الجبلــية. ومن معمله نفسه). وقد تبين لـــه أنه كلما كان الهواء صافياً وكلما كانــت كمية الغبار الذي يحمله الهواء قليلة – كلما قلت الجراثيم الموجودة. وقد أظهر الدليل إذن أن هناك كائنات حية دقيقة في الهواء محمولة بالغبار.

ولكن هل يمكن أن يثبت ذلك أن الهواء هو المصدر الوحيد للحيوانات أو الكائنات التي تتكاثر في النقاعات والسوائل المعقمة؟ ولمتابعة هذا السؤال والوصول إلى نتيجة قام باستير بابتكار تجربة أكثر إحكاماً.

لقد قام بغلي السوائل حتى قضى على جميع آثار الحياة فيها. وفي كل حالـــة من هذا الحالات فإن الكائنات التي تتكاثر كانت تعيد الظهور تدريجيا وذلك عندما تترك هذه السوائل في الأوعية المفتوحة لعدة أيام.

وعـــندما كـــرر إجـــراء هذه العملية نفسها، ولكن بوضع السوائل في دوارق Flasks بحــيث تكــون أعـــناق هذه الدوارق للأسفل لمنع الغبار من الترســب علـــى سطح السوائل – فقد لوحظ عدم وجود تكاثر الجراثيم على السطح. ولم تظهر الكائنات إلا عندما كان يلتصق الغبار بالسوائل.

ومعنى ذلك أن باستير قد برهن على أن السوائل التي دخل إليها الغبار هـــي وحدها التي تحتوى على الكائنات التي تتكاثر. أما السوائل الأخرى من نفس النوع والتي تم إجراء التجارب عليها بنفس الطريقة -باستثناء تعرضها للغبار- لم تحتوى على هذه الكائنات . وعند ذلك فقد وضع باستير حدا لشبح التولد الذاتي.

وتعتبـــر تجـــارب باستير هذه مثالا طيبا للتدليل العملي تحت ظروف محكمة Controlled Conditions. ولقد نجح باستير في تخطيط تجاربه بعناية كافية لعزل وملاحظة كل عامل من العوامل التي يمكن أن تؤثر على النتائج، وكـــان هدفـــه كما قلنا هو تحديد السبب الحقيقي للظاهرة التي يقوم ببحثها.. وعند اكتشافه للأسباب، فإن الباحث يستطيع السيطرة على الأحداث أو التنبؤ الدقـــيق عـــنها وذلك في أحد مجالات العلوم الطبيعية، وإن كان التجريب في العلوم الاجتماعية والإعلامية أكثر صعوبة.

رابعا: بعض قواعد تصميم التجارب:

قام جون ستيوارت ميل John Stewart Mill الفيلسوف الانجليزي الكبير بدراســـة مشكلة الأسباب Causes التي يتناولها البحث التجريبي وتوصل "ميل" إلـــى خمس قواعد، يمكن أن تفيد كمرشد في تصميم التجارب والبحث عن تلك الأســـباب. ولكـــن مـــيل Mill حذر من أن هذه القواعد ليست جامدة، كما أنها لا تصلح في جميع الحالات.

وفيما يلي هذه الطرق والقواعد:

1. طريقة الاتفاق: Method of Agreement

وتـــشير هـــذه الطـــريقة إلى أنه إذا كانت الظروف المؤدية إلى حدث معـــين، تتحد جميعاً في عامل واحد مشترك، فإن هذا العامل يحتمل أن يكون هـــو الـــسبب. وبمعنى آخر يمكن أن نعبر عن هذه الفكرة بالطريقة السلبية،

فتقول بأنه لا يمكن أن يكون شئ معين هو سبب ظاهرة معينة، إذا كانت هذه الظاهــرة تحدث بدونه. وقد استخدم هذا المبدأ (طريقة الاتفاق) بنجاح في دراسات عديدة.

ويمكــن أن نــناقش فيما يلي بعض تطبيقات هذا المبدأ . فمنذ سنوات عديــدة هاجم مرض مجهول منطقة معينة في أمريكا، وكانت ضحاياه الأولى مــن النــساء، وقد قام الدارسون بالبحث عن سبب هذا المرض بتطبيق مبدأ "مــيل" الأول وهو "طريقة الاتفاق" بأن بحثوا عن الشئ المشترك الذي تتحد فــيه جميع هؤلاء النساء الضحايا. لقد كان هذا الشئ المشترك هو شراؤهن جمــيعا لنوع معين من "الفرو الرخيص" وهنا ارتاب الباحثون في أن يكون هــذا " الفرو الرخيص" هو السبب.. وبفحصه فحصاً دقيقاً تبين أن هذا الفرو حامــل للمــرض Disease Carrier. ومن الواضح أن وجود جراثيم المرض علــى هذا الفرو هو السبب وليس الفرو نفسه، ولكن تطبيق طريقة ميل عن الاتفاق هى التي أرشدت الباحثين لهذا المفتاح الحيوي في حل المشكلة.

ولــسوء الحــظ، فإن العوامل المختلفة في أى مجموعة من الظروف، ليــست دائما واضحة وضوحاً قاطعاً كما هو الحال في المثال السابق. فربما يكــون مــوت عدد معين من الناس (يشكون جميعاً من مرض في معدتهم) بسبب المياه التي يشربونها من بئر واحدة. ولكن هذه المياه يمكن بعد الفحص أن تكــون نقــية خالية من الجراثيم، ومصدر المرض هو شئ آخر مختلف تمامــاً. إن الــصعوبة التــي تواجه الباحث عند استخدامه لهذا المبدأ تقع في تمييــزه بين العوامل ذات الدلالة وذات العلاقة بالمشكلة، والعوامل التي ليس لهــا أى دلالــة أو علاقــة بالمشكلة. ومعنى ذلك أنه لابد لنا أن نتحرى عن السبب الحقيقي وأن نفصله عن السبب الظاهر.

2. طريقة الاختلاف أو الفرق: Method of Difference

لقد أشار ميل Mill في هذه الطريقة إلى أنه إذا كانت هناك مجموعتان أو أكثـــر مـــن الظروف المتشابهة في كل شئ ماعدا عامل واحد فقط، وإذا حــدثت نتـــيجة معينة عند وجود هذا العامل فقط – فإن هذا العامل موضوع البحث يحتمل أن يكون سبب هذه النتيجة.

ويمكـــن التعبير عن ذلك بطريقة سلبية. فنقول بأنه لا يمكن أن يكون شـــئ معـــين هـــو سبب ظاهرة معينة، إذا كانت هذه الظاهرة لا تحدث في وجـــوده. لنفتـــرض أن هناك مجموعة من الفئران البيضاء التي تعيش على غذاء معين لا يحتوى على فيتامين ج. وأن هناك مجموعة أخرى من الفئران البيـــضاء التي تعيش على نفس الغذاء ولكن مضافا إليه فيتامين ج بوفرة. ثم تبـــين أن المجمـــوعة الثانـــية من الفئران قد نمت بطريقة أسرع وتبدو أكثر صحة من المجموعة الأولى، فإن النتيجة يمكن أن تشير إلى أن الفيتامين هو المسئول عن ذلك.

ولكـــن هذه النتيجة لا يمكن أن تكون قاطعة وحاسمة إلا إذا تأكدت في حالات كثيرة جدا. وذلك لأنه في الحالة التي أمامنا ربما يكون عامل الوراثة في المجموعتين أو حالة معينة في الوسط المحيط (غير الفيتامين) هي التي أدت إلى هذه النتيجة.

إن قاعـــدة المتغيـــر الـــواحد التي وضعها ميل Mill كانت ذات أهمية لا بأس بها في التجارب الأولى. ففي عام 1662 استخدم روبت بويل Robert Boyle –وهو عالم ايرلندي في الفيزياء– هذه الطريقة للوصول إلى مبدأ بني علـــيه قانون الغازات وهو: عندما تكون درجة الحرارة ثابتة فإن حجم الغاز المثالـــي يتناسب تناسباً عكسيا مع الضغط. وبمعنى آخر عندما يزيد الضغط فإن الحجم يقل، وعندما يقل الضغط فإن الحجم يزيد.

$$\frac{ح1}{ح2} = \frac{ض2}{ض1}$$ **(في قانون بويل فإن الضغط هو المتغير الواحد)**

وبعـــد أقــل مـــن قـــرن من الزمان اكتشف العالم الفرنسي جاك شارل Charles Jacques A.C قاعـــدة مكملـــة للقاعـــدة السابقة وتعرف بقانون شارل Charles Law فقد لاحظ أنه عندما يكون الضغط ثابتا، فإن حجم الغاز يتناسب تناســـباً طردياً مع درجة الحرارة، أى أنه عند رفع درجة الحرارة فإن الحجم يزيد، وعند خفض درجة الحرارة فإن الحجم يقل.

$$\frac{\text{ح}_1}{\text{ح}_2} = \frac{\text{ر}_2}{\text{ر}_1}$$ **(في قانون شارل حيث تعتبر الحرارة (ر) هى المتغير الواحد)**

وعلـــى الـــرغم من أن فكرة المتغير الواحد قد ثبت نجاحها في بعض مجـــالات العلوم الطبيعية. إلا أنها لم تحرز نفس النجاح في العلوم السلوكية. فعلـــى الـــرغم مـــن بساطتها ومنطقيتها الظاهرة، إلا أنها لم تزودنا بطريقة مرضـــية لدراســـة المـــشاكل المعقـــدة. ذلك لأنها افترضت علاقة صناعية ومحكمـــة بـــين الأســـباب الفـــردية والنتائج. ومن النادر أن تكون الأحداث الانـــسانية نتيجة عوامل مفردة، وإنما تكون هذه الأحداث عادة نتيجة تفاعل متغيرات عديدة، ومحاولة تحديد جميع هذه المتغيرات، حتى يمكن عزل واحد منها وملاحظته، قد ثبت أنه أمر مستحيل.

ومـــع ذلـــك فقـــد زودتنا تجارب فيشر R.A Fisher والتي أجراها في المجالات الزراعية أول الأمر – بأساليب أكثر فعالية للقيام بالتجارب الواقعية فـــي مجـــال العلوم السلوكية. وكانت فكرته الخاصة هى تحقيق التساوي في الظـــروف (قبل إجراء التجربة) وذلك بالاختيار العشوائي للأفراد وبالتعيين العشوائي لأساليب المعالجة.

وأفكـــاره كـــذلك بالنـــسبة لتحليل التباين أو الاختلاف وتحليل التغير الحـــادث في نفس الوقت Variance and Covariance، هذه الأفكار هى التي جعلـــت مـــن الممكن دراسة التفاعلات المعقدة عن طريق تحليل المتغيرات المتعددة. والتي يمكن أن يلاحظ فيها تأثير أكثر من متغير مستقل واحد على أكثر من متغير آخر متعلق به أو متوقف عليه.

وعلى كل حال. فيمكننا أن نقول بأن الظروف المتشابهة بالنسبة لجميع العــوامل، فيما عدا عامل أو متغير واحد. هذه الظروف نادرة من غير شك بالنسبة للعلوم السلوكية. وهذا ما استدعى من القائمين بالبحوث محاولة كفالة الــضمانات المطلــوبة حتـــى تؤدي هذه الطريقة إلى نتائج موثوق بها وإلى تصميم التجارب بنجاح.

3. الطريقة المشتركة: Joint Method

لعــل معظــم النـــتائج الموثـــوق بها في البحوث التجريبية تتحقق في الدراسات التي نستخدم فيها كلاً من طريقة الاتفاق وطريقة الاختلاف.

ومـــن هـــنا أطلـــق مـــيل Mill على هذه القاعدة الثالثة اسم الطريقة المـــشتركة، وبناء على هذا المبدأ، فإذا أمكن للباحث أن يستوفي شروط كل من طريق الاتفاق وطريقة الاختلاف، فإن تحديد السبب يجب أن يكون نهائياً وقاطعاً Conclusive.

واستخدام الطريقة المشتركة يعني أننا يجب أن نطبق أولاً طريقة الاتفاق لاختـــبار الفرض (أى أن نحاول العثور على العامل الواحد المشترك في جميع الحالات التي تحدث فيها الظاهرة). ثم نطبق طريقة الاختلاف (أى أن نقرر أن الظاهـــرة لا تحـــدث أبداً عند عدم وجود هذا العامل المعين).. وإذا أدت كلا الطـــريقتين إلـــى نفس النتيجة فإن الباحث يكون واثقاً إلى حد كبير أنه قد وجد السبب. وينبغي أن نشير في هذا المقام إلى أن العالم باستير قد استخدم الطريقة المشتركة في تجاربه على الأصول البكتريولوجية (Infusoria).

4. طريقة العوامل المتبقية: Method of Residues

لقـــد تبـــين لميل Mill أن هناك بعض مشاكل البحث التي لا يمكن حلها بالطـــرق الثلاث السابقة، ومن ثم فقد قدم طريقة العوامل المتبقية للعثور على الأسباب عن طريق عملية الاستبعاد Process of Elimination . وهذه الطريقة تعـــتمد علـــى أنه: عندما تكون العوامل المحددة التي تسبب بعض أجزاء من

الظاهـــرة معروفة، فإن الأجزاء المتبقية من الظاهرة لابد وأن تكون ناتجة عن العامـــل، أو العـــوامل المتبقـــية. وهذه الطريقة إذن يمكن أن يطلق عليها اسم طريقة المرجع الأخير Last Resort.

5. طريقة التلازم في التغيرات: Method of Concomitant Variations

إذا لم يكن بالامكان استخدام الطرق التجريبية الأربع السابقة، فإن ميل Mill قـــدم للباحثـــين الطريقة الخامسة هذه، التي تدعو في الواقع إلى أنه إذا كـــان هناك شيئان متغيران أو يتبادلان معاً بصفة منتظمة، فإن هذه التغيرات التـــي تحدث في واحد منهما تنتج عن التغيرات التي تحدث في الآخر، أو أن الشيئين يتأثران في ذات الوقت بسبب واحد مشترك.

ولكي يوضح ميل Mill فكرته أو مبدأه هذا، فقد أشار إلى تأثير جاذبية القمـــر علـــى حركة المد والجزر، التي تحدث على الأرض. ونظراً لأننا لا نـــستطيع أن نتـــناول القمر تجريبياً. وذلك بالتخلص منه – من على مسرح التجـــربة – لنعـــرف ماذا سيحدث في حالة عدم وجوده، فإن طريقة الإتفاق وطريقة الفرق سوف لا تكونان ذاتي قيمة لنا في هذه الحالة. ولكن استخدامنا لطـــريقة التغيرات المتلازمة، ستؤدي بنا إلى مقارنة التغيرات في حركة المد والجـــزر مـــع التغيـــرات في وضع أو مكان القمر بالنسبة للأرض . ونحن نلاحظ أن كل التغيرات التي تحدث في مكان القمر يتبعها تغيرات مناظرة في مكـــان وحركة المد والجزر العالي والمنخفض في جميع أنحاء العالم. حيث تحـــدث دائمـــاً حركة المد العالي على جانب الأرض الأقرب إلى القمر، كما يحدث هذا المد العالي على جانب الأرض العكسي للجانب الأول تماماً.

وبناء على هذه الملاحظات فنحن نصل إلى النتيجة التالية:

أ- أن حركة المد والجزر تؤثر على حركة القمر أو،

ب- أن حركة القمر – أو تغير مكانه الذي يقوم فيه بعملية الجذب هو الذي يؤدي إلى رفع المد، أو الاحتمال الثالث التالي:

ج- أن التغيـرات في مكان القمر وحركة المد والجزر تحدث بسبب عامل مشارك ينسحب على الاثنين.

ومـن الواضح أن مناقشة هذه الاحتمالات ستؤدي بنا إلى الثقة في أن التغيـرات التي تحدث في مكان القمر تؤدي فعلا إلى تغيرات في حركة المد والجزر، وبالتالي فإن تأثير القمر هو الذي يتسبب في ذلك بالدرجة الأولى.

خامسا: التجربة في المختبر والتجارب مع الناس:

أ- التجربة في المعمل:

لقـد اكتـشف العلماء منذ زمن بعيد أن ا لمعمل يزودهم بالجو المثالي للـبحث التجريبي، ولا يعود ذلك إلى أن المعمل مكان معزول عن التأثيرات الخارجية فحسب، ولكن ذلك يعود أيضا إلى أن المعمل مكان مصمم ومجهز لهذا النوع من البحوث. ومع ذلك فينبغي أن نؤكد بأن وجود الأجهزة المعقدة الباهظة التكاليف لا يؤدي بالضرورة إلى بحث ناجح، ذلك لأن نجاح البحث يعـتمد إلى حد كبير على الباحث العلمي، ونحن نذكر أن طلاب البحوث في إحـدى كليات الفيزياء بالولايات المتحدة، قد استطاعوا باستخدام أجهزة غير معقـدة أن يطلقـوا الطاقـة الذريـة من عقالها، فالعقل الانساني هو العامل الأساسي لجميع أنواع البحوث التجريبية المرموقة.

ولا يعنـي ذلـك أن أحـداً ينكر أهمية تجهيز المعامل بأجهزة عالية الكفـاءة، قـد لا تـتم التجارب بدونها، وعلى سبيل المثال فقد حاول بعض الباحثين اكتشاف طرق أفضل لتعليم الطلاب القراءة. فصمموا كاميرا للصور المتحـركة، يمكـنها أن تلـتقط صور لشعاع من الضوء، مركز على عين المفحـوص أثـناء قيامه بالقراءة، وقد سجلت حركة عينيه نفسها على فيلم، حيث يمكن دراسة هذه الحركات ومقارنة الحركات المميزة للقراء الممتازين مع حركات عيون القراء الآخرين. ومن الواضح أن إجراء مثل هذه التجارب يـصبح فـي غاية الصعوبة بدون هذه الأدوات. كما أن هناك علماء باحثين،

قامـــوا بـــتجارب غاية في الدقة والكفاءة، مستعينين بأجهزة وأساليب بسيطة التركيب والتصميم.

ب- التجارب مع الناس:

إن إخــضاع الـــناس للـــتجارب المعملية أمر عسير. ولعله أمر غير مرغوب فيه أيضا، ومن ثم كان من اللازم تدبير أساليب غير معملية لخدمة أغراض التجريب مع الناس.

ومـــن أمثلة هذه التجارب التي أجريت على جماهير غفيرة من الناس، تلك التجارب التي أجريت لغرض التعرف على أثر مركبات الفلورين – في مـــنع تسوس الأسنان – عند إضافتها لمياه الشرب. وقد أجريت التجربة على مجتمعين متساويين في الحجم تقريبا. وتم تزويدهما بنفس نوع مياه الشرب، ثـــم أضـــيف الفلورين إلى مياه الشرب الخاصة بأحد المجتمعين، ولم يضف الفلورين إلى مياه الشرب الخاصة بالمجتمع الآخر.

وقـــد قـــام الباحـــثون في هذه التجربة بحفظ سجلات دقيقة لمدة ست ســـنوات لبـــيان كمية التسوس في أسنان أطفال المدارس في كلا المجتمعين. وإذا كـــان هـــناك نقص ملحوظ في كمية تسوس الأسنان بين أطفال المجتمع الذي استخدم الفلورين في مياه الشرب، ولم يكن هناك نقص في التسوس في المجتمع الآخر (بشرط عدم وجود عوامل أخرى تؤثر على التجربة). فيمكن أن نستنتج بأن إضافة الفلورين قد ساعد على حماية أسنان الأطفال.

وقـــد حـــاول العلمـــاء إجـــراء التجارب على الحيوانات نظراً لصعوبة إجـــرائها علـــى الناس. ومن أمثلة هذه المحاولات ما قام به ادوارد ثورندايك Thorndike من تجارب لاكتشاف كيفية "تعلم" الناس ووضع ما يمكن أن يسمى "قوانـــين التعلم Laws of Learning" بنا على ملاحظاته التي جمعها في تجاربه المعملـــية على الفئران. كما قام بافلوف Pavolov في الاتحاد السوفيتي بدراسة فـــسيولوجية الهـــضم في الكلاب. وطبق النتائج التي انتهى إليها على الإنسان.

ولعـــنا نقتـــرب الآن من مرحلة تقنين وضبط طرق التجريب على الجماعات المخـــتلفة. والتـــي تمدنا بطريقة للعمل تجريبيا على الناس خارج المعمل، ذلك لأن نـــتائج التجارب التي تتناول حيوانات المختبر، يمكن ألا تكون صحيحة إذا طـــبقت علـــى الـــناس. أما طرق الجماعات فهي تزودنا بوسائل دراسة الناس بطريقة مباشرة. وهناك أشكال ثلاثة لطرق التجريب على الجماعات وهي:-

1- طريقة الجماعة الواحدة.

2- طريقة الجماعة الموازية أو الجماعة المتكافئة.

3- طريقة الجماعة المناوبة.

1- طريقة الجماعة الواحدة : The One – Group Method

وفي هذه التجربة التي تخص جماعة واحدة. فإن الباحث يضيف عاملاً واحداً معروفاً – أو يطرح هذا العامل – من الجماعة – (وأحياناً من الفرد)، ثم يقوم بقياس التغيير الناتج إذا كان هناك تغيير.

وعلى سبيل المثال يمكن أن تمتحن مجموعة من الطلاب امتحاناً مقنناً فـــي القـــراءة. وبعـــد وضـــع الدرجات الخاصة بهذا الامتحان، تعطي هذه المجمـــوعات دروساً خاصة في كيفية القراءة الصحيحة للمواد المختلفة وذلك خلال فترة خمسة أسابيع مثلاً. ثم يطلب إلى هؤلاء الطلاب أنفسهم تقديم نفس الامتحان السابق مرة ثانية (أو امتحان مشابه). ثم تقارن علامات الطلاب في هـــذا الامتحان الثاني مع علاماتهم في الامتحان الأول. وإذا كان هناك تحسن فـــي القـــدرة القرائية لجميع أو معظم الطلاب. فيمكن أن نستنتج أن دروس تعلـــيم القـــراءة قـــد كانـــت ذات قيمة وأنها على وجه التحديد تشكل العامل الأساســـي المسئول عن التغيير في المقدرة القرائية (وذلك على افتراض أنه ليس هناك أى تغيير هام قد حدث في المادة القرائية أو في طرق التعليم ذاتها من مصدر آخر خلال نفس الفترة).

وعلـــى الـــرغم مـــن أهمية طريقة الجماعة الواحدة في إجراء البحث التجريبي، إلا أن هذه الطريقة معرضة لأخطاء خطيرة، وإذا رجعنا مثلاً إلى التجـــربة الـــسابق الإشارة إليها عن تحسين القراءة، فيجب أن نحرص غاية الحـــرص علـــى ألا تكون هناك عوامل أخرى قد أثرت على نتيجة التجربة (مـــثل حماسة المعلم أو رغبته في النتائج الطيبة أو الساعات الاضافية التي يـــتلقاها الطلاب في التجربة أو المجهود غير العادي الذي قد يبذله الطلاب. الخ). ويجب على الباحث على كل حال ألا يخدع نفسه بأن طريقة التعليم هى وحدهاالسبب في التغيير.

إن الطـــريقة التجـــريبية الخاصة بالجماعة الواحدة يمكن أن تؤدي إلى نـــتائج مرضية للغاية، إذ أمكن التحكم في جميع العوامل التي يمكن أن تؤثر على التجربة. ولما كان ذلك أمرا قد يكون عسيرا في بعض الأحيان، لذا فقد فـــضل الباحثون كلا من طريقة الجماعة الموازية وطريقة الجماعة المناوبة. وذلك لضمان أكبر قدر من دقة الملاحظة.

2- طريقة الجماعة الموازية أو المتكافئة Parallel or Equivalent Group:

وتـــتم فـــي هـــذه الطـــريقة دراسة جماعتين في نفس الوقت. وهاتان الجماعـــتان لابـــد وأن تكـــونا متشابهتين مع بعضهما على قدر الامكان أى جماعتـــين متوازيتين. ويجب أن تكون الجماعتان متشابهتين بالنسبة للصفات المختلفة مثل مستوى الأعمار وتوزيع الجنسين فيهما ومستوى الذكاء والخلفية العائلـــية والخبـــرات الـــسابقة بالنـــسبة للمواد أو الموضوعات التي تتناولها التجربة.. الخ.

ثم يقوم الباحث بعد ذلك باستخدام العامل التجريبي على جماعة واحدة فقط من الجماعتين (وهذه تسمى الجماعة التجريبية (Experimental Group) وهـــذا العامل التجريبي لا يستخدم بالنسبة للجماعة الأخرى) وهى الجماعة

الـضابطة (Control Group) ثـم تقارن المجموعتان للتعرف على أى تغيير واضح يكون قد حدث في الجماعة التجريبية.

والمـشكلة الأساسية بالنسبة لهذه الطريقة هي أنه ليس هناك جماعتان من الناس متشابهتان أو متوازيتان ومتكافئتان تماماً. والفروق البسيطة والتي تـبدو لا أهمية لها بين الأفراد في الجماعتين. يمكن أ، يكون لها أثر تراكمي Cumulative Effect كمـا يمكـن أن تؤدي إلى فروق هامة بين الجماعتين. وعلـى ذلك فلابد للباحث بعد محاولته تكوين مجموعتين متشابهتين على قدر المـستطاع أن يقـارب الجماعتـين فـي مجموعهما (أى بحساب المتوسط average فـي كـل مـنهما) . وعلى كل حال فإن تأمين جماعتين متكافئتين ومتـشابهتين لا يعتبر عملية معقدة فحسب، ولكن ذلك يعتبر صعوبة رئيسية في هذه الطريقة كذلك. إذ لابد من أن نتناول التجربة عدداً كبيراً من الأفراد حتـى تكون البيانات والنتائج موثوقا بها. وإذا كانت التجربة العملية تستلزم بالـضرورة حوالـي ستة أفراد مثلا للسيطرة على مختلف جوانب التجربة، فـإن النتائج التي يحصل عليها البحث بهذه الجماعات الصغيرة لا تصلح أن تكـون موضـع ثقـة ينطلق منها التعميم على المجتمع كلهُ إلا إذا تكررت التجربة نفسها مرات عديدة مع جماعات مختلفة. فما قد يثبت تجريبيا بالنسبة لجماعة صغيرة من الناس قد لا ينسحب على السكان جميعا.

3- طريقة الجماعة المناوبة: The Rotation – Group Method

وتحـاول هذه الطريقة تجنب كثير من المخاطر التي تتعرض لها كل مـن: طـريقة الجماعـة الواحدة وإجراءات الجماعة الموازية أو المتكافئة. ويمكن استخدام جماعتين أو أكثر في تجربة الجماعة المناوبة، على أن تكون الجماعـات متكافـئة على قدر المستطاع. ثم يطبق العالم التجريبي على كل جماعـة واحدة بعد الأخرى. ونتيجة لذلك فإن كل واحدة من هذه الجماعات الداخلـة في البحث، ستصبح مناوبة كجماعة تجريبية وكجماعة ضابطة أثناء المراحل المختلفة للدراسة.

ويستطيع الباحث أن يقوم بتجاربه مع جماعات عديدة وليس مع جماعتين فقط باستخدامه لطريقة التناوب المنظم في هذه الطريقة. كما أن هذه الجماعات لا تتطلب بالضرورة أن تكون متوازية متكافئة كما هو الحال في طريقة الجماعة المتوازية. فضلا عن إمكانية استخدام طريقة الجماعة المناوبة على جماعة واحدة من الأفراد. وذلك بإدخال العامل التجريبي لعدد مختلف من الأفراد داخل الجماعة الكلية في أوقات مختلفة. وهناك طرق عديدة لتحقيق ذلك. حيث يقوم بها الباحث بنجاح إذا ما حافظ على الظروف والشروط التي ينبغي توافرها في التجربة الناجحة.

سادسا: الصعوبات التي يجب أن يتجنبها الباحث:

يكتنف المنهج التجريبي صعوبات عديدة، شأنها في ذلك شأن طرق البحث الأخرى وذلك بالنسبة لاختبار الفرض عن طريق التجريب ولعل أكثر هذه الأخطاء شيوعاً، هو ميل الباحث الطبيعي للاعتماد على النتائج التي يحصل عليها في تجربة واحدة. وعلى كل حال فإذا كانت التجربة قد أجريت بطريقة سليمة فإن النتائج التي يحصل عليها الباحث ستكون هى نفسها النتائج التي يتم التوصل إليها عند إعادة التجربة، هذا ويوصي البعض بتكرار التجربة ولو مرة واحدة على الأقل، إذا أردنا أن نطمئن إلى النتائج التي توصلنا إليها، وإن كان من المفضل تكرار التجربة مرات عديدة.

وهناك مصدر آخر للخطأ وهو عدم توفر الأدوات والأجهزة الدقيقة، ذلك لأن استخدام الأجهزة غير الدقيقة في التجربة كثيراً ما يؤدي إلى بيانات ونتائج غير دقيقة، وبالتالي فشل التجربة والدراسة نهائيا.

هذا ويكتشف الباحث بعد وقت قصير من ممارسته للبحث، أهمية استخدام المواد النقية في التجارب الكيميائية مثلاً وضرورة القياسات والأوزان الدقيقة أيضاً على أن يأخذ في اعتباره عند تقويم النتائج في النهاية أية تحفظات بسبب الأخطاء المحتملة.

أمـــا بالنسبة للتجارب التي تتناول الناس، فهناك صعوبة من غير شك فـــي تحديـــد جميع المتغيرات أو العوامل التي تؤثر على نتائج التجربة. إن عـــزل جمـــيع العوامل التي يمكن أن يكون لها صلة بالتغيرات التي تحدث خلال التجربة أو التحكم فيها، يعتبر أمراً مستحيلا.

فإذا كانت هناك تجربة تتصل بأحد الأفراد، وتتطلب هذه التجربة شهراً مـــن الزمان. فإن هذا الشخص نفسه يكون قد تغير في بعض الجوانب خلال هذه المدة، وبالتالي لم يعد هذا الشخص هو نفسه تماما عندما بدأت التجربة. وقد تكون التغيرات طفيفة ولكنها موجودة على كل حال.

هـــذا ومن العسير استبقاء الأفراد عملياً تحت المراقبة والإشراف خلال المدة التي تتطلبها التجربة. فإذا استلزمت التجربة مثلاً استبقاء أحد الأشخاص متـــيقظاً بـــصفة مـــستمرة لمـــدة ثمان وأربعين ساعة للتعرف على التغيرات الفـــسيولوجية التي قد تحدث له. فهناك احتمال غفوة هذا الشخص ولو لفترات قصيرة من شأنها أن تفشل التجربة ذاتها وتجعل نتائجها مشكوكاً فيها.

وعلـــى كـــل حال، فيجب على الباحث أن يضع نصب عينيه ضرورة الـــتحكم في المتغيرات التي لها علاقة وثيقة بالتجربة التي يقوم بها. على أن يترك دون ضبط أو تحكم أو إشراف المتغيرات الأخرى (وهناك العديد منها) التي يبدو أنها ذات تأثير ضعيف على النتائج.

وهـــناك دائمـــا خطـــأ التحيـــز Bias ســـواء في القائم بالبحث أو في الأشـــخاص الـــذين هـــم موضع التجربة ذاتها.. ذلك لأن هؤلاء الأشخاص ســـينتبهون إلـــى دورهـــم فـــي التجربة وبالتالي سيحاولون بذل جهد لنجاح التجـــربة. أى أن التجربة وهى صناعية بالضرورة – سوف لا تكون قريبة من الظروف الطبيعية ولا تنسحب عليها. وعلى سبيل المثال، فمن المعروف أنـــه عند محاولة اختبار دواء جديد، فإن الباحث يعطي لبعض الأفراد الذين يشتركون في التجربة أقراصاً من السكر أو حقن وهمية. ويعتقد بعدها هؤلاء

الأفـــراد أنهـــم قـــد تحسنوا كثيراً، وقد يكون ذلك حقيقياً أيضاً، ذلك لأن قوة الإيحاء لدى الكثير من الناس عظيمة كذلك.

هـــذا ويعانـــي التجـــريب مع الأشخاص أيضاً من آثار الممارسة غير الواعية Unconscious Practice ومن العسير اكتشاف هذه المخاطر إذ كثيراً ما يتعلم المفحوص مهارات خاصة (وهذه ما يطلق عليها في البحث مصطلح أثر الممارسة) نتيجة تعرضه للعامل التجريبي مدة طويلة، وهذا في حد ذاته قد يؤدي بالمفحوص إلى إحراز علامات عالية بعد الممارسة للعامل التجريبي هذا. أي أن العامل التجريبي ذاته قد يكون له أثر في تغيير سلوك المفحوص بناء على الممارسة ويجب على الباحث ملاحظة هذه الأخطاء واتخاذ أسباب تلاشيها أو حسابها في نتائجه.

وأخيـــراً فهناك مخاطر استخدام عدد قليل من المفحوصين في التجربة التـــي تتـــناول جماعة معينة، وعلى كل حال فيجب مراعاة المبادئ العلمية الخاصة باختيار العينة الاختيار الصحيح.

وهـــناك واحـــدة من الفكاهات التي تتداول بالنسبة لاختبار عينة قليلة العـــدد. أن أحـــد طلاب البحث المبتدئين أراد أن يختبر أثر طعام معين على الفئـــران البيضاء، وعند نهاية دراسته لخص اكتشافاته ونتائجه كما يلي: لقد زاد وزن ثلث الفئران المفحوصة التي تناولت هذا الطعام، ومات ثلث هؤلاء الفئران أما الفأر الثالث فقد فر واختفى ولم يستطع الباحث أن يعثر عليه.

سابعا: ملخص:

تعتبـــر الطـــريقة التجريبية في البحث، واحدة من الطرق التي يتم فيها الـــتحكم في الظروف والعوامل اللازمة لاختبار الفرض. ويتطلب ذلك عادة معمـــلاً أو أجهزة خاصة، وإن كان من الممكن إجراء تجارب دون الاستعانة بهذه الوسائل الصناعية.

لقد قام جون ستيوارت ميل بتحليل المبادئ الفلسفية الهامة التي يتطلبها الأسلوب التجريبي وحدد هذه المبادئ في خمسة هي:

1- طريقة الاتفاق.

2- طريقة الاختلاف.

3- الطريقة المشتركة.

4- طريقة العوامل المتبقية.

5- طريقة التغيرات المتلازمة.

وهـذه القـواعد العامـة التي وضعها ميل Mill إنما تتناول الأساليب التجـريبية فـي تجـريدها. وتستخدم هذه القواعد الآن كمرشدة للباحث في تخطيطه للتجارب.

ولمـا كـان مـن غير الممكن دائما دراسة الناس داخل المختبر. فقد وجـدت طـرق أخرى لملاحظة الناس تجريبيا في جماعات خارج المختبر. وهذه هى طريقة الجماعة الواحدة وطريقة الجماعة الموازية وطريقة الجماعة المـناوبة. وعلـى الرغم من أن التجارب يمكن أن تتم على أفراد معدودين، إلا أن الحاجة إلى عينة ممثلة للمجتمع ومناسبة الحجم، تعتبر أمراً ضرورياً للوصول إلى نتائج صحيحة.

وإلـى جانب المخاطر العادية "بالخطأ في البحث" هناك مخاطر محددة تـتعلق بالدراسات التجريبية . فكل تجربة لابد من تكرارها مرات عديدة قبل قبول النتائج التي تشير إليها، كما يجب أن تكون الأجهزة والمواد المستخدمة في التجربة في حالة طيبة ودقيقة. كما يجب العناية الكاملة بالبحث عن جميع العوامل التي قد تؤثر على نتائج الدراسة وذلك بإخضاع هذه العوامل للتحكم والإشراف والرقابة المستمرة. وهناك مخاطر خطأ التحيز من جانب كل من الباحث والمفحوص نفسه، وذلك عندما يتكون لدى المفحوص ما يمسى "بأثر الممارسة".

وعلـــى ذلــك فيمكنـــنا أن نقول بأنه إذا كانت التجربة هى أكثر طرق البحث قرباً إلى العلم، فإنها لا تخلو من المخاطر.

وفي النهاية ينبغي لنا أن نؤكد بأن ذكاء الباحث وإخلاصه في عمله مع اتجاهاتـــه الموضـــوعية وحرصه ودقته وصبره، هذه الصفات النوعية لدى الـــباحث –ولـيـــست الآلات والتجهيـــزات المعقدة– هى التي تؤدي إلى نتائج ناجحة في دراسات تجريبية عديدة.

الفصل التاسع

الطريقة الإحصائية والتحليل الاحصائي الوصفي والاستدلالي

أولا: الطريقة الإحصائية وخطواتها الأساسية:

يمكـــن أن يعـــرف الإحـــصاء بأنه ذلك الفرع من الدراسات الذي يهتم بالأســـاليب الرياضـــية أو العمليات اللازمة لتجميع ووصف وتنظيم وتجهيز وتحلـــيل وتفسير البيانات الرقمية. ولما كانت البحوث بطبيعتها كثيرا ما تنتج مثل هذه البيانات الرقمية الكمية، فإن الإحصاء يعتبر أداة للقياس والبحث.

هذا ويهتم إلبحث في المجالات الاجتماعية والإنسانية والسلوكية بصفة عامة بنوعين من التطبيقات الإحصائية للبيانات وهي:

أ- التحليل الاحصائي الوصفي.

ب- التحليل الاحصائي الاستدلالي.

ويهـــتم التحليل الاحصائي الوصفي، بالوصف الرقمي لمجتمع معين، وفي هذه الحالة فليست هناك نتائج يمكن أن تنسحب على جماعة أخرى عن تلك التي تركز عليها الوصف فقط، أما بالنسبة للتحليل الاحصائي الاستدلالي فهو يتضمن عملية المعاينة Sampling والتي سبقت الإشارة إليها، أى اختيار جماعة صغيرة تمثل المجتمع الكبير Population or Universe المختار منه، على أن تكون النتائج النهائية تقريبية وداخل حدود "خطأ" محسوب إحصائيا.

وعـــندما بـــدأ الإحصاء يقوم بوظيفة أكثر من مجرد وصف البيانات والمعلومات، أى عندما بدأ الإحصاء في البحث عن الحقائق بغرض التعرف علـــى دلالتها الواسعة العريضة واستخدام ما انتهت إليه العمليات الإحصائية بالنـــسبة لحالـــة معينة لتعميمها على حالات أخرى من نفس النوع، ووضع

التنبؤات السليمة – باتت هذه التعميمات العلمية Scientific Generalizations الناتجة تعتبر ذات أهمية وقيمة بالغة في التطور الانساني.

ويمكــن أن نقول بأن استخدام الإحصاء في الوقت الحاضر للحصول على التعميمات العلمية من البيانات المتوفرة [وهذه الطريقة منطقية استقرائية Inductive Method Of Logic] تتــضمن التعلــيل والتبرير، من الخاص إلى العــام] يعتبــر أهم أغراض الإحصاء. فالحاجة الحاضرة للإحصاء تنبع من أغــراض الــبحث الأساسية وهى استخلاص القوانين والمبادئ العلمية، هذا والتطبــيق السليم للطريقة الإحصائية بجانبيهما الوصفي والاستدلالي يتضمن الإجابة عن الأسئلة التالية:

1- ماهــي الحقائــق التي يجب تجميعها حتى تمدنا بالمعلومات اللازمة للإجابة على الأسئلة.

2- كــيف يمكن تجميع هذه البيانات وتنظيمها وتحليلها حتى تلقى ضوءاً على المشكلة؟

3- مــا هــو الفــرض (أو الفــروض) التي تشملها الطريقة الإحصائية المستخدمة؟

4- ما هى النتائج التي يمكن أن نستخلصها منطقياً من تحليل البيانات؟

ثانيا: أنواع المقاييس الإحصائية

هناك أنواع عديدة من المقاييس التي يمكن ترتيبها تصاعدياً حسب قوة المقياس وهى كما يلي:-

1- المقياس الاسمي: Nominal Scale

وهذا المقياس يحدد فقط إذا كان هناك متغيران يمكن تصنيفهما بالاسم فقــط دون اعطائهمــا أى قــيمة رقمــية، ومن أمثلة هذه المقاييس تصنيف الأشــخاص حــسب الجــنس والدين والجنسية أو تصنيف الجرائم وأنواعها،

ويعتبـــر المقياس الاسمي أبسط مقاييس البيانات نظرا لعدد العمليات المحددة التي يمكن تطبيقها بواسطته.

2- المقياس الترتيبي: Ordinal Scale

وفـــي هـــذه الحالـــة فإن الفئات التي يتعامل معها الباحث تشمل نظاماً داخلـــياً وبالتالي يستطيع الباحث أن يحدد الأكبر والأصغر فضلاً عن تحديد الأشـــياء المتساوية، ومن أمثلة هذه المقاييس درجات الطلاب (امتياز، جيد، مقبول.. الخ) وهذا المقياس أفضل من المقياس السابق لأننا نستطيع بواسطته الترتيب حسب الحالة الاجتماعية أو التعليمية... الخ.

3- المقياس الفتري: Interval Scale

وهـــذا المقياس أقوى من المقياسين السابقين وهو يعتمد على استخدام قـــيمة رقمية ذات وحدات متساوية، كما أن هذا المقياس يوضح مقدار الزيادة أو الفـــرق بين الحالات المختلفة، والمهم في هذا المقياس أن الصفر لا يعني حالـــة انعدام الخاصية محل القياس، ومن أمثلة هذا المقياس درجات الحرارة المئوية فالصفر هنا لا يمثل عدم وجود الحرارة.

4- المقياس النسبي Ratio Scale

وهـــو أقوى المقاييس ومعظم المقاييس في العلوم الطبيعية هى مقاييس نـــسبية وذلك لقياس الطول أو الزمن. والمقياس النسبي يتميز بأن الصفر فيه يعبـــر عن حالة انعدام الخاصية محل القياس ومثال على ذلك قياس الأوزان بالكيلو.

ثالثا: تنظم البيانات والتوزيع التكراري

يمكن فهم التوزيع التكراري عن طريق المثال التالي:

لنفــرض أن الــباحث قــام بتجميع البيانات التالية والتي تمثل درجات اختبار **مادة مناهج البحث لعدد 50 طالب:**

57	42	51	55	70
53	63	47	60	45
55	82	39	65	53
42	65	61	58	64
55	45	53	52	50
39	63	59	36	25
64	54	49	45	65
78	52	41	42	75
26	48	25	35	30
88	46	55	40	20

هذه الأرقام لا تدلنا بطريقة سريعة على الناجحين بدرجة A أو الطلاب الراســبين كمــا لا تــساعد على الاجابة على استفسار معين خاص بضعف مستوى الصف أن امتيازه وبالتالي فلابد من عمل جدول تكراري.

خطوات إعداد الجدول التكراري هى:

1- تحديد الفئات وعددها.

2- تحديد طول الفئة.

3- تحديد عدد التكرارات لكل فئة.

1. **تحديد الفئات وعددها:**

أمــا بالنسبة لتحديد الفئات وعددها فيكون ذلك بناء على عدة اعتبارات أهمها:

أ- أن تكــون قــيم المشاهدات التي تخصص لفئة معينة قريبة على قدر الامكــان من مركز الفئة وذلك للتقليل من الأخطاء الناتجة من عملية التبويب.

ب- أن يكون عدد الفئات قليل بقدر الامكان للوصول إلى عملية تلخيص البــيانات والقيام بالتحليل الاحصائي المناسب وعدد هذه الفئات تعتمد علــى عــدد المشاهدات، وهناك جدول محسوب رياضيا يساعد على تقدير عدد الفئات كما يلي:-

عدد المشاهدات	30	50	100	200	500	100	2000	5000
عدد الفئات	6	7	8	9	10	11	12	13

وواضــح أن عدد المشاهدات هى خمسين مشاهدة [وهى عدد الدرجات التي حصل عليها الــ 50 طالب الموجودة بالجدول السابق] وبالتالي فإن عدد الفئات هو 7.

ونحن نلاحظ أن زيادة عدد المشاهدات بدرجة كبيرة لا تؤدي إلا زيادة قليلة في عدد الفئات ونادرا ما يستخدم عدد فئات أكثر من 20 فئة.

2. تحديد طول الفئة:

يــتم تحديــد طــول الفئة بقسمة المدى العام لقيم المشاهدات على عدد الفــئات، والمدى العام هذا هو الفرق بين أكبر قيمة وأصغر قيمة للمشاهدات أى أن طول الفئة في المثال السابق.

طول الفئة = $\frac{20-88}{7} = \frac{68}{7}$ = **9.7 = 10 تقريبا**

3. تحديد عدد التكرارات لكل فئة:

نــبدأ بقــراءة المشاهدات بالتسلسل ثم نضع علامة أمام الفئة المناظرة وذلك كما يلي:-

أعداد الجدول التكراري

الفئات	العلامات	التكرار
30-20	IIII	4
40-30	I 卌	6
50-40	II 卌 卌	12
60-50	IIII 卌 卌	14
70-60	IIII 卌	9
80-70	III	3
90-80	II	2

وفي هذا الجدول تقسم الظاهرة وهى درجات الطلاب إلى فئات، والفئة الأولى وهى 20-30 خصصت للدرجات من 20-30 درجة وعدد تكرار هذه الفئة هو 4 وبالمثل فعدد الطلاب في الفئة الثانية هو (6) لأن التكرار المناظر هو للفئة هو 6.

عرض البيانات

يمكـــن أن نعرض التوزيع التكرارى بطريقة أفضل لتدلنا بالرسم على طبيعة التوزيع وذلك بالرسومات التالية:

1- المدرج التكرارى.

2- المضلع التكراري.

3- المنحنى التكراري.

4- المضلع التكراري المتجمع (الصاعد - النازل).

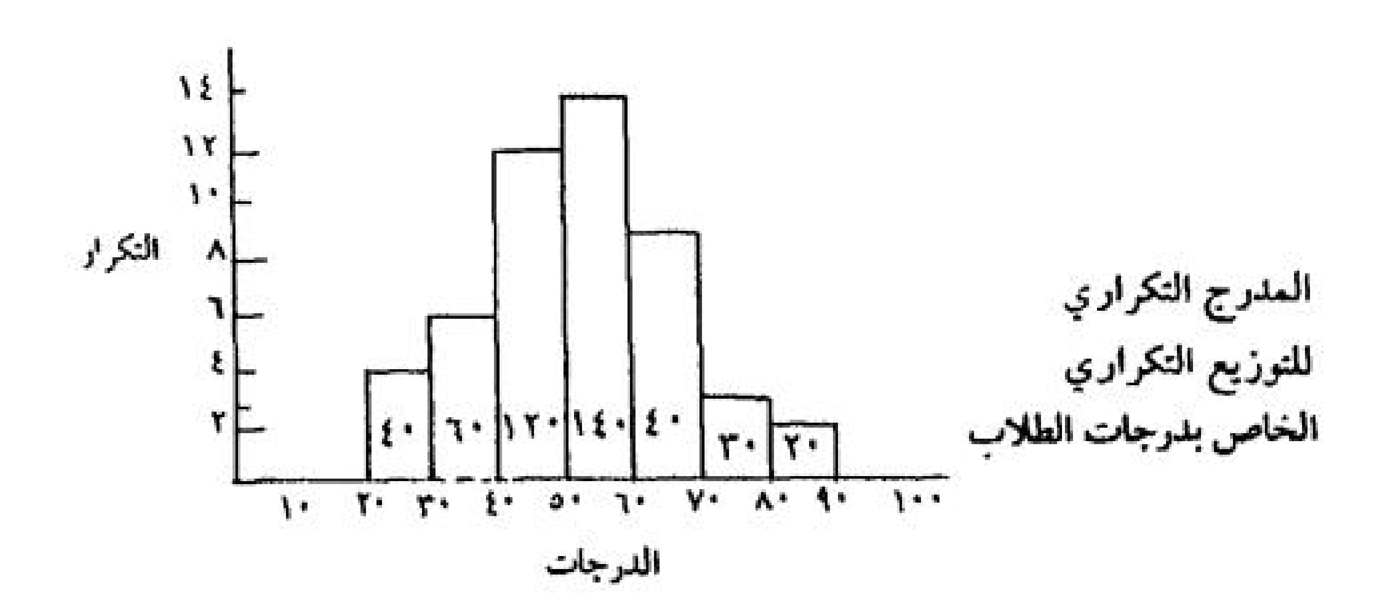
5- المنحنى التكرار المتجمع (الصاعد - النازل)

1. **المـــدرج التكـــراري**: وهو عبارة عن عدد من المستطيلات المتجاورة، ويخصص كل واحد منها لفئة واحدة وطول المستطيل يتناسب مع تكرار الفـــئات، ويمكـــن ملاحظـــة المدرج التكراري للتوزيع التكراري السابق

الخاص بدرجات الطلاب في الأشكال الواردة في نهاية عرض البيانات، ويلاحــظ أن المحــور الأفقي يخصص للفئات بينما التكرارات تكون في المحــور الرأســي، ونحــن نلاحظ أن الفئات كانت بالجدول التكرارى منــتظمة، وفــي حالة عدم انتظامها فيجب استخدام تكرارات معدلة حتى يمكن عمل هذا الرسم.

2. **المــضلع التكراري:** وهو وسيلة أخرى لعرض التوزيع التكراري، ولكن المــضلع التكراري يمتاز عن المدرج التكراري في أن الأول يمكننا من المقارنة بين أكثر من توزيع تكراري، وذلك في رسمها في شكل واحد، ويــتم رسمه عن طريق وضع نقطة فوق مركز كل فئة، وبارتفاع يناظر التكرار المناظر للفئة، ويراعي عند رسم المضلع التكرار توصيل النقاط المذكورة بخطوط مستقيمة.

3. **المنحنــى التكراري:** فكرته مشابهة للمضلع التكراري ويتم رسمه بنفس الطــريقة غير أن النقاط يتم توصيلها باليد بحيث نحصل منحنى لا توجد به انكسارات كما كان المضلع التكراري وبالتالي ليس من الضروري أن يمر المنحني من جميع النقاط.

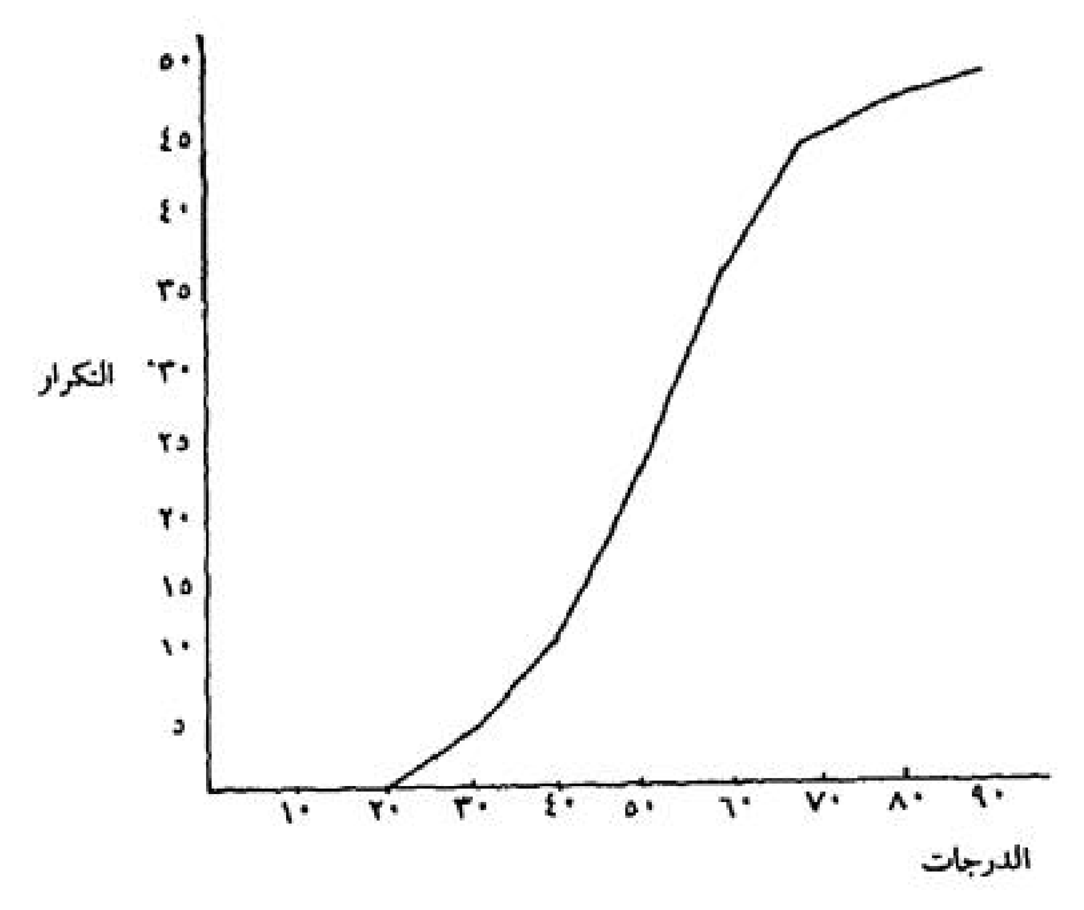




4. المضلع التكراري المجتمع:

وهـــو يقوم بتمثيل التكرار المتجمع الصاعد (النازل) بيانيا، وفيما يلي جـــدول تجمـــيع صـــاعد ثم تمثيله بمضلع تكراري متجمع صاعد للبيانات الواردة.

	التكرار الصاعد
أقل من 20	صفر
أقل من 30	4
أقل من 40	10
أقل من 50	22
أقل من 60	36
أقل من 60	36
أقل من 70	45
أقل من 80	48
أقل من 90	50



5. المنحنى التكراري المتجمع:

وطـــريقة رسمه هى نفسها الطريقة السابقة للمضلع التكراري الصاعد (الـــنازل)، ولكـــن النقاط يتم توصيلها باليد وليس بخطوط مستقيمة، أى عدم وجود تغيرات فجائية في الرسم (ويلاحظ أن التكرار الصاعد كما في الرسم الـــسابق كـــان من صفر إلى خمسين والتكرار النازل يكون من خمسين إلى صفر).

نموذج سؤال واجابته:

خـــلال إجـــراء دراســـة بحثية لجماعة مكونة من أربعين طالب بقسم الإعلام تكونت العلامات التالية والتي تمثل درجات اختبارهم.

37	44	38	32	48	44	43	51	36	30
33	38	43	46	40	37	41	49	42	34
40	44	50	47	44	39	45	48	41	37
34	43	47	45	46	47	49	46	43	45

أ – المطلوب إعداد توزيع تكراري

ب- ثم إعداد مدرج تكراري معتمد على التوزيع السابق.

ج- ثم إعداد مضلع تكرارى للبيانات.

د- ثم إعداد توزيع تكرارى متجمع وأخيراً توزيع النسبة المئوية المتجمعة.

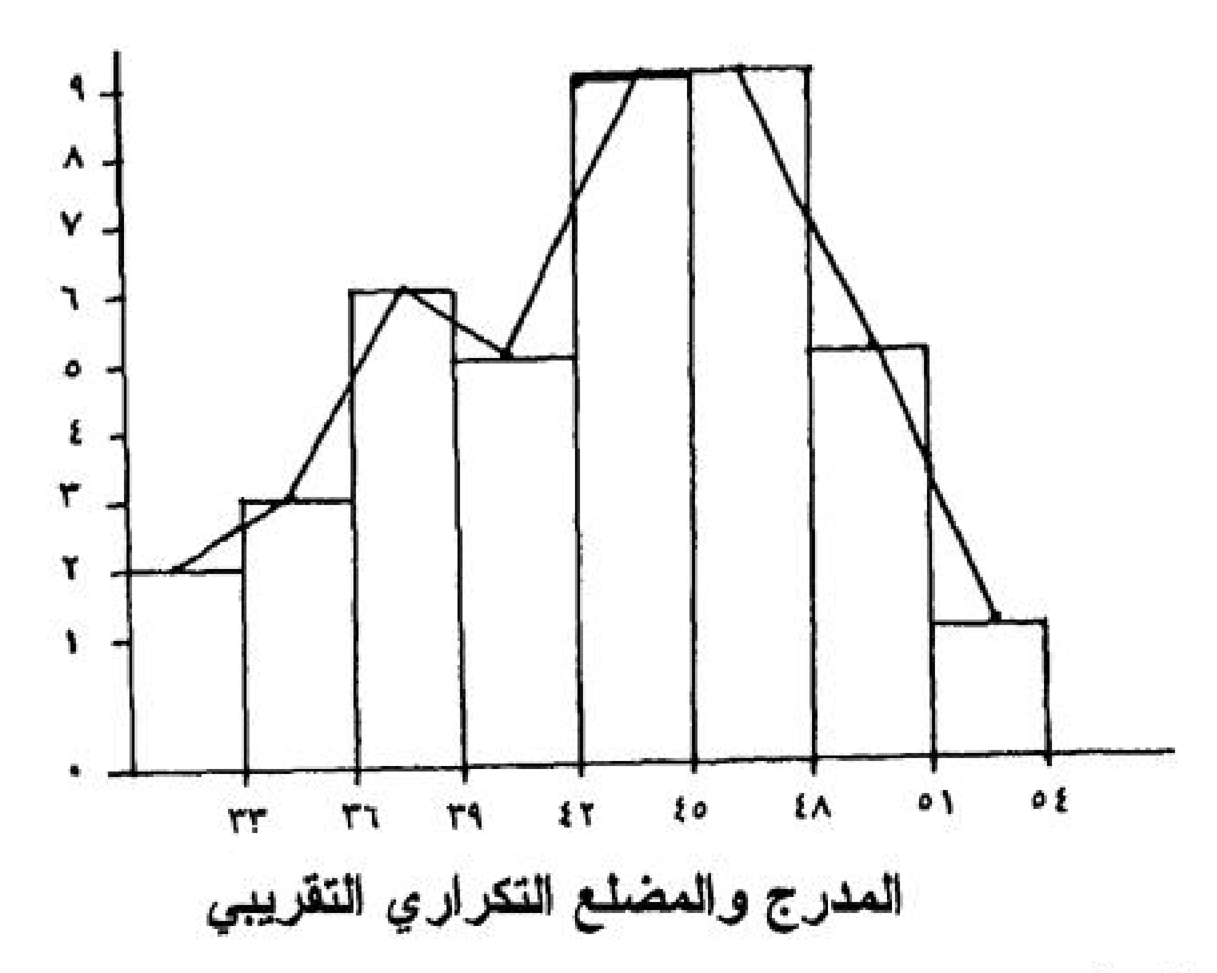
الحل:

عدد المشاهدات = 40 عدد الفئات (7) حسب الجدول

تحديد طول الفئة = $\frac{\text{المدى}}{\text{عدد الفئات}} = \frac{30-51}{7} = \frac{21}{7} = 3$

∴ **التوزيع التكراري.**

الفئات	العلامات	التكرار
33-30	||	2
36-33	|||	3
39-36	~~||||~~ |	6
42-39	~~||||~~	5
45-42	~~||||~~ ||||	9
48-45	~~||||~~ ||||	9
51-48	~~||||~~	5
54-51	|	1



المدرج والمضلع التكراري التقريبي

أى أن الـــتوزيع التكراري وكذلك التوزيع التكراري المتجمع والتوزيع بالنسبة المئوية المتجمعة تكون كما يلي:-

الفئات		التوزيع التكراري المتجمع	النسبة المئوية المتجمعة
أقل من 30	- صفر	صفر	
33-30	2	2	%5
36-33	3	5	%12
39-36	6	11	%28
42-39	5	16	%41
45-42	9	25	%64
48-45	9	33	%84
51-48	5	38	%97
54-51	1	39	%100

رابعاً: مقاييس النزعة المركزية

وهذه المقاييس تشمل المتوسط والوسيط والمنوال.

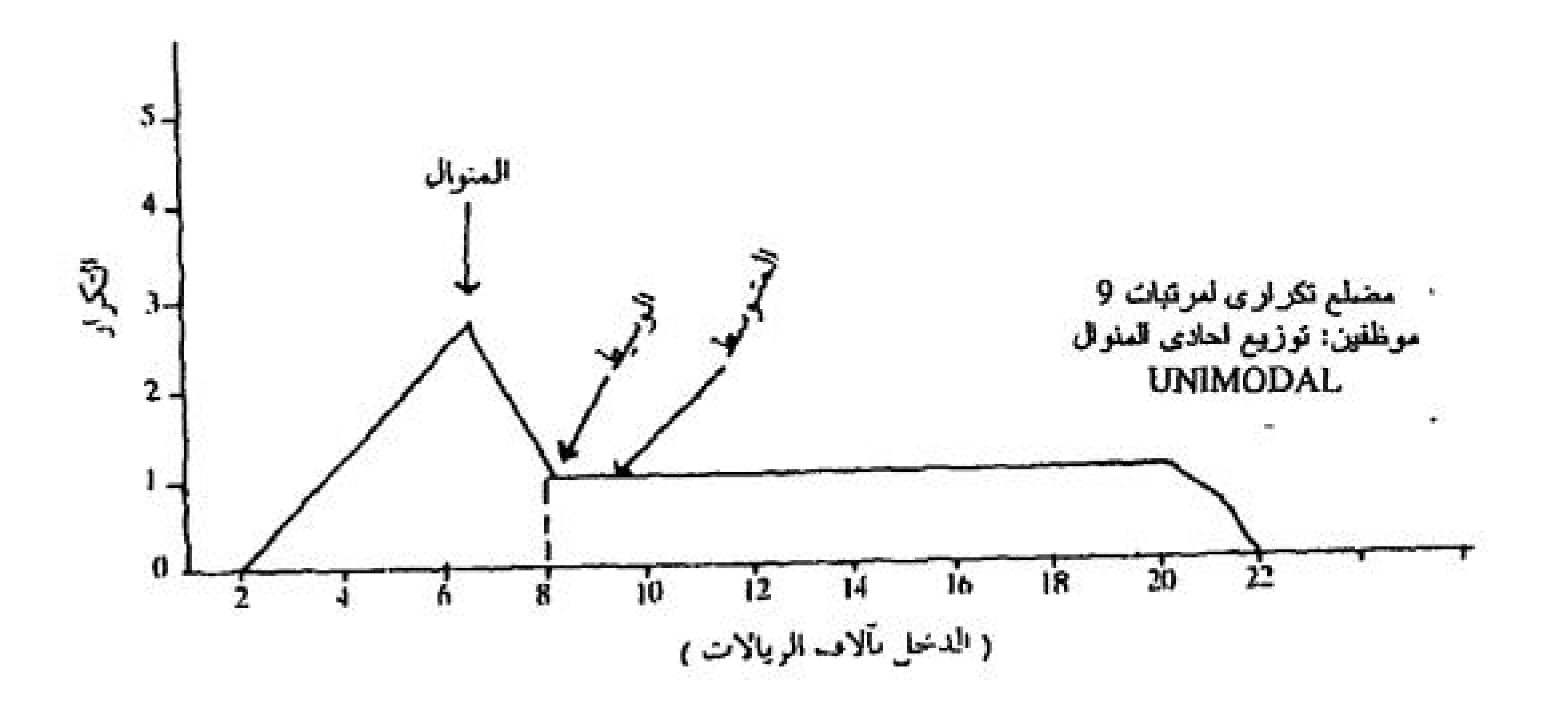
والمتوسط يحسب على أساس مجموع القيم لجميع الحالات ثم قسمة هذا المجموع على العدد الكلي للحالات.

الوسيط هو الرقم الوسط في التوزيعات التكرارية أى أعلى من هذا الرقم من عدد القيم مساوية لعدد القيم أقل من هذا الرقم.

أما المنوال فهو أكثر الأرقام شيوعاً في التوزيعات التكرارية ويمكن توضيح هذه العلاقات ببعضها في المثال التالي:

لدينا تسعة موظفين بالمركز الصحفى ورواتبهم الشهرية كما يلي:-

4.100 ريال – 6.000 ريال – 6.000 ريال – 6.000 ريال – 8.0000 – 9.000– 10.000 ريال – 11.000 – 20.000 ريال. فما هى قيم المتوسط والوسيط والمنوال.



المتوسط = 20.000+11.000+10.00+9000+8000+6000+6000+6000+4100

$$= \frac{80.100}{9} = 8.900$$

أما الوسيط فهو (8000) لأن هناك أربع قيم أعلاه وأربع قيم أدناه، أما المنوال فهو (6000) ريال.

ويمكـــن أن يحـــتوى الرســـم علـــى أكثـــر مـــن منوال Bimodal أو Multimodal وذلـــك عـــندما يكـــون هناك عدد كبير من الموظفين بالمركز الصحفى مثلا، فقد يكون عدد كبير من الموظفين الاداريين يتقاضون 6000، وعدد كبير آخر يتقاضى 9000.

سؤال للتدريب:

التكالـــيف التالـــية هـــى لعدد ثمانية دوريات علمية فى مجال الإعلام [$3200 -$220 -$140 -$110 -$40 -$40 -$35 -$25]، فأى نوع من أنـــواع قياسات النزعة المركزية يدلنا بطريقة أكثر دقة على متوسط تكاليف المطبوعات الثمانية؟

المتوسط هو= $\frac{25+35+40+40+110+140+220+3200}{8}$ =$476.25

الوسيط = $75

المنوال = $40

ونحـــن نلاحظ أنه إذا اخترنا المنوال فإن جميع التكاليف لا تدخل في الاعتبار وفي ذات الوقت فإن المتوسط $476.25 أعلى من عدد سبعة تكاليف مـــن ثمانية وبالتالي فهو غير معبر عن المتوسط تماماً، وبالتالي فيتضح أن الوســـيط هـــو أكثـــر القياســـات صلاحية للنزعة المركزية أى أنه إذا كانت الـــتوزيعات تحتوى على أرقام عالية جدا وأخرى منخفضة جدا فإن الوسيط هـــو أكثـــر قياســـات النزهة المركزية صحة، وقد يكون المنوال في بعض القياســـات أكثـــر فائدة وإن كان عادة مقياس غير ثابت نسبيا وبالتالى فيعتبر مرجع سريع لتحديد القيمة التقريبية للمتوسط.

خامساً: وظائف الاحصاء الوصفي

(1) قياسات التشتت والانحراف المعياري:

Measures of Dispersion and Standard Deviation

تدلـــنا مقاييس التشتت على الاختلافات من النزعة المركزية للبيانات، هـــذا ومدى البيانات range of Data في التوزيع التكراري، يدلنا على الفرق بين القيمتين الأعلى والأدنى، فمدى المرتبات الشهرية في الصحيفة مثلا من 300 – 1200 جنيه.. وهذا المدى يمكن استخدامه في مقارنة الاختلافات بين الدول المختلفة.

أما الانحراف المعياري فهو أكثر مقاييس التشتت أهمية، وإن كان أكثر تعقـيدا وصـعوبة فـي حـسابه، والاحصائيون يفضلون حساب الانحراف المعـياري، لمـا لـــه من صفات رياضية هامة وهو الأساس في عمليات الاحـصاء الاسـتدلالي أو الاسـتقرائي InductiveStatistics والانحـراف المعـياري يعكـس كمـية الانحراف من المتوسط بالنسبة للعلامات التي يتم ملاحظـتها، وبطـريقة أخـرى يعتبر الانحراف المعياري الجذر التربيعي الايجابي للتباين، وحجمه يزيد كلما زاد حجم علامات الانحراف. وهو مقياس مفـيد للتشتت، لأننا في معظم علامات التوزيع، نعرف نسبة العلامات التي تقـع فـي نطـاق زائد أو ناقص واحد أو اثنين أو ثلاثة انحرافات معيارية، وتزيد فائدة الانحراف المعياري في البحث لأن وحداته في القياس هى نفسها البيانات الأصلية، والمعادلة الخاصة بالانحراف المعياري هى:-

$S=\sqrt{\frac{\sum xi^2}{N}}$ حيث $\sum xi^2$ تساوى مجموع علامات الانحراف المربعة. أما N = فهي عدد الحالات

وإذا أخــذنا المــثال التالي الذي يظهر لنا عدد الصحفيين المهنيين في مختلف الصحف بالدول العربية (للتوضيح فقط) كما يلي:-

البلد	عدد الصحفيين	البلد	عدد الصحفيين	البلد	عدد الصحفيين
السعودية	119	اليمن	63	المغرب	85
الكويت	205	الأردن	112	الجزائر	177
العراق	238	سوريا	127	مصر	261

فلحــساب الانحراف المعياري فنحن نبدأ بحساب المتوسط الحسابي أى حجــم هــذه الأعــداد ثم قسمتها على تسعة فيكون الناتج 154 ∴ الانحرافات هي:-

- 35، + 51، + 84، -91، -42، -27، - 69، + 23، + 107 وبالتالـــي فـــإن مربعات الانحرافات هى 1225 - 2601 - 7056 - 8281 - 1764 - 729 - 4761 - 529 - 11449.

∴ الانحـــراف التربيعـــي المتوســـط هو = 1225+ 2601 + 7056 + 8281 + 1764 + 729 + 4761 + 529 + 11449

9

= 4266

∴ الانحراف المعياري هو $\sqrt{4266}$ = 65.3 أى 65 تقريبًا.

أى أن المتوسط الحسابي هو 154 والانحراف المعياري هو 65، 154± 65 = 89 - 219.

وبالتالـــي فنحن نتوقع -وقد وجدنا فعلا- أن الانحراف المعياري حول المتوسط يشمل خمسة من بين تسعة دول وهو تقريبا توزيع معتدل. وبالتالي فالانحـــراف المعياري يمكن أن يستخدم في مقارنة المساواة أو عم المساواة

بـين اثنين أو أكثر من الجماعات، وإذا كانت الجماعات يمكن مقارنتها، فإنه كلما كـان الفـرق كبيـرا في الانحراف المعياري كلما زاد عدم المساواة Inequality.

(2) الإحصاء الوصفى والإحصاء الترابطى

يمكـن للإحصاء الوصفي أن يقيس العلاقة بين المتغيرات المختلفة في البـيانات وهـذا ما يطلق عليه عادة بالاحصاء الترابطي Correlational or Associational وفـي هذه الحالة فهذا النوع من الاحصاء يسمح بالتنبؤ عن أحـد المتغيـرات اعتماداً على متغير آخر، ولكن هذا النوع من الاحصاء لا يصلح للاستخدام لتحديد العلاقات السببية.

هـذا ومعامل الارتباط Correlation Coefficient هو إحصاء ترابطي، وإن كـان هذا المعامل قد يعتبر أحيانا أخرى كاحصاء استدلالي Inferential Statistics وسيشار إليه في أمثلة عن هذا النوع الأخير.

وهناك نوع شائع آخر من الإحصاء الترابطي وهو المعروف باسم الجدولة المتبادلة Cross Tabulation أو التكرار لمتغيرين Bivariate Frequency والتكرارات لمتغيرين هذه هى منتجات جداول يتم فيها التصنيف المتبادل لمتغيرين. وتحتوي الجداول على صفوف وأعمدة، حيث تعتبر الفئات أو القيم الخاصة بأحد المتغيرات كمؤشرات للصفوف أما الفئات الخاصة بالمتغير الثاني فهى مؤشرات للأعمدة.. وعادة ما يعتبر المتغير المستقل هو المتغير في الأعمدة أما المتغير التابع فهو المتغير في الصفوف. هذا ويعتبر حساب وتحليل التكرارات لمتغيرين خطوة ضرورية لاكتشاف أو اختبار العلاقات بين المتغيرات وفيما يلي مثال كجدول متغيرين وهو عن تكرارات استخدام المركز الصحفى حسب السن:

الاستخدام السنوي للمركز الصحفي	العمـــر				
	1-12	13-25	26-50	أكثر من 51	المجموع
صفر -5	6 %9	12 %15	15 %25	40 %43	73 %25
6-12	10 %16	13 %16	12 %20	35 %38	70 %24
13-24	25 %39	30 %38	12 %30	10 %11	77 %26
اكثر من 25	23 %36	25 %31	20 %34	7 %8	75 %25
المجموع	64 %100	80 %100	59 %100	92 %100	295 %100

وعـــند قـــراءة الجـــدول الـــسابق فيجب أولا ملاحظة عنوان الجدول ورؤوس الموضـــوعات المذكورة للتعرف على محتويات الجدول. والجدول السابق طبقا لذلك يلخص البيانات الخاصة بالتكرار السنوي لاستخدام المركز الصحفي والعمر، كما تم تجميع البيانات في فئات لها مدى معين، وكل مدى يمـــثل قيمة للمتغير والمتغير في الأعمدة هو السن وهو المتغير المستقل أما المتغير في الصفوف وهو استخدام المركز فهو المتغير التابع.

ويجـــب أن يـــراجع القارئ بعد ذلك أسفل الجدول وذلك للتعرف على مصدر البيانات للتأكد من مدى الثقة فيها، وإذا كان المصدر غير موجود في نهاية الجدول فيجب البحث عنه في المكان المناسب بالنص.

ويجـــب بعـــد ذلـــك أن يحدد الاتجاه الذي تحسب على أساسه النسبة المـــئوية، أى هـــل تحسب النسب المئوية حسب الأعمدة أو حسب الصفوف، وهـــذا يعـــرف بالبحث موقع النسبة الكلية 100% وفي المثال السابق فقد تم حـــساب النـــسب المـــئوية للأعمدة، ومن الممكن حساب النسبة المئوية في الاتجاهين أى في الأعمدة والصفوف.

ويقــوم الباحث بعد ذلك بمقارنة الفرق في النسب المئوية في الجدول وذلــك لــتحديد درجة العلاقة – إذا وجدت – بين المتغيرات . وتتم المقارنة عادة في الاتجاه المعاكس للطريقة التي تم بها حساب النسبة المئوية.

وفي الجدول السابق، يجب على الباحث أن يفحص النسب المئوية عبر الــصفوف وذلك لتحديد إذا كان هناك تغيرات في استخدام المركز الصحفى بالنــسبة للــسن، وإذا نظــرنا إلى الصف الأول فيمكن أن نرى أن 9% من الأشــخاص بين واحد واثنا عشر سنة استخدموا المركز من صفر إلى خمس مــرات وأن 15 من الذين يبلغ عمرهم 13–25 سنة قد استخدموا المركز من صفر إلى خمس مرات.. الخ.

والفحــص الــشامل للصف بأكمله يدل على أن الجماعات الأكبر سنا تميل إلى استخدام المركز مرات أقل، وذلك لأن نسبة أعلى منهم تقع في فئة الاستخدام الأقل للمركز.

والنــسبة المــئوية فــي الصفوف الأخرى تميل إلى تأييد هذه النتيجة، والشذوذ الوحيد Only Anomaly الذي يجب الإشارة أليه هو ذلك الذي نجده فــي النــسب الخاصــة بالأشخاص من عمر 26–50 سنة والذين استخدموا المركز 25 مرة أو أكثر من (34%).

وهــذا الــشذوذ الذي يظهر أحيانا في الجداول لا يضعف بالضرورة الــنموذج أو النتــيجة العامــة ولكنه يستدعي مزيدا من التبرير المعمق لهذه الظاهرة.

هذا والأرقام في عمود المجموع تدل على النسب المئوية للأرقام الكلية Total للحالات التي تقع ضمن الرتب ranges المختلفة لأشخاص المركز.

أمــا الأرقام عبر الصف "المجموع" فتدل على الأعداد والنسب المئوية للأشخاص والتي حدثت في كل فئة من فئات العمر.

أما الأعداد في العمود النهائي والصف النهائي فتدل على الهوامش أو التكـرارات أحاديـة المتغير Marginals of Univariate Frequencies وهذه وصفية في طبيعتها بدرجة واضحة.

أمـا الأرقام داخل الخلايا الفردية فهي جدولة متبادلة أو تكرارات ذات متغيـرين وهـى الأرقـام التي تساعد في تحديد العلاقات، نظرا لأنها تمثل الحـالات ذات القـيمة المعيـنة لكل من المتغيرين، وعلى سبيل المثال فإن الحالات الست التي في الخلية الأولى تمثل الأشخاص من الأعمار واحد إلى اثنـي عشر وهم أنفسهم الذين استخدموا المركز من صفر إلى خمس مرات خلال السنة الماضية.

وبفحـص هـذه الأرقـام، فسيكتشف القارئ نموذجاً للمتغير المتزامن Covariation أو العلاقـة بين متغيرين، وفي حالتنا هذه فإن استخدام المركز يميل إلى النقصان كلما زاد العمر.

(3) الإحصاء الوصفي ووصف الفروق بين جماعتين أو أكثر:

يقـوم الاحـصاء الوصفي بوصف الفروق بين جماعتين أو أكثر من الأفـراد، وهـذه في الواقع ليست أكثر من حالة خاصة لاظهار العلاقة بين متغيرين.

ومـثل هـذه الاستخدامات للاحصاء الوصفي تتضمن عادة إجراءات النزعة المركزية، وعلى سبيل المثال، إذا قام باحث بقياس المهارة الصحفية لجماعتـين من الطلاب، فمن الممكن مقارنة العلامات المتوسطة للجماعتين، وإذا كانت الجماعتان قد تلقتا أشكال مختلفة من التعليم، فإن مثل هذه المقارنة يمكـن أن توضـح الطـريقة التعليمـية الأفـضل، وأخيرا فهناك الصفتان الأساسيتان في البندين التاليين.

(4) عـرض صـفات متعددة من الحالات أو الأشخاص وذلك بالنسبة للمتغير أو المتغيرات التي يتم قياسها، وهذه العملية تتطلب استخدام واحد أو

أكثر من التمثيلات الخطية أو عرض البيانات كالرسومات البيانية والجداول.. وتحتاج هذه العملية إلى خبرة الباحث بكيفية عرض البيانات.

(5) تحديد الحالات المثالية في مجموعة من الحالات وهذه هى قياسات النــزعة المركزية وتشمل عادة المتوسط Mean والوسيط Median والمنوال Mode

سادساً: التحليل الاحصائي الاستدلالي أو الاستقرائي

1/6 تقديـم:

يمكن أن، يكون الاحصاء وصفياً أو استدلالياً استقرائياً، وذلك بناء على اســتخدام التحلــيل الاحــصائي في الدراسة. فالاحصاء الوصفي يدلنا على النزعات المركزية للبيانات (الوسط/الوسيط/المنوال) وعن تشتتها (الانحراف المعــياري/ الخطــأ المحــتمل / المنحنــى المعــتدل.. الخ) وعن العلاقات (الارتــباطات) التــي يمكــن أن تــوجد بين مختلف العوامل. أما الاحصاء الاســتقرائي أو الاستدلالي فهو يساعد الباحث على وضع التعميمات العلمية مــن البــيانات والمعلومات وكذلك التأكد من صحة هذه التعميمات بواسطة نظرية الاحتمالات. أى أن الاحصاء الاستدلالي هذا يعتبر منهجا للبحث لأنه يختبــر الفــرض بالدلــيل الاحصائي ويستخدم المعاينة لاستخلاص النتائج وتعميمها على المجتمع.

ويفضل كثير من الباحثين استخدام الفرض الصفري كوسيلة للتأكد من أن النتائج التي يتم التوصل إليها في دراسة معينة لم تحدث بمجرد المصادفة البحــتة، أى أنــه إذا ثــبت أن الفرض الصفري خاطئ فإن فرض الباحث الأصــلي ســيزداد قوة وتدعيماً. والفرض الصفري يعني مايلي: "ليس هناك فــرق بــين اثنــين أو أكثر من المجموعات بالنسبة لبعض الصفات" ويعتقد الباحث عادة أن هناك فروقا حقيقية بين مجموعتين أو أكثر من الظواهر التي يقــوم بدراستها، وبالتالي فهو يأمل عادة في أن البيانات المجمعة ستؤدي إلى

رفــض الفرض الصفري وتدعيم ما يذهب إليه من فروق بين المجموعات. والاختبار الاحصائي للفرض الصفري يتطلب تحديد مستوى الدلالة،(α) وهو عادة يكون [0.05أو .0 01] في بحوث العلوم الاجتماعية.

هــذا ويــتم الاختبار الاحصائي للفرض الصفري عن طريق حساب" احتمال" أن تكون البيانات المجمعة قد نتجت عن طريق المصادفة من علاقة " عدم الاختلاف" بين المجموعتين. وإذا ظهر أن الاحتمال المحسوب أقل من مستوى الدلالة الذي اختاره الباحث فإنه يمكن رفض الفرض الصفري بأمان.

2/6 مفهوم الاحتمال واختبار الفرض

أ- الاحتمال [ρ] هو رقم بين الصفر وواحد وهو مرتبط بحدوث الحدث.

ب- وإذا أعطــى لحــدث معين الاحتمال [1] فإن ذلك يعني أن الحدث مؤكد حدوثه.

ج- وإذا أعطــى لحــدث معين الاحتمال [صفر] فإن ذلك يعني أن الحدث مؤكد عدم حدوثه.

د- وإذا كان الاحتمال [ρ] مرتبطا بحدث ما حيث أن 1 ≤ أ ≤ صفر وإذا تم فحص عدد كبير من الحالات فإن نسبة عدد مرات حدوث الحدث ستقترب مــن [ρ]. وعلى سبيل المثال فإذا رمينا زهرا له ستة أوجه مرات عديدة فــإن نسبة الحصول على الوجه (3) ستكون مرة واحدة لكل ستة رميات لأن الاحتمال هو $P = \frac{1}{6}$.

أما بالنسبة لاختبار الفرض فيمكن ملاحظة مايلي:-

أ- يخــتار الباحث احتمال [α] معين [على سبيل المثال 01ر أو 05ر] وهذا الرقم هو مستوى الدلالة Level Of Significance الخاص بالاختبار.

ب- يقــوم الــباحث بحساب الاحتمال [ρ] للبيانات التي يلاحظها وذلك على اعتبار أن الفرض الصفري صحيح.

ج- إذا كـــان الاحـــتمال المحـــسوب [ρ] يزيد على مستوى الدلالة [α] التي اخـــتارها الـــباحث فـــإن البيانات تعتبر غير ذات دلالة حيث أن الفرض الـــصفري لا يمكن رفضه، ومن جانب آخر إذا كان الاحتمال المحسوب [ρ] أصـــغر من [α] فإن البيانات تعتبر ذات دلالة ويمكن رفض الفرض الصفري في هذه الحالة.

3/6 الإحصاء واختبار الفرض الصفري

إذا كـــان الإحصاء الوصفي يقوم بتلخيص ووصف البيانات (وإن كان الإحـــصاء الوصفي يمكن أن يقترح بعض العلاقات كما تبين فما سبق)، فإن الإحصاء الاستدلالي يمكن أن يقوم ببعض الوظائف الأكثر تعقيداً.

فالإحصاء الاستدلالي يستخدم عادة في التنبؤ أو تقدير صفات المجتمع الـــذي يـــتم علـــيه الـــبحث وذلك من خلال العينة العشوائية التي تمثل ذلك المجـــتمع، وكـــذلك يستخدم الإحصاء الاستدلالي في اختبار الفروض وذلك باستعمال اختبارات الدلالة الإحصائية لتحديد إذا كانت الاختلافات الملاحظة بين الجماعات هى اختلافات حقيقية وليست مجرد نتيجة للمصادفة.

والباحث باستخدام الإحصاء الاستدلالي يمكن أن يقيس معدل الفقد مثلا فـــي عينة من نشرات المركز الصحفى ثم يتنبأ بمعدل الفقد بالنسبة للمجتمع الكلـــي وذلـــك بـــناء على العينة الإحصائية وهذا هو الاستخدام الأول، أما الاســـتخدام الثانـــي فهو أن يقوم الباحث مثلا باختبار العلاقة بين معدل الفقد لجماعتـــين مـــن المراكز، أحدهما موجود في مركز يقدم فترة إعارة طويلة وآخر يقدم فترة إعارة قصيرة.

وعند تقييم الفرق بينهما -إذا وجد- فمن الضروري تحديد إذا كان هذا الفـــرق كبيـــرا للغاية حتى يعزي فقط للمصادفة وليس للتأثيرات في فترات الاعارة المختلفة.

ويجـــب أن نتذكـــر أن الإحصاء يستخدم لاختبار الفرض الصفري أى الفرض الذي يدل على عدم وجود علاقة، أما الفرض البحثى فهو على عكس ذلك يتنبأ بوجود علاقة (عادة علاقة إيجابية)، والفروض الصفرية ضرورية لتجـــنب خطأ تأكيد النتيجة التالية، أى أننا يجب استبعاد الفروض الخاطئة أو علـــى الأصـــح تقبل الفروض الحقيقية، وبمعنى آخر، فإن إظهار أن (ب) قد حـــدثت فـــإن ذلك لا يعني أن نظرية (أ) صحيحة بالضرورة أو تسببت في (ب)، وبالتالي فيجب أن نستبعد النظريات الأخرى قبل أن نصل إلى النتيجة التـــي مفادهـــا أن (أ) تعتبر حقيقية، هذا وتوضيح أن الفرض الصفري ليس حقيقيا قبل الوصول إلى نتيجة مفادها أن هناك علاقة حقيقية، يساعد أيضا في استبعاد الصدفة كسبب لهذه العلاقة.

والاعتـــراف بأن الفرض الصفري حقيقي، يعني أن أى فرق أو علاقة تلاحظ تعتبر غير ذات دلالة إحصائيا وأنه يحتمل أن تكون بسبب الصدفة أو خطـــأ المعاينة وأنه لا يتم تأييد الفرض البحثي بناء على ذلك، كما أن رفض الفرض الصفري يعنى تدعيم وتأييد الفرض البحثي.

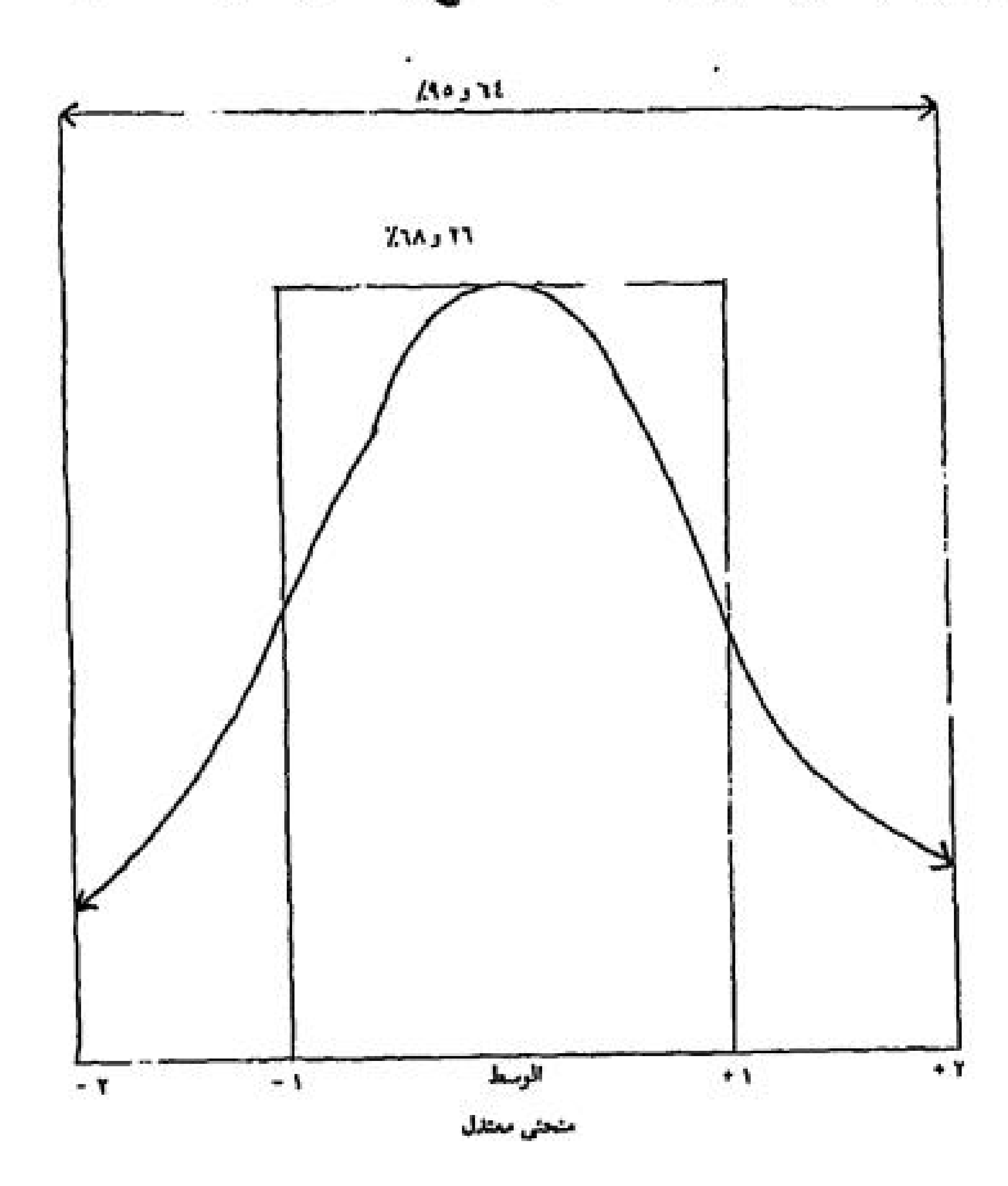
هذا والاستخدامان السابقان يعتمدان على نظرية الاحتمالات، ويجب أن يكـــون لدى الباحث فهم واضح لمفاهيم النظرية الأساسية، وكما يقول هانتز برجـــر وزمـــيله "النظرية الرياضية للاحتمال تقدم لنا أساسا لتقييم الثقة في النتائج التي نصل إليها والاستنتاجات التي نضعها وذلك عند تطبيق الأساليب الإحصائية في تجميع وتحليل وتفسير البيانات الكمية".

وينبغي على الباحث أن يستشير واحدا أو أكثر من الكتب الأساسية في الإحصاء بالنسبة لهذا الموضوع.

هذا والإحصاء الاستدلالي نفسه له نوعان أساسيان أولهما الإحصاء أو الاختـــبار البارامتـــري Parametric وثانـــيهما الإحـــصاء أو الاختبار غير البارامتري.

سابعاً: الإحصاء البارامتري

يتطلب الإحصاء البارامتري بالضرورة افتراض وجود التوزيع (أو المجتمع) المعتدل Normal Distribution أى أن بيانات التوزيع المعتدل عند تمثيلها بالرسم فإنها تؤدي إلى منحنى متماثل Symmetrical حيث يكون فيه الوسط والوسيط والمنوال متطابقة مع بعضها، وذلك مثل الشكل التالي:-



ويذهب الباحثون في هذا المجال إلى القول بأنه إذا كانت العينة المسحوبة من المجتمع تصل إلى مائة أو أكثر من الحالات، فإن الأمر لا يتطلب التوزيع المعتدل، وفي هذه الحالة فإن توزيعات العينة (وليس المجتمعات) هى التي تكون الأساس لاختبارات الدلالة. هذا وتتطلب الاختبارات البارامترية عينة عشوائية كما تتطلب أن تكون البيانات التي يتم تحليلها ذات مستوى فتري أو نسبي Interval or Ratio Levels.

وتعتبـــر الاختبارات البارامترية أقوى نسبيا من غيرها أى أنها يحتمل أن تكتشف الفرق بين الجماعات إذا كان هناك فرق فعلا، وبمعنى آخر فقوة الاختـــبار ذات علاقـــة مباشـــرة بمقدرتـــه على استبعاد الفروض الصفرية الخاطئة.

وقد أورد رونـالد باول أمثلة لبعض الاختبارات البارامترية كما يلي:-

أ- اختبار Z وهو يستخدم العلامات المعيارية ويختبر الفرق بين نتائج جماعة والنتائج المتوقعة بسبب الصدفة وحدها.

ب- اختـــبار t للطلاب وهو اختبار يمكن استخدامه بدلا من اختبار z وذلك حـــيث توجد جماعة واحدة فقط. ولكن بالمقارنة باختبار z فإن الانحراف المعياري للمجتمع غير معروف.

ج- الاخـــتلاف بين المتوسطات، وهو اختبار شائع الاستخدام ويستعمل أيضا احصاءt ، وهو يبين إذا كان الاختلاف الاحصائي بين العلامات المتوسطة للجماعتين ذات دلالة من عدمه، وهذا الاختبار لا يتطلب معرفة الانحراف المعياري لمجتمع البحث.

د- تحلـــيل التـــباين وهـــو اختبار احصائي يمثل امتدادا لاختبار الفرق بين المتوســـطات وهـــو يـــستخدم إحـــصاء F، وهـــو يختبر الاختلافات بين المتوسطات لأكثر من عينتين أو جماعتين.

هـــ- معامـــل ارتـــباط بيرســـون Person Product Moment Correlation Coefficient وهـــذا الاختـــبار يعرف باختصار بأنه معامل الارتباط، وهو يقـــيس درجة الارتباط الخطي بين متغيرين، وهو يمكن أو يأخذ قيمة (1-) إلـــى (1+) والمعامل السلبي يبين علاقة سلبية، أى أنه كلما يزيد متغير فإن المتغير الآخر ينقص، أما القيمة الايجابية فتدل على العلاقة الايجابية أى أنه عـــندما يـــزيد متغير فإن الآخر يزيد أيضا أو أن الاثنين ينقصان، ومعامل

صفر أو قريب من صفر يعني أنه ليس هناك علاقة خطية بين المتغيرات، واستخدام هذا الاحصاء يتطلب بيانات ذات مستوى فتري Interval.

ولما كان الاختبار الثالث السابق وهو الاختلاف بين المتوسطات وهو اختبار شائع فسيحاول الكاتب إيراد نموذج كمثال لهذا الاختبار.

اختبار دلالة الاختلاف بين متوسطات العينات المزدوجة

لنفتـــرض أنـــه بدلا من أن نقول بأن نظام المعلومات الآلى OCLC(*) أسرع من النظام اليدوي، فإن المرات الفعلية في كل من النظامين قد سجلت وأن البيانات المسجلة هذه على هيئة (14) زوج من الأعداد كما هو الحال في الجدول التالي الذى يبين الوقت اللازم بالدقائق لاسترجاع معلومات الفهرسة من كل من النظامين:

الرقم	نظام OCLC	النظام اليدوي	الفرق بين النظامين (d)
1	06	2.1	1.5
2	1.2	1.3	ار
3	8ر	7.2	6.4
4	2.8	1.3	1.5
5	1.3	4.0	2.7
6	1.2	5.1	3.9
7	4.8	3.4	-1.4
8	1.4	3.2	1.8
9	1.7	2.8	1.1
10	2.1	4.3	2.2
11	2.4	3.3	9ر
12	1.0	2.4	1.4
13	6ر	2.1	1.5
14	3ر	2.1	1.8
	المجمـــــــوع		22.4 المجموع

(*) نظام Onlin Computer Library Center OCLC هو نظام أمريكي يهتم بالفهرسة الآلية.

ويلاحظ أن العمود الأخير على اليسار في الجدول يتضمن الفرق d بين النظامين حيث d تدل على الفرق بالدقائق بين البحث اليدوي مطروحا منه الوقت الذي يتطلب البحث بنظام البحث الآلى OCLC.

وإذا أردنا اختبار الفرض الصفري بأنه ليس هناك فرق بين استخدام أى من النظامين بالنسبة للوقت اللازم للاسترجاع، فإننا نقوم بحساب متوسط الفرق (d) بين النظامين حيث:

$$\bar{d} = \frac{22.4}{14} = 1.6 \text{ دقيقة}$$

أى أن هناك فرقا بين النظامين، ولكن هل هذا الفرق ذا دلالة إحصائيا؟ ولاختبار الفرض الصفري فنحن نفترض أن الانحرافات di موزعة بطريقة عادية ومستقلة وبحيث يكون المتوسط مساويا للصفر.

ويمكن حساب الانحراف المعياري للاختلاف الكلي [δd] كما يلي:-

$$Sd = \left[\frac{\sum(d-\bar{d})^2}{n-1}\right]1/2$$

وفي المثال أعلاه فإن الانحراف المعياري $sd = \sqrt{4.047} = 2.01$

والخطأ المعياري لمتوسط الفرق (SED) بحسب كما يلي:

$$SED = \frac{sd}{\sqrt{n}} = \frac{2.01}{\sqrt{14}} = 0.537$$

ونستطيع بعد ذلك اختبار الفرض الصفري بأنه لا فرق بين النظامين، أى أن متوسط الفرق الحقيقي (μd) يساوي صفر. ونظرا لأن الانحراف المعياري للاختلاف الكلي (δd) قد تم حسابه من البيانات المتوفرة فيمكن القيام باختبار t بدرجة حرية N-1 df (أى 13) وذلك كما يلي:-

$$t = \frac{(d - ud)}{SED} = \frac{(1.6 - 0)}{0.537} = 2.98$$

ولاختـبار الفرض الصفري يقارن الباحث قيمة (t) التي حصل عليها بالقيم الموجودة بالجداول الإحصائية فإذا زادت قيمة (t) عن القيمة بالجدول وذلـك بالنـسبة لاحتمال (P) محدد سلفا فإن الفرض الصفري يمكن رفضه. وفي الواقع فعند استشارة الجدول فنحن نرى أنه عند درجة الحرية (13) فإن قـيمة (t) المحسوبة تكون ذات دلالة عند احتمال (قيمة α) بين (05. – 01.) وبالتالي فيمكن رفض الفرض الصفري باطمئنان عند مستوى الدلالة [05].

ثامناً: الاحصاء غير البارامتري Non-Parametric

علـى عكس الاحصاء البارامتري فإن الاحصاء غير البارامتري يعتبر توزيعاً حراً، أى أنه لا يتطلب افتراض المجتمع المعتدل Normal Population وبالتالي فهذا النوع من الاحصاء يستخدم العينات الصغيرة.

ونظـرا لأن هذا النوع من الاحصاء يتضمن افتراضات أضعف، فإنه يعتبر أقل قوة من الاختبارات البارامترية ويتطلب عينات أكبر للوصول إلى نفس مستوى الدلالة. (ومستوى الدلالة هو احتمال رفض فرض حقيقي، وهذا .عادة يكون عند 0.5 أو 0.1) وهذا يعني أن الفرض الصفري، أو التنبؤ بعدم وجود علاقة، يمكن رفضه، إذا كانت العينة ضمن النتائج التي يمكن أن تكون حدثت فيما لا يزيد على 5% أو 1%.

وبمعنـى أخر فمستوى الدلالة الخاص بـ 05. يعني أن هناك احتمال أن الباحث سيرفض الفرض الذي يعتبر حقيقياً فعلاً.

هـذا والاختـبارات غير البارامترية تستخدم عادة –وليس دائما– مع البيانات ذات المستوى الترتيبي Ordinal.

ويعتبـــر اختـــبار (كا2) من بين الاختبارات الهامة في الإحصاء غير البارامتري.

ويعتبـــر اختـــبار (كـــا2) اختـــبارا مفيدا لتحديد إذا كانت هناك علاقة احـــصائية ذات دلالـــة بين اثنين من المتغيرات المستقلة عن بعضها، وهذا الاختبار يستخدم عادة للدراسات السببية والمقارنة.

نموذج اختبار الفرض بطريقة الكاتربيع (الكا2):

يطـــبق اختـــبار (الكـــا2) فـــي مواقـــف لا تهتم عادة بالتعرف على المتوســـطات وانحرافات المعيارية وغيرها من القياسات المشابهة، وذلك لأن البـــيانات فـــي حالتـــنا هذه (اختبار الكا2) تكون مرتبة وملخصة فيما يسمى بالجـــداول الاحتمالـــية، Contingency tables وكـــل مدخل في هذه الجداول يسمى خلية، Cell ويمكن أن يشير الكاتب للجدول التالي **كمثال:**

الجدول رقم (1)

الأفضليات السياسية	الرجال	النساء	الإجمالي
الديمقراطيين	62	94	156
الجمهوريين	35	42	77
المستقلين	7	33	40
غير ذلك	6	31	37
	110	200	310

إن الدراســـة الفاحـــصة للجدول تشير إلى وجود اختلافات في الجنس بالنـــسبة للأفـــضليات الـــسياسية وإن كان عدد النساء يقرب من ضعف عدد الرجال (200 إلى 110) وإذا افترضنا أنه لا يوجد اختلاف في الجنس بالنسبة للأفـــضليات الـــسياسية فمعنـــى ذلـــك أنـــه يجب أن يكون هناك من النساء الجمهوريـــين ضعف عدد الرجال، وأن يكون هناك من النساء الديمقراطيين ضعف عدد الرجال.. وهكذا بالنسبة للمستقلين وغير ذلك.

ولكـــن القارئ سوف يلاحظ أن ذلك ليس صحيحا بالنسبة للبيانات التي يلاحظها Observed فلا يبين الجدول عددا من النساء ضعف عدد الرجال في

أى واحـــدة مـــن الفئات، كما أننا نلاحظ أن عدد النساء المستقلات والآخرين تزيد عن توقعاتنا في حالة عدم ارتباط الأفضليات السياسية بالجنس (33 إلى 7) والبيانات في هذه الفئة بالذات يشير إلى أن النساء أكثر استقلالية في الفكر من الرجال.

والآن يمكـــن أن نفحص بيانات هذا الجدول بطريقة أكثر عمقاً. فنسبة النساء إلى المجموع الكلي هى بالضبط [200 إلى 310] أو [64.5%) . وإذا كانـــت الأفضليات السياسية لا علاقة لها بالجنس فمن المتوقع إذن أن يكون هـــناك 64.5% من جميع الديمقراطيين من النساء، وكذلك 64.5% من جميع الجمهوريـــين مـــن النساء وهكذا.. وعلى وجه التحديد أيضا فمن المتوقع أن يكون من بين الـــ(156)الديمقراطيين عدد (100.6) من النساء (645. × 15) والباقـــي من الرجال.. وعلى كل حال فإن القيم المتوقعة، Expected Values يمكـــن حـــسابها بناء على افتراض أن الجنس لا تأثير لـــه على الأفضليات السياسية [الفرض الصفري] وذلك حسب الجدول التالي:

الجدول رقم (2)

الأفضليات السياسية	الرجال		النساء		المجموع
	الملاحظ O	المتوقع E	الملاحظ O	المتوقع E	
الديمقراطيين	62	55.4	94	100.6	156
الجمهوريين	35	27.3	42	49.7	77
المستقلين	7	14.2	33	25.8	40
غير ذلك	6	13.1	31	23.9	37
المجموع	110		200		310

ولكـــن هل الفروق بين القيم الملاحظة والقيم المتوقعة هى فروق ذات دلالـــة Significant أو أن هـــذه الفروق يمكن أن تعزي للمصادفة وللتقلبات العـــشوائية؟ أى هل نستطيع أن نرفض الفرض الصفري بأن الجنس لا تأثير له على الأفضليات السياسية وأن النساء في هذه العينة يميلون إلى الاستقلالية

أكثر من الرجال؟.. إن الإجابة على هذه الأسئلة يمكن أن تتم بواسطة اختبار الكا تربيع [كا2]وحسب المعادلة التالية:

كا2 = مج $\frac{(ت - تَ)^2}{تَ}$

$$X^2 = \sum \frac{(O-E)^2}{E}$$

حيث مج مجموع

ت التكرار الملاحظ (O)

ت/ التكرار المتوقع (E)

وكلما كانت قيمة كا2 كبيرة كلما كان الفرق بين الفئتين (الملاحظ والمتوقع) كبيرا وكذلك لابد من حساب درجات الحرية، Degrees Of Freedom (d f) في جداول الاحتمالات التي نقوم بدراستها. فمجموع كل صف وكل عمود يجب أن يكون متساويا لكل من التكرارات المتوقعة والملاحظة. وهذا يضع قيدا طوليا (خطيا، Linear) على البيانات. وبالتالي فإن جميع الخلايا باستثناء واحدة في كل صف وعمود يمكن أ، تختلف بحرية ومجموع أرقام درجات الحرية df = (R-1) (c-1) (حيث C.R هو عدد الصفوف Rows والأعمدة Columns في الجداول).

وبعد حساب كا2 وتحديد عدد درجات الحرية فإن الدلالة الإحصائية للنتيجة يمكن الحصول عليها من الجداول الإحصائية وذلك كما يلي:-

المثال الأول: اختبر البيانات في الجدول رقم (2) السابق بالنسبة للفرض الصفري القائل بأن الجنس لا تأثير لـه على الأفضليات السياسية. ارفض الفرض إذا كان الاحتمال أقل من 05ر $p \leq .05$.

الاجابة

كا2= $\frac{(55.4-62)^2}{55.4} + \frac{(27.3-35)^2}{27.2} + \frac{(14.2-7)^2}{14.2} + \frac{(13.1-6)^2}{13.1} +$

$$\frac{(23.9-31)^2}{23.9} + \frac{(25.8-33)^2}{25.8} + \frac{(49.7-42)^2}{49.7} + \frac{(100.6-94)^2}{100.6}$$

$$16.2 = 2.11 + 2.01 + 1.19 + 0.34 + 3.85 + 3.65 + 2.17 + 0.79 =$$

درجة الحرية = (4−1) (2−1) = 3

وباستشارة الجداول الإحصائية فنحن نرى أنه عند المستوى 05. وعند درجـــة الحـــرية (3) فإن قيمة كا2 [x^2] تكون ذات دلالة إذا كانت أكبر من 7.81، ونظرا لأن 16.2 أكبر من> 7.81 فإن النتيجة تكون ذات دلالة عالية، أى أننا نستطيع رفض الفرض الصفري والوصول إلى نتيجة محددة وهى أن تأثير الجنس على الأفضليات السياسية هو تأثير ذو دلالة واضحة احصائيا.

المـــثال الثاني: الجدول التالي يلخص بيانات الاعارة في مكتبة احدى الكليات الإعلامية، اختبر الفرض بأنه ليس هناك فرق احصائي ذو دلالة بين المـــواد السياسية والمواد الإعلامية المعارة لطلاب المرحلة الجامعية الأولى وطلاب الدراسات العليا.

	المواد السياسية المعارة	المواد الإعلامية المعارة	المجموع
طلاب المرحلة الجامعية الأولى	370	830	1200
طلاب الدراسات العليا	180	520	700
المجموع	550	1350	1900

الإجابة:

لما كان طلاب المرحلة الجامعية الأولى يمثلون نسبة 63.2% [1200]

ـــــ مـــن المجموع الكلـــي للإعـــارة فنحن نتوقع نسبة 63.2% مـــن الكـــتب (1900) السياسية للإعارة لطلاب المرحلة الجامعية الأولى (أى عدد 347.6) والقيم الباقية المتوقعة تم حسابها كما تتضح في الجدول التالي:−

	المواد السياسية		المواد الإعلامية المعارة		المجموع
	الملاحظ	المتوقع	الملاحظ	المتوقع	
طلاب المرحلة الأولى	370	(347.7)	830	(853.2)	1200
طلاب الدراسات العليا	180	202.4_	520	496.8_	700
المجموع	550		1350		1900

وعلى ذلك يمكن حساب كا² كما يلي:-

$$\text{كا}^2 = \frac{347.7-370)}{347.7} + \frac{(853.2-830)}{853.2} + \frac{(202.4-180)^2}{202.4} + \frac{496.8-520)}{496.8}$$

$$1.44 + 0.63 + 2.48 + 1.08 = 5.63$$

هذا وعدد درجات الحرية هو (2−1) (2−1)=1

وباستــشارة الجداول الإحصائية يمكن أن نرى هذه النتيجة ذات دلالة عند المستوى (0.05) ولكنها ليست ذات دلالة عند المستوى (0.01) وبالتالي فإنه اعتمادا على مستوى الدلالة المختارة بواسطة الباحث، فإن النتيجة يمكن أن تــؤدي إلى رفض الفرض الصفري أو عدم رفضه. وعلى كل حال فإنه عــند اختيار مستوى (0.05) وهو أكثر المستويات الشائعة، فإنه يمكن رفض الفرض الصفري.

حجم العينة وتعديل ياتز Yatez على معادلة كا²:

عندما يكون حجم العينة صغيرا فينبغي استخدام تعديل ياتز لحساب كا² كما يلي وذلك حتى يكون للبيانات دلالة احصائيا.

$$\text{كا}^2 = \text{مج} \frac{[(\text{ت} - \text{تَ}) - ½]^2}{\text{تَ}}$$

تاسعاً: اختيار الاختبار الاحصائي المناسب

يجــب أن تستجيب الاختبارات الإحصائية المختلفة للظروف المحيطة بالمــشكلة قبل أن تصبح مناسبة الاستخدام وعلى سبيل المثال، فهناك بعض

الاختبارات التي تستدعي مجتمع معتدل Normal Population وبعضها الآخر يتطلب بيانات على المستوى الفتري Interval.

وقـــد لاحظ القارئ أن الأمثلة التي وردت قبل ذلك قد قصد بها تحليل: إمـــا جماعة واحدة أو جماعتين ، كما أن هناك اختبارات احصائية قصد بها أكثـــر مـــن متغيـــرين، ومثل هذه الأساليب يطلق عليها اسم التحليل المتعدد المتغيرات Multivariate Analysis.

ويجب أن يأخذ الباحث في اعتباره أيضا الهدف الأولى من البحث في اختـــبار الإحـــصاء، أى هل هو إحصاء وصفي أم إحصاء تحليلي استدلالي؟ وبعض المشكلات الأخرى تستدعي التمييز بين المتغيرات المستقلة والتابعة.

وإذا لم تأخذ هذه الجوانب في الاعتبار قبل اختيار الاختبار الاحصائي المناسب فإن الاختيار غير السليم قد يبطل نتائج التحليل.

هـــذا ويمكن تسهيل اختيار الإحصاء المناسب باستخدام نوع من شجرة اتخـــاذ القـــرار وذلـــك للقيام بالعملية بطريقة منهجية، وهناك بعض الكتب المرشدة التي تساعد الباحث على ذلك.

وعـــند اســـتخدام هـــذا الكـــتاب المرشـــد، فإن الباحث يبين أولا عدد المتغيرات التي تدخل في البحث، ثم يستمر حسب فروع شجرة اتخاذ القرار، مجيـــبا على الأسئلة عند كل نقطة اتخاذ قرار وذلك حتى يصل الباحث عند صندوق يحتوى الأسلوب الاحصائي المناسب للموقف.

عاشراً: بعض المحاذير الخاصة باختبار الفرض

يجب ألا يغيب عن ذهن الباحث دائما أن الاستنتاجات الإحصائية تعتمد علـــى الاحـــتمالات أى أنها تؤدي إلى نتائج تقريبية أو تقديرية، وبالتالي فلا

ينبغـــي أن يعـــتمد الـــباحث على الدليل الاحصائي وحده للحكم على صحة الفرض من عدمه، فمثل هذا القرار يعتمد على الأساس الفكري للبحث.

كمـــا أن التقـــبل الاحصائي الواحد للفرض، لا يثبت أنه حقيقي بتأكيد مطلـــق، وكل ما يمكن أن تشير إليه النتائج الإحصائية أن فرضا معينا يجب ألا يرفض، وهذا من شأنه أن يعطي الفرض بعض الثقة والتدعيم.

وأخيـــراً يتبغـــى التنويه أيضا إلى أنه للوصول للاستنتاجات السببية، فـــيجب أن تتوفـــر أدلة أكثر بكثير من مجرد وجود علاقة إحصائية. فربما تكـــون العلاقـــة عرضـــية وليست دائمة وقد تكون العلاقة بين متغيرين هى بسبب متغير ثالث وليس بسبب رباط بينهما.

الحادى عشر: التحليل الاحصائي والحاسب الآلي

تستخدم الحاسبات الآلية بصفة متزايدة في التحليل الاحصائي خصوصا مـــع مراكـــز المعلومات الكبيرة ذات البيانات والأساليب الإحصائية المعقدة، وهـــناك برامج جاهزة للحاسبات المصغرة والحاسبات الكبيرة Main frame ولكن أكثر الأساليب المعروفة لتحليل كمية هائلة من البيانات تتضمن استخدام بـــرامج (Software Package with (Biomedical Computer Programs BMDP وهى غير محدودة بالبحوث الطبية.

ولعل أكثر هذه البرامج الاحصائية اتساعا هو Statistical Package for Social Sciences (SPSS) وهـــو يـــصلح للتحليل الاحصائي وكتابة التقارير والجدولـــة والأغـــراض العامة لإدارة البيانات وهو يزود الباحث بأكثر من أربعـــين إجـــراء إحصائي أساسي، من الجداول البسيطة إلى التحليل المتعلق بالمتغيرات المتعددة، وهو يشمل الرسم الملون وبرامج للحوار يسمح بالتفاعل بين البيانات والمستفيد، وهو يحتوى على ملحق يشرح إعداد بيانات OSIRIS للتحليل بواسطة برنامج SPSS.

ويجـب فـي نهاية الحديث عن الحاسب الآلي، أن نؤكد بأن الحاسب لا يستطيع التفكير وأنه يقوم بعمل ما يريده الباحث حسب التعليمات المفصلة، وقـد ظهـرت باللغـة العربية كتب عديدة عن الحاسب والتحليل الإحصائى ويـشمل العديـد من الفصول المفيدة التي تشرح المفاهيم الإحصائية وكيفية استخدام لغة الفورتران ولغة البيزيك وغيرها.

الفصل العاشر

تأثير الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية

على بحوث الاتصال والإعلام

أولا: تكامل الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية للارتقاء بالبحث والتحليل السياسي والاعلامي:

لقد ارتبطت العلوم الإعلامية بالعلوم السياسية ارتباطاً عضوياً وعلمياً وفكرياً، ففي غياب سياسة وطنية واضحة بالنسبة للقضايا المختلفة، فإن القائم بعمليات الإعلام والاتصال، هو كمن يسبح فوق الماء بدون هدف سوى بقائه على السطح، كما أن الدعاية الناجحة في حاجة إلى هذه السياسة الوطنية كأحد شروطها المسبقة، ويصدق ذلك أيضا على علاقة تأثير متبادل للثورتين السلوكية وما بعد السلوكية على العلوم الاجتماعية بصفة عامة وعلى الإعلام والسياسة بصفة خاصة.

وكل مشتغل بالإعلام وبحوث الاتصال يدرك الدور الأساسي الذي قام به عالم السياسة الشهير هارولد لاسويل في مجال الاتصال، ونحن نذكر أن طريقة تحليل المضمون – وهى أهم الطرق وأكثرها استخداماً في بحوث الاتصال، قد بدأت بإشراف هارولد لاسويل في الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن، ثم أضاف عليها وطورها كثير من علماء السياسية وعلم النفس والاجتماع واللغة. وغيرهم. كما أن بحوث الرأى العام – في رأى كثير من الباحثين – هى بحوث اتصال من الحاكم للمحكوم ومن المحكوم للحاكم، ومن هنا كانت دراسة الرأى العام بصفة أساسية جزءاً من علم السياسة وجزءا من علم الاجتماع أيضا.

ويمكــن الإشـــارة باختــصار إلى كل من الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية، ذلك لأننا يمكن أن نعتبر الاتجاه السلوكي تاريخيا كحركة تمرد أو اعتــراض داخــل العلوم السياسية والإعلامية، فقد ارتبطت دراسات السلوك الــسياسي والاتجــاه الــسلوكي بالعديــد من علماء السياسة الذين كانوا غير راضــين عمــا حققــه علم السياسة التقليدي عن طريق الاتجاهات التاريخية والفلــسفية والوصــفية للمؤســسات، ويذهب العلماء السلوكيون إلى أنه من الممكــن تطوير وتبني مناهج واتجاهات جديدة، تزود علم السياسة بفروض أمبيريقية ونظريات نسقية يمكن اختبارها بطريقة مباشرة تكون أكثر دقة مع إمكانــية الوصــول إلــى مرحلة متقدمة من الملاحظات المحكومة للأحداث الــسياسية والإعلامــية، بل إمكانية الوصول إلى علم للسياسية لا ارتباط له بالقيم Value Free Science.

أما عن الثورة ما بعد السلوكية فهي تمثل عدم الرضا العميق بالبحوث الــسياسية والإعلامية المعاصرة وطرق تعلمها، وهى ثورة أو حركة ليست ضد الثورة السلوكية، ولكنها تؤكد على المشكلات المعاصرة، وعدم العودة بالــبحث السياسي الإعلامى إلى المنهج التقليدي الوصفي أى أنهما يتكاملان من أجل النهوض بالبحوث السياسية والاعلامية.

لقــد دعا دافيد إيستن للثورة السلوكية في أوائل الخمسينيات في كتاب الــنظام الــسياسي The Political Systemثــم هــو يدعو إلى الثورة ما بعد الــسلوكية فــي مقاله "الثورة الجديدة في علم السياسة". وقد أشار إيستن في كــتابه الأخير إلى أن الثورتين لاتتناقضان مع بعضهما ولكنهما تتكاملان في مجــال التحليل السياسي، بل لعل الثورة ما بعد السلوكية أن تعكس الظروف المتغيــرة التي تتطلب التغيير، كما أن هذه الحركة الجديدة تدعو إلى ارتباط الــبحث السياسي بالفعل وبالقرار السياسي فضلاً عن ضرورة ارتباط المنهج بمشاكل المجتمع.

ثانيا: بعض جوانب المقارنة بين الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية:

1. إن تركيـــز اهتمامنا على دراسة المشكلات السياسية الملحة يجب أن يـــسبق اهتمامنا بالأساليب الفنية أو أدوات البحث المعقدة اللازمة لحل تلك المشكلات.

2. إن العلـــم الـــسلوكي يهـــدف إلـــى دراسة ماهو كائن أى أنه يخفي في مـــضمونه الأيديولوجـــى المحافظة الأمبيريقية، ذلك لأننا عندما نحصر أنفسنا في وصف وتحليل الحقائق فإننا بذلك نعوق فهمنا لهذه الحقائق في مـــضمونها العريض الواسع – ونتيجة لذلك فإن علم السياسة الأمبيريقي ســـيؤدي إلى تأييد الحفاظ على الظروف القائمة أى أن الاتجاه السلوكي يحمـــل أيديولوجـــية المحافظة الاجتماعية Social Conservatism وهو يخطو لذلك نحو التغيير بخطوات متواضعة بطيئة.

3. يفقد البحث السلوكي ارتباطه بالحقائق الكلية المتكاملة ذلك لأن جوهر التحقـــيق السلوكي هو التجريد والتحليل، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى إخفـــاء بعـــض الواقع السياسي الكيفي المتمثل في وزن وثقل القوي المـــسيطرة. إن مهمـــة الـــثورة ما بعد السلوكية هى تحطيم حواجز الـــصمت التي خلفتها بالضرورة اللغة السلوكية الكمية، وبالتالي فإن الحركة ما بعد السلوكية تحاول أن تصل بعلم السياسة إلى الاحتياجات الفعلية والواقعة للإنسانية في أوقات الأزمات بأبعادها الكيفية والكمية معاً، ولعل ذلك يتضح فى دراستنا بالوحدة الرابعة من هذا الكتاب عن تكامل الاتجاهين الكمى والنوعى فى بحوث علوم الإعلام.

4. إن البحث في مجال القيم بل وتطويرها البناء يعتبر جزءاً أساسياً من الدراســـة الـــسياسية الإعلامية، ذلك لأن أهداف العلم واستخداماته لا يمكـــن أن تكـــون حـــيادية وبعـــيدة عن القيم على الرغم من بعض الادعاءات المعارضة لذلك.

5. هناك مسئولية تقع على كاهل المفكرين والعلماء في كل من ا لسياسة والإعــلام، وهــي وضـــع المعرفة والمعلومات التي يتوصلون إليها موضـــع التنفـيذ، وذلك حتى يشترك هؤلاء العلماء في إعادة صياغة وتشكيل وبناء المجتمع.

ثالثا: نماذج من الدراسات والبحوث التي تبنت الاتجاه السلوكي:

هــناك فــي الإنـــتاج الفكــري السياسي الحديث، العديد من البحوث والدراســـات الـــرامية إلى إنشاء علم للسياسة غير مرتبط "بالقيمة" (Value-Free) ومن أمثلة هذه الدراسات مايلي:-

Rice, Stuart A. Quantitative methods in Politics (1969).

وهــو كـــتاب يعتبـــر الأول من نوعه في استخدام المناهج الإحصائية لدراسة السياسة.

Catlin, George, E.G. The Science and the method of politics .

وقد ذهب كاتلين إلى أنه من الممكن وضع بعض القوانين في السياسة.

UNESCO. Contemporary Political Science in 1950. Truman, David. The Government Process: Political Interests and Public Opinion. (1951).

ولعــل أحــد الأعمـــال التي تعكس طرق التفكير النموذجية للمدرسة السلوكية مؤلف روبرت داهل بعنوان " مقدمة للنظرية الديمقراطية".

Dahl, Robert. A Preface to Democratic Theory. Chicago University Press, 1956.

حــيث تــضمن هذا المؤلف نظريات عديدة عن الديمقراطية في شكل يتلاءم مع المنطق العلمي والتحقيق الأمبيريقي.

ولعل أيلو Eulau (وهو من رواد السلوكية) قد بدأ كذلك بأفكار مماثلة عــن الصياغة الأمبريقية لبعض النظريات السياسية الكلاسيكية. ويشعر أيلو

علــى كــل حــال أن المدرسة السلوكية هى استمرار للمدرسة الكلاسيكية، وليست مجرد رد فعل نقدي لها.

فالــبحوث السياسية بما فيها البحوث الإعلامية كما يراها أيلو – تهتم بدراســة الأشــكال والصور المميزة للسلوك على المستوى الماكروكوزمي للثقافية الكلية، وذلك قبل محاولة اكتشاف الميكروكوزم للسلوك الفردي.

وعلــى ســبيل المــثال، فالسلوك التسلطي، يمكن أن نجده في سلوك الأطفــال وفــي مواقف التعمل المختلفة، وفي المسجد والكنيسة، كما نجد هذا السلوك التسلطي في السياسة الماكروكوزمية Macropolitics أيضا.

وعلــى كــل حــال فالاتجــاه الغالب لدى السلوكيين، هو الافادة من الانجــازات الناجحة السابقة، التي قام بها الفلاسفة السياسيون، بل إن جرعة صــحية مــن فلسفة العلم تعتبر ضرورية للاتجاه السلوكي. ومن الدراسات الهامة التي تعكس هاذ الاتجاه مايلي:-

Kaplan, Abraham. The conduct of Inquiry: Methodology for Behavioral Science. San Franciscon, Chandler Publishing Co., 1964.

Deutsch, Kark W. The Nerves of Government: Methods of Political Communication and Control. New York. The Free: of Press, 1963 (Ch.3).

1. في السلوك الانتخابي ودور ممثلي الشعب :

يمكــن أن نتعــرف علــى السلوك الانتخابي وأهمية منهج المسح في الدراسة التالية:

Lazarsfeld, Paul F., Bernard Berelson and Hazel Gaudet The People's Choice, How the voter makes up his mind in Presidential Campaign.

وقــد نــشرت هذه الدراسة عام 1944 وتناولت انتخابات الرئاسة لعام 1940 في أمريكا، وتلتها الدراسة التي ظهرت تحت عنوان الناخب الأمريكي

The American Voter ونـــشرت عام 1960 وقام بها أنجوس كامبل Angus Campbell ورفاقـــه. وهناك دراسة موسعة لنفس الباحثين ولنفس الموضوع ويمكن الإطلاع عليها في المرجع التالي:

Stability and Change in 1960. A Reinstating Election. American Political Science Review. 55, 1961, 269 – 80.

ولـــيس من المبالغة في شئ أن نؤكد بأن هذه السلسلة من الدراسات قد غيــرت وعمقــت فهمـــنا لسلوك المواطنين في الديمقراطية، وتقرير كيفية اختـــيارهم للمرشـــحين، بـــل تقريـــر رغبتهم في الانتخاب أو الامتناع عن التصويت. وذلك بالنسبة للانتخابات التنافسية.

ودراســـة أيلـــو Eulau التالـــية عـــن الممثلين في المجالس التشريعية للولايات المتحدة الأمريكية تعتبر دراسة معبرة عن هذا الاتجاه السلوكي.

Eulau Heinz et al. The Role of Representative: Some Empirical observations on the Theory of Edmund Burk. Am. Pol. Sci. Review, 53, (Sept, 1959 742 – 56).

وقـــد قـــام أيلو بوضع نماذج عديدة للمجتمع، ومن أمثلة هذه النماذج المـــصفوفة الاجتماعية Social Matrix للعلاقات بين الأشخاص حيث تعتبر الـــوحدة الأمبيـــريقية الأساسية هى دور الفرد. وبحوث الرأى العام يمكن أن نتعرف فيها على صورة مختلفة للأدوار الذاتية للمواطنين، أو المشرعين أو أعضاء الحزب أو الناخبين...الخ.

وفـــي مـــشروع الـــبحث الـــذي قام به أيلو عن الممثلين في المجالس التـــشريعية فقد واجه الممثلين بنماذج الأدوار المعروفة جيدا، لكل من إدموند بيـــرت وروسو. ثم سألهم عن كيفية رؤيتهم لأدوارهم كممثلين. ومن الأدوار الفردية تقدم أيلو في بحثه للتعرف على الجماعات الرأسية Vertical groups ونمـــاذج ولاءات الأفـــراد لهذه الجماعات بالإضافة إلى تأثير هذه الجماعات على أعضائها.

لقد قام أيلو بالدراسة على البعد الرأسي، ثم أتبعها بالدراسة على البعد الأفقي (وهي التي تكون طبقات Layers (المجتمع) والتي تخضع بدورها للبحث الأمبيريقي والدراستان التاليتان تتناولان نفس الموضوع.

Eulau, Heinz. Class and Party in the Eisenhower Years. New York, The Free Press, 1962.

Marvick. Dwaine (ed.). Political Decision Markers. Recruitment and Performance, New York, The Free Press, 1961.

2. المشاركة السياسية:

وهناك مجال آخر اعتمد على النظرة العلمية وأدت الدراسة فيه إلى نتائج موثوق فيها وذات أهمية كبيرة في فهم السياسة. وهذا المجال العام هو المشاركة السياسية Political Participation ويمكن أن نشير إلى بعض الأسئلة التي طرحها روبرت لين في دراسته عن الحياة السياسية Robert Lane on Political Life, 1959.

وكانت اجابته عليها تتميز ببعض الثقة التي نطمئن إليها، عندما نقارن معلوماتنا على نفس هذه الأسئلة منذ سنوات قليلة مضت، ومن أمثلة هذه الأسئلة مايلي:-

- من الذين يشتركون في الانتخابات وماذا يفعلون؟
- من الذين يحاولون التأثير على المسئولين في الحكومة، وكيف يفعلون ذلك.
- من الذي يشترك في المناقشات السياسية ومن يتحدث إلى من..؟
- لماذا يكون اشتراك الطبقات الدنيا في العملية الانتخابية أقل من اشتراك الطبقات العليا؟

3. الدراسات التي تهتم بالجوانب النفسية:

وهذه الدراسات تركز على التعرف على الاتجاهات والمعتقدات وفهمها وعلى فهم خصائص الشخصية ومساحة الدراسات في هذا المجال مساحة

واســعة، وقــد قام بهذه الدراسة علماء في السياسة وفي الاجتماع وفي علم الــنفس والإعلام وغيرهم أى أن هذه الدراسات لا تندرج تحت علم السياسة وحده.وفيما يلي أمثلة لهذه الدراسات:

- الشخصية التسلطية Adorno et al. Authoritarian Personality
- جاذبية الشيوعية Almond. The appeals of Communism
- الشيوعية والحريات المدنية Stouffer. Communism, Conformity and Civil Liberties.
- الإنسان السياسي Lipset. Political Man. (Ch. On Working Class Authoritarianism).

وقــد يذهب البعض إلى أن اشتراك علماء من تخصصات متعددة في هذه الدراسات من شأنه أن يهدم الصفات المميزة لعلم السياسة، ولكن آخرين يــرون ذلــك علامة على اهتمام العلماء السلوكيين بتخطي الاختلافات ذات الأصول المهنية.

4. النظم السياسية:

أما بالنسبة لتأثير النظرة العلمية على دراسة النظم السياسية Political Systems فمــا زال ذلــك في مراحله الأولى. ومن أمثلة هذه الدراسات التي تعكــس الاتجــاه الــسلوكي مــا قام به كارل دوتش في دراسته عن القومية والتواصل الاجتماعى.

Deutsch, Karl. Nationalism and Social Communication.

كما أن هناك دراسات هامة في هذا الاتجاه تطبق المناهج المسحية في السياسة المقارنة، وذلك مثل الدراسة التي قام بها جبرائيل ألموند عن التنشئة الاجتماعية السياسية والقيم السياسية في خمس دول وهى:-

Almond, Gabriel and Verba. The Civic Culture. Princeton, Princeton University Press, 1963.

كما يمكن أن نشير إلى نظرية التحليل السياسي في مؤلفات دافيد إيستن Easton.

A Frame work for Political Analysis. Englewood. Cliffs, N.J. Prentice-Hall. 1965.

وإلى جانب أعمال إيستين ودويتش هناك الدراسات التي قام بها ألموند عن الدول النامية

Almond, Gabriel and James Coleman (eds) The Politics of the Developing Areas, (1960).

وفيها تحليل تركيبي وظيفي.

وهــناك علاوة على هذا كله، دراسات اتخاذ القرارات والقوى الداخلية في صنع القرار المحلي مثل الدراسة التالية:

Eahl, Robert Who Governs. Democracy and Power in An American City (1961).

وأخيراً فيمكننا أ، نتعرف على الدراسات التي تنتقد السلوكية فيما يلي:

Crick, I the American Science of Politics. (1959).

Storing, Herbert (ed.) Essays on the Scientific Study of Politics. (1969).

رابعا: البحوث السياسية والاعلامية بين المتابعة العلمية ومشاكل المجتمع:

تــرفض الحــركة ما بعد السلوكية الاهتمام الزائد بالأساليب والطرق الفنــية للــبحث وهــذا ما تنادي به الحركة السلوكية. ومع ذلك فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر الأهمية الحيوية للأساليب الفنية المناسبة، فبدونها يصبح من العــسير بــل مــن المــستحيل – تطوير العلم الأمبيريقي في جميع مجالات المعــرفة. وعلى الرغم مما يبديه بعض المنتمين للحركة ما بعد السلوكية من اعتراض على التجريدات أيضاً.

هذا ويستطيع علم السياسة أن يصل عن طريق التحليل والتعرف على وحدات البحث ودقة القياسات (مادام ذلك ممكنا) إلى المعلومات الموثوق بها عن احتياجات ومشاكل المجتمع.

لقـد دعـا إيستن في مؤلفه "النظام السياسي" إلى الإفادة من النظريات الأمبيـريقية في البحوث السياسية، ولكن هذه البحوث تميل رويدا رويدا إلى أن تكون مجردة وبعيدة في تفصيلاتها عن القضايا العلمية للحياة اليومية.

ومـن هـنا فقـد دعا إيستن إلى مزيد من الاهتمام بربط هذه البحوث بأزمات العصر.

وهـنا يبـرز سؤال أساسي وهو: هل يمكن أن يكون البحث السياسي الأساسـي مرتبطاً بالمتابعة العلمية المجردة ومرتبطاً في ذات الوقت بمشاكل المجتمع وأزماته؟.

إن الإجابة على هذا السؤال عسيرة ومعقدة. والطريق مازال طويلا في محاولتـنا الوصـول إلـى نظرية عامة General Theory تشرح لنا السؤال المطروح، وكل ما لدينا في النظرية السياسية هو الخطوات الأولى الصغيرة فـي طـريق بناء النظرية، وما قام به العلماء السلوكيون من وضع النماذج والـبدائل مـن وضـع الـنماذج والبدائل الخاصة بالتخيل السياسي (النظم Systems الوظائـف Functions الـثقافة Culture الألعاب Games، المحاكاة Simulation، الـنماذج الاقتصادية Economic Models ..) . إنما هو محاولة لوضـع الاطار النظري للتحليل السياسي، ومحاولة إيجاد الروابط والعلاقات بـين المتغيرات. ولكننا مازلنا في المراحل البدائية جداً بالنسبة لبناء النظرية وليس هناك نظرية مقبولة من أكبر عدد من العلماء السياسيين. أى أن اختيار المـدخل النظري Theoretical Approach مازال أمراً مفتوحاً للمناقشة وهذا في حد ذاته يعكس ويميز العلم"غير الناضج" :Immature Science .

ومـن هـنا يـصبح من المرغوب فيه تبني المعايير اللازمة لاختيار المـدخل النظـري الـذي يساعدنا على حل المشاكل الاجتماعية التي تواجه

مجتمعـــنا على أن يكون هذا المدخل النظري صحيحاً وكافياً من وجهة النظر العلمية أيضاً.

ويـــرى إيستن في استعراضه للمداخل النظرية في الحياة السياسية أن تحلـــيل النظم Systems Analysis في صياغته العامة يمكن أن يسهل البحث حـــول القـــضايا الاجتماعية العملية وأن طريقة التحليل هذه تفسر لنا النظام السياسي بمدخلاته ومخرجاته، أى بالعناصر والاحتياجات والمتغيرات الداخلة فـــيه وبالنـــتائج والأهـــداف ثـــم برجع الصدى Feedback ويدخل في نطاق الدراســـة في علم السياسة إسهام السلطات التنفيذية والتشريعية والادارية في الوصـــول إلـــى نتائج معينة وعلاقة سلوك هذه السلطات بجماعات المصالح المنظمة وبالرأى العام وبغيرها من العناصر.

وخلاصـــة هـــذا كله أننا يجب أن نبحث عن النظريات الأساسية التي ينطبق عليها معايير الدلالة العلمية ومعايير الفائدة الاجتماعية. ولعل " تحليل الـــنظم" يعتبر أهم تلك المداخل النظرية التي تنطبق عليها المعايير المطلوبة فـــي المستويين العلمي والاجتماعي، وهذا ما كان في ذهن إيستن عندما دعا إلى ربط البحوث الأساسية بمشاكل المجتمع وأزماته المعاصرة.

لقد اعترف إيستن بأن نظرته تحولت بطريقة جذرية بالنسبة لأولويات الاهـــتمام بـــالعلم التطبيقي في مجال العلوم ا لسياسية بل والاجتماعية بصفة عامة على أن يأخذ التطبيق في اعتباره الظروف التاريخية المتغيرة.

وعلـــل إيستن ذلك بأن كتابه النظام السياسي The political system قد أعـــد بعـــد الحـــرب العالمية الثانية مباشرة. وأن المهام التي تواجه المجتمع والعلـــوم الـــسياسية كانت في وقت كتابه المذكور. ولقد اكتسب علم السياسة خـــلال الخمسينيات والستينيات نظريات أمبيريقية ومعارف جديدة تتميز بقدر أكبـــر من الثقة بإتباع الحركة السلوكية. وبالتالي فلم تكن الدعوة لها والدعوة لإتباع المنهج العلمى دعوة في الصحراء.

ولكن نوعية المشاكل التي تواجه عالمنا اليوم تدعونا إلى التركيز على الـــبحث السياسي والاجتماعي والتطبيقي، بما يتطلبه من جهود مباشرة لحل

تلــك المشاكل التي لا تستطيع الانتظار حتى يتم تجميع المعلومات الأساسية الكافية عن طريق البحوث الأساسية.

وهنا ينبغي أن نؤكد على أن حل مشاكل المجتمع بالاهتمام بالدراسات التطبيقــية لا يؤدي إلى اضمحلال العلوم الأساسية، بل على العكس من ذلك فإن الزيادة في البحوث التطبيقية قد استتبعت زيادة في العلوم الأساسية أيضاً ولكن العكس ليس صحيحاً.

هــذا ويــذهب إيــستن إلى أنه ليس هناك ما يدعو إلى اتخاذ الموقف العلمــي المثالــي للسلوكية والذي يؤخر التطبيق انتظارا للمزيد من البحوث الأساســية المستقبلية كما أنه ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أن الثورة السلوكية نفــسها لم تكن مفهومة فهماً صحيحاً من قبل الدارسين لعلم السياسة وما زلنا نصارع في معناها وحدودها، ومع ذلك فنحن في حاجة إلى أن نحول مالدينا مــن معلــومات محــدودة إلــى شــكل يخدم أغراض اتخاذ الفعل السياسي (Political Action).

ولكــن هــناك بعض الصعوبات التي تقف في طريق تطبيق معارفنا. يمكن أن نذكر منها:

1. أن المــشاكل الاجتماعية المعاصرة تسبق وتزيد على مقدرة علم السياسة وحــده أو بالتعاون مع غيره من العلوم الاجتماعية في حلها. فمعلوماتنا الأساسية نفسها مازالت محدودة. وما زال القدر المحدود عاجزاً عن حل القضايا الاجتماعية العلمية بطريقة مباشرة.
2. أن مقدرتــنا علــى إيجاد العلاقات السببية بين مشورتنا وحكمنا كعلماء للــسياسة، والنتائج التي تسفر عنها تلك المشورة في النواحي الاجتماعية مازالــت محدودة، وهناك بعض الجهود التي تحاول تصحيح هذا الوضع للتعرف على وجه أكبر من الدقة – تأثير تدخلنا في العمليات الاجتماعية.
3. أن علم السياسة وحده لا يستطيع تقديم الحلول للمشاكل الاجتماعية. وذلك لأن هــذه الحلــول تــتطلب المعــرفة المتخصصة للعلماء الاجتماعيين

الآخــرين ومهاراتهم، وواقع الأمر يشير إلى أن صناع السياسة نادراً ما يطلبون استشارة الفريق المتكامل للعلماء الاجتماعيين.

هــذه وغيــرها كثيــر من الصعوبات التي تقف حجر عثرة في سبيل تطبــيق معارفنا بالنسبة لمواقف اجتماعية محدودة. ولعل هذه الصعوبات قد أســهمت في الوضع المتدني للعلم التطبيقي، فضلا عن أن البحوث التطبيقية المحدودة لا تستعين في أحيان كثيرة بالعقول العلمية الكبيرة.

خامسا: افتراضات القيمة والتزامات المهنة السياسية الإعلامية:

إن الرســالة التــي تدعــو لها مدرسة ما بعد السلوكية هى أن بحوثنا لا ارتــباط لهــا بالمــشاكل والأزمــات المعاصــرة، كما أن انشغالنا الزائد بالأســاليب الفنية وبوصف الحقائق قد أبعدنا عن ا لقضايا ذات الدلائل الهامة المــتعلقة بالــنظام الديمقراطــي على وجه الخصوص. لقد تعلمنا كثيرا عن الــنظام ولكــن هذا التعليم يدور في نطاق وفي إطار قيم معينة تقبلناها على اعتــبار أنهــا قــيم مرضية وتحتاج فقط إلى تحسينات طفيفة، كما أثبتنا في دراســة الــسياسة أنــنا غير قادرين على البعد عن التزامنا بنظامنا السياسي وترى المدرسة ما بعد السلوكية أن هذا الخلل البحثي myopia قد أعاقنا عن وضــع الأسئلة الصحيحة اللازمة لاكتشاف القوى الأساسية التي تشكل صنع صياغة وتنفيذ قرارات السلطة.

والمدرســة ما بعد السلوكية تنبهنا مرة أخرى إلى ما اكتشفه كثير من المفكــرين مــن قــبل أمثال ماركس وويبر ومانهايم وغيرهم من أن جميع الــبحوث –ســواء كانــت بحتة أو تطبيقية– تركز بالضرورة على بعض الافتراضات القيمية، إلا أنه من العسير أن نصل إلى علم اجتماعي وسلوكي متحــرر مــن القيمة ذلك لأن الموضوعات التي نختارها للبحث والمتغيرات التــي نخــضعها للتحقيق والبيانات التي نجمعها والتفسيرات التي نخرج بها، هذه كلها ليست نقية بل هى تختلط بالافتراضات القيمية التي نؤمن بها بوعي أو بدون وعي.

هـذا وتـشير الإحـصائيات الدقـيقة عن مجالات البحوث السياسية والإعلامـية إلـى قلة البحوث التي تتصل بالأزمات المعاصرة التي تواجهها مجتمعاتـنا كمشاكل التحضر والصراعات العرقية والفقر والعنف ومغامرات الـسياسة الخارجـية وعـدم اسـتطاعة الديمقراطيات الغربية استيعاب هذه الأزمات وتوقعها والتعبير عن المطالب السياسية ومشاكل توزيع القوى داخل الـنظام الديمقراطي من أجل اتخاذ الإجراءات اللازمة لتجنب العنف كوسيلة للتعبيـر. وأخيـرا فـإن الدراسـات الـسياسية الحديثة التي تتصل بالتنشئة الاجتماعـية السياسية قد حاولت اكتشاف إسهام التعليم السياسي للأطفال في اسـتقرار النظم السياسية وتجاهلت الوظيفة الهامة للتنشئة الاجتماعية المتعلقة بالتغيير السياسي.

ويمكـن أن نـشير أخيـراً إلـى أن الوضع الحالي للبحوث الأساسية الـسياسية إنمـا يعود في بعض أسبابه إلى تردد العلماء السياسيين في تناول القـضايا والموضوعات الحساسة ومناقشة الافتراضات القيمية التي يؤمن بها غالبية المجتمع والخروج من ذلك بتفسيرات ونتائج قد لا ترضي الأغلبية أو النظام الحاكم.

وإذا كـان عـزوف العلماء السياسيين وتردده في تناول المشاكل التي تمـس مـشاعر المجـتمع أو الـنظام حقيقة؟ فما هي وسيلتنا لتحطيم القيود المفروضـة على البحوث الأساسية نفسها والمحصورة ضمن إطار معين من القـيم وكـيف نـستطيع أن نخلق الظروف التي تساعدنا على طرح الأسئلة الأساسية المتعلقة بكيفية عمل النظم السياسية.

إن مجرد وعينا بهذا النقص لا يحل المشكلة، ذلك لأننا في حاجة ماسة إلـى إعادة النظر في اتجاهاتنا البحثية نحو نظرية القيمة بنفس الحماس وفي ذات الوقت الذي نقوم فيه ببناء النظرية الأمبيريقية، وإذا كان علم السياسة قد قطـع شوطاً لا بأس به في النظرية فما زال في بدايته بالنسبة للبناء الخلاق للبدائل السياسية في مجال القيمة، نحن في حاجة إلى التنظير التأملي الشجاع القـادر علـى الإضـافة إلى -وليس رفض- النتائج التي توصل إليها العلم

الــسلوكي المعاصر، أى أن نكون مستعدين لاستخدام هذه النتائج التي توصل إليها العلم السلوكي المعاصر، أى أن نكون مستعدين لاستخدام هذه النتائج في الحياة السياسية على ضوء الإطارات القيمية البديلة.

لقــد فــشل فلاسفتنا وعلماؤنا في إعادة بناء أطر القيمة بحيث تتفق مع الظــروف المعاصرة وبحيث يمكن اختيار هذه القيم مع أشكال جديدة من النظم الــسياسية، وذلــك لأن هذه النظم ينبغي أن تستجيب بطريقة أفضل لمتطلبات مجتمعــنا السيرناطيقي الصناعي المعرفى ولعلنا بهذه الخطوة الجديدة سنتحرر مــن الغــشاوة المهنية Occupational myopia التي تركز انتباهنا الزائد نحو التعــرف علــى الحقائق كما هى، لا كما ينبغي أن تكون، أى أننا في الاتجاه الجديد سوف لا نقع في حفرة المحافظة الأمبيريقية Empirical Conservatism.

وســوف لا يلتزم الاتجاه الجديد بالحفاظ على نظام سياسي معين وهو الاتهــام الذي توجهه مدرسة ما بعد السلوكية إلى الاتجاهات البحثية الأخرى وهو اتهام لا يخلو من الصحة والعدالة من غير شك.

أما بالنسبة لالتزامات المهنة السياسية الإعلامية فهناك ملاحظة بالنسبة لعلمــاء السياسة الذين يعملون كمستشارين للحكومة، إذ يعمد هؤلاء لارضاء الاتجاهات الحاكمة والفوقية. والتطورات الاجتماعية والتكنولوجية والمعرفية الخطيــرة التي تبلورت في السبعينيات وما بعدها تفرض على علماء السياسة التــزاماً جديــداً يتمــثل فــي الاشــتراك الفعلي والايجابي والنقدي للسياسة المعاصرة بدلاً من الوقوف موقف المتفرج أو الناصح من بعيد.

وإذا كانــت الحركة السلوكية قد أدت إلى انفصام بين المعرفة السياسية والفعل السياسي، فإن المدرسة ما بعد السلوكية تدعو إلى إزالة الفواصل بين الــبحوث البحثية والخدمة الفعلية في المجتمع، وأصول ما بعد السلوكية إذن تعود إلى الفلسفة اليونانية التقليدية وإلى كارل ماركس وإلى جون ديوى وإلى الوجودية الحديثة Modern Existentialism.

وهــناك بعــض المعايير التي يمكن أن يتبناها الباحثون الذين يؤمنون بالمدرســة ما بعد السلوكية وأهم هذه المعايير اعتبار المفكر السياسي حارساً

للقـيم الإنسانية الرفيعة والتحقق من أن الباحث السياسي يفيد بخبرته المجتمع كلـه ولـيس الجزء المحظوظ فيه، أى أن التزامات الباحث تتصل بالمصالح العريضة للمجتمع كله.

لقـد رأى كثيـر من الباحثين ممن يؤمنون بالمدرسة ما بعد السلوكية وبعـد تمحيصهم لنشاطات ا لعلماء في السنوات الأخيرة أن مهارات العلماء الـسياسيين وكـتاباتهم قد وضعت إلى حد كبير في خدمة صفوة المجتمع في الحكومة والمصالح التجارية أو العسكرية أو المنظمات الأخرى. أما الأقليات العـرقية أو الكثـرة الفقيرة في الداخل، أو الشعوب المستعمرة في الخارج. هـؤلاء لا يهـتم بهـم علمـاء السياسة في الغرب، ومسئولية علم السياسة الاجتماعي هى تصحيح هذا الوضع، ذلك لأن الإصلاح أصبح لا ينفصل عن المعرفة. ومن الواجب تسييس المهنة. حتى يستخدم المهني السياسي معلوماته مـن أجل المجتمع. والأمر ينطبق كذلك على المجتمعات المهنية التي ينبغي أن تـتخذ مواقـف واضـحة بالنـسبة للمسائل العامة. وإن كان ذلك قد لقي معارضة كبيرة.

ويقتـرح إيـستن إنشاء اتحاد للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية، وعلى ألا يكـون هـذا الاتحاد مجرد صدى للأهداف الوطنية أو أداة للسياسة الرسمية الحكومـية. وعلى أن يلتزم العلماء الاجتماعيون داخل هذا الاتحاد بأعرض وأوسع القيم الإنسانية التي لا ترتبط بوطن معين.

وأخيراً فمن الواضح أن الزمن المتغير يتطلب منا إعادة التفكير الجذري فـيما نحـن فـيه، ومـا نـريد أن نكون عليه سواء في دراستنا وفي مهنتنا. والمدرسة ما بعد السلوكية هى اتجاه يكشف عن الجهد الرئيسي نحو تحقيق هذا الهـدف وهـى لذلك ليست محصورة في قطاع معين أو جامعة معينة أو في أيديولوجـية سياسية معينة. إنها تؤيد وتوسع المناهج والأساليب السلوكية وذلك بـأن تجعـل تطبيقاتها أكثر اتصالا بمشاكل العصر وأزماته. وهى بذلك تعتبر أكثـر الحـركات حداثة وإسهاماً في مجال العلوم السياسية وبالتالي فهي ليست تهديـداً أو خطـراً نخـشاه. ويمكن لنا أن نبني على هذه الحركة أو نعدلها أو

نرفـضها. ولكن إهمالها يعتبر أمراً مستحيلاً. فهي حركة تتحدى مناهج بحوثنا المعاصرة التي لا تتصل بأزمات العصر ومشاكل الملايين.

سادسا: الثورة ما بعد السلوكية والعلاقات الدولية والإعلام الدولي:

يمكـن فـي عبارة موجزة أن نصف هذا الاتجاه ما بعد السلوكي بأنه محاولة لمزج التركيز السلوكي الخاص بالنظرية والمنهج، بالاهتمام التقليدي بالتحليل وحل مشاكل السياسة الدولية المعاصرة.

هذا وهناك اتفاق بين المشتغلين بالبحوث والدراسات في مجال العلاقات الدولـية علـى تحـول جانب كبير منها نحو الاتجاه السلوكي، وذلك على يد ريتـشارد سنايدر Richard Snyder ومورتون كابلان Morton Kaplan وكارل دوتـش Karl Deutsch وغيرهم. وعلى الرغم من أنه ليس هناك دلائل تشير إلـى تغييـر فـي هذا الاتجاه، إلا أن هناك دلائل على عدم الرضا بالسلوكية، ولعـل ذلك يرجع على الأقل إلى هجوم هدلي بول Hadley Bull الشهير ضد السلوكية في عام 1966.

وإذا كانـت المدرسـة مـا بعـد السلوكية تنظر إلى المستقبل لا إلى الماضـي، فـإن كتابات كل من فرويد وارنر نيل وبروس هاملت يمكن أن تكون في الاتجاه ما بعد السلوكي ذلك لأن كلا منهما قد دعا إلى ارتباط أكبر -فـي مجـال الدراسـات الدولية- بالمشاكل الحقيقية والأزمات الفعلية ذات المحور الانساني بدلاً من الانشغال الزائد بالنظرية وبالمنهج وبتجميع البيانات كهـدف فـي حـد ذاته، وقد اقترحا موضوعات تتصل بالتعاون بين الدول الأعظـم والـدول النامـية وديناميكـية الـتعايش بين النظم السياسية ذات الأيديولوجيات المختلفة.

وظهـر بذلك اتجاه لانهاء ما تدعو إليه السلوكية من فصل بين البحث النظـري والأمبيريقـي، وذلك لأن علم العلاقات الدولية يتطلب تعزيز تأثير النظـرية التـي يـتم اختيارها بالأسلوب الأمبيريقي، كما أن تحليل البيانات والمعلومات يجب أن يوجه بواسطة الافتراضات النظرية أيضاً.

وهـــناك جانـــب آخر من العلماء السلوكيين في مجال الدراسات الدولية ممن اعترفوا بالحاجة إلى هضم وتقييم المنجزات العلمية التي تمت في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مثل العالم السلوكي بورس روزت Bruce, Russett ذلـــك لأن هـــناك بيانات ومعلومات كثيرة تجمعت من وراء الاتجاه السلوكي. ولكن أحداً لم يهتم بتحليل تلك المعلومات وعلاقتها بالمشاكل والأزمات الفعلية للإنسان، أو لأن هذه المعلومات لا علاقة لها بالمشاكل الحقيقية المعاصرة.

ولقد عبر بعض الباحثين عن استيائهم من اعتبار المنهجية هدفا في حد ذاتهـــا، وليس مجرد أداة تساعدنا على الفهم الأعمق لمشاكل السياسة الدولية. ومن بين هؤلاء الباحثين نجد ماريون ليفي Levy, Marion الذي أثار الأسئلة التالية في أحد مؤتمرات منهجية البحوث في العلاقات الدولية.

إلـــى أيـــن وصـــلت بـــنا كل مناهجنا المعقدة خلال الأحقاب الأربعة الأخيـــرة؟ مـــا هـــى البـــيانات الجديدة الموثوق بها، والتعميمات التي تشمل المتغيـــرات القليلة التي خرجنا بها؟ هل يستطيع أى واحد منكم أن يذكر أكثر مـــن ثلاثة تعميمات ذات مستوى مرتفع، ترتبط بما أنتجه أى باحث له وزنه في العلاقات الدولية؟

إن بـــناء النظـــرية يـــتقدم باتباع المنهج الاستقرائي الذي يعتمد على البـــيانات الأمبيريقية كما يتم بناء النظرية كذلك باتباع المنهج الاستدلالي عن طريق وضع الفروض المجردة.

ويتساءل رونالد ياليم Ronald Yalem في مقاله سابق الذكر: هل يمكن أن، نـــتوقع تخليقا جديدا على هيئة المنهجية المتعددة Multimethodologism حـــيث تمثل السلوكية النظرية Theoretical Behavioralism الرسالة المضادة الـــناجمة للرســـالة التقلـــيدية Anti-Thesis Of Traditional Thesis وتمـــثل الـــسلوكية الكمـــية أو الايجابـــية التـــناقض المتنافي البارز؟ هل نحن باتجاه الـــتعددية المنهجـــية تلـــك؟ أم نحن نتوقع لمستقبل العلم بروز النظرة ما بعد السلوكية؟ إن المستقبل وحده هو الذي سيجيب على ذلك.

وخلاصـــة هذا كله أن هناك اتجاهين رئيسيين الآن: الأول هو الاتجاه ما بعد السلوكي والذي تبناه كل من نيل وهاملت Neels and Hamelt والثاني هــو المنهجـــية المتعددة والتي تبناها كل من هاس وبيكر Haas and Beeker ولا يبتعد هذان الاتجاهان عن بعضهما كل البعد، ذلك لأنه إذا كان الاتجاه ما بعــد السلوكي يهتم بتوقع الأزمات، فلن يستطيع هذا المنهج تحقيق ذلك بدون تجمـــيع المعــــارف والمعلومات الموثوق بها، التي تعتبر الأساس اللازم لهذا الاتجــاه كمـــا أن الاتجـــاه ما بعد السلوكي لا يتضمن إهمال التقدم الذي تم احرازه عن طريق الاتجاه السلوكي، ذلك لأن الاتجاه الجديد يهدف إلى إعادة تحديـــد الأولــويات والتأكيد على أهمية تحليل المشاكل المعاصرة والمستقبلة للـــنظام السياسي الدولي، والاتجاه ما بعد السلوكي بذلك لا يدعو إلى العودة إلـــى الاتجـــاه التقلـــيدي وإنما يمثل الاتجاه ما بعد السلوكي مجرد تحول في التركيـــز الفكري أكثر منه دعوة إلى أيديولوجية منهجية جديدة (انظر أحمد بدر (1975) الثورة السلوكية، أحمد بدر (1998) الثورة ما بعد السلوكية..).

الفصل الحادى عشر

كيف نتجنب الأخطاء الشائعة في البحث

وكيف نكتب التقارير البحثية ونقيمها؟

أولا: تجنب الأخطاء الشائعة في البحث:

هـناك علاقة قوية بين التفكير المنطقي السليم وبين تعميم مشروعات الـبحث، وبالتالي فمن الأهمية بمكان التعرف على الأخطاء التي قد نرتكبها أثناء القيام بالبحث دون أن ننتبه إليها والتي قد تحدث بالمصادفة.

فالـباحث يجب أن يكون أميناً في تقرير نتائجه فذلك هو جزء أساسي مـن الخلـق البحثـي الرصـين، ومن هنا كان من الواجب الالتفات لبعض الأخطاء الشائعة في البحث كما يلي:-

1- الاستشهاد بمصادر ثقة زائفة:

نحن نستخدم مصادر الثقة لتأكيد أو نفي ما نذهب إليه في دراستنا، نظراً لأنـنا نعتبر أن أهل الثقة يتمتعون بالخبرة في مجالات معينة، ولكننا يجب أن نكون متأكدين من أن أهل الثقة هؤلاء، يتحدثون عن الموضوع الذي يتناولونه بـثقة وعلـم وخبـرة فعلـية. فخبراء الطب ليسوا خبراء في التعليم، وخبراء الكيمياء الفيزيائية ليسوا بالضرورة خبراء السياسة والاقتصاد.

2- تجاهل الأدلة المضادة:

قـد يـتحمس الـباحث مرة أخرى للفرض الذي يضعه.. مما يجعله يـتجاهل الأدلة المضادة الهامة.. ويمكن أن يكون لهذا التجاهل ما يبرره في المناقشات السياسية. حيث يكون الهدف هو كسب جولة المناقشة والحوار بأى

ثمــن. ولكن الدراسات العلمية لا تهدف إلى كسب المناظرة والحوار، وإنما تهـدف إلـــى اكتشاف الحقيقة. وعلى ذلك فإن الدليل المضاد يجب أن يعطي نفس وزن الدليل المؤيد. حتى ولو كان معنى ذلك تغيير الفرض المبدئي.

3- عدم الحرص عند إطلاق صفة التعميم

يدلنا مصطلح "التعميم" على صحة ما نقول بالنسبة لجميع الأعضاء في الجماعة، وليس صحيحاً بالنسبة لفئة معينة من الجماعة فقط خصوصاً إذا لم تكــن هــذه الفئة عينة ممثلة للمجتمع الأصلي، ومعروف أنه إذا كانت هناك حالـــة واحــدة مناقــضة فهذا ينفي التعميم، وبالتالي فمن الضروري " تقييد" التعميم بحيث لا تنفي حادثة واحدة مناقضة هذا التعميم.

4- عادة التفكير داخل حدود ثابتة :

لا شـــئ يؤدي بالبحث المثمر إلى الموت أكثر من العادات التي نكونها خلال سنوات تفكيرنا داخل حدود ثابتة. ويبدو أنه كلما تقدم بنا العمر، ازداد تعلقــنا بنفس أساليب الخبرة والتفكير التي تعودنا عليها. وعلى ذلك ففي كل مــرة نفكر فيها في مشكلة معينة، فإننا نميل إلى إتباع نفس السبيل. ويذهب بعض علماء النفس إلى القول بأنه حتى في الأشياء البسيطة كجمع عمود من الأرقــام، فإنـــنا نميل إلى تكرار نفس الخطأ الذي وقعنا فيه من قبل. وعلى الباحث إذن أن يبذل كل جهده حتى يتجنب نماذج التفكير الجامدة. وأن يشجع فـــي ذاتـــه تكوين عادات الأصالة Originality في التفكير. وبالتالي ستجده مـــستعداً للملاءمة مع المواقف الجديدة والنتائج غير المتوقعة والتي تنتج من دراسة معينة وبالتالي الاعتراف بغير المنتظر أو المتوقع.

5- عدم استطاعة الباحث الحصول على جميع الحقائق المتعلقة بالمشكلة:

هــناك بعــض الصعوبات التي قد يواجهها الباحث في الحصول على الحقائــق اللازمـــة لـــتكوين الدلـــيل الكافي، والذي يؤدي بدوره إلى النتائج

السليمة. وكثيرا ما يرتكب الباحثون أخطاء جسيمة عندما يبنون نتائجهم على الدليل المبتور الناقص.

6- تكوين نتائج غير ناضجة:

كثيرا ما يدفع الحماس بعض الباحثين إلى سرعة التعلق بنظرية مثيرة على الرغم من أن هؤلاء الباحثين يدركون أنه ليس هناك دليل كاف لتأييدها. ولو قد تذرعوا بالصبر والعمل فترة أطول في تقصي الحقائق. لا بتعدوا عن الوقـــوع فـــي الخطأ، إن الباحث الدقيق لا يعلن عما في ذهنه إلا بعد اختبار جمـــيع الفـــروض والوصول إلى الدليل الحاسم (هذه قريبة من الخطأ الثالث الخاص "بالتعميم").

7- عدم الدقة في الملاحظة:

كثيراً ما يضطر الباحث إلى إعادة التجارب التي قام بها للتأكد من أن جمـــيع العناصر قد لاحظها ملاحظة صحيحة. وكثيرا ما يهمل الباحث بعض العوامل. ويرى من هذه العوامل فقط ما يحب هو أن يراه.

8- الخطأ في مطابقة أو توفيق علاقات السبب والأثر:

وهـــذا خطر موجود دائماً. وعلى الباحث أن يكون حذراً في صياغته لهـــذه العلاقـــات، ومن الأمثلة التي يتندر بها في هذا المجال. أن أحد الرواة أعلـــن أنه خلال السنوات التي كان النادي العربي الأهلى (فى مصر) يكسب فـــيها بطـــولة كـــرة القدم، كان هناك رخاء ورخص في الأسعار فى مصر، وعلـــى ذلـــك فحتى تصل مصر إلى الرخاء وتقضي على الغلاء فينبغي أن تـــتخذ جمـــيع الـــسبل حتـــى يكسب النادى الأهلى مباريات كرة القدم بصفة مـــستمرة. ولـــسوء الحظ، فإن هناك بالفعل نتائج خطيرة في البحث تترتب على مواقف ليست بعيدة عن هذا المثال الذي نذكره للمزاح.

9- الافتقار إلى الموضوعية:

يجـب أن تكـون الحقيقة والحكمة ضالة الباحث العلمي. والدراسات التـي يقـوم بهـا بعض الباحثين لتأييد معتقدات وأيديولوجيات معينة يكون الـباحث ملتزماً بها من قبل، هذه الدراسات تخدم أغراضاً مشكوكاً فيها من غيـر شـك. لقد كان علماء البيولوجيا في الاتحاد السوفيتي مثلاً (خصوصا علمـاء الـوراثة)، يـؤكدون على نظرية ليسنكو Lysenko المتعلقة بتوارث الـصفات المكتـسبة وذلـك لإرضاء النظام الحاكم، وطبقا لهذه النظرية فإن طبـيعة أى كائن حي يمكن أن تتغير بوسائل صناعية، وأن هذا التغيير يمكن أن ينتقل إلى أبناء وأجيال المستقبل. وهذا الاعتقاد يتفق مع العقيدة الماركسية التـي تنادي بأن الطبيعة الإنسانية تتقرر وتتحدد عن طريق الوسط والمحيط الاجتماعـيSocial Environment . وعلـى الـرغم من أن هناك علماء في الـوراثة لا يؤمنون بهذه النظرية – سواء في الاتحاد السوفيتي أو في البلاد الأخرى – فإن الالتزام بنظرية ليسنكو سيعوق البحث الحر من غير شك.

10- الاقتباس السئ لأفكار الآخرين:

قـد يكـون ذلـك بـسبب السرعة أو الاهمال، أى ضرورة الدقة في الاقتباس من الآخرين، فإهمال أو نسيان كلمة ربما يغير المعنى المقصود في الفقرة المقتبسة.

11- النسبة المئوية المضللة أو الأرقام المضللة:

يجـب أن نعطـي أرقاماً صحيحة absolute حتى يمكن تفسير النسب المـئوية بطريقة صحيحة، مع الحرص على دلالة البيانات الخام. فقد يقتبس أحـد الباحثـين أحـد المسوحات التي ذكرت أن عدد (500) عالم اقتصادي يعتقدون أن التضخم خطر على الاقتصاد. فالرقم يعني كثيرا إذا لم يكن هناك إلا (1000) عـالم اقتصاد في الدولة، ولكن هذا العدد لا يعني كثيرا إذا كان عدد الاقتصاديين 20000 عالم.

12- تحويل الانتباه باستخدام لغة عاطفية أو أدبية:

الـــناس الـــذين يـــشعرون بقوة حيال قضية معينة، يمكن أن يصبحوا عاطفيين جدا في التعبير عنها، واستخدامهم للغة الانفعالية الخطابية قد تعمي الآخرين عنهم.

13- التبسيط المفرط:

عـــندما نتـــناول في دراستنا قضايا معقدة، فنحن نحاول عند التوضيح أحـــيانا التبسيط المفرط للأشياء. وخلاصة هذا كله أننا يمكن أن نرتكب مثل هذه الأخطاء أعلاه خصوصا إذا كنا نتبع عادة التفكير داخل حدود ثابتة، وإذا كنا نؤكد أنه ليس هناك بحث بدون أخطاء، فينبغي أن نشير ونؤكد أيضاً على نقـــاط القوة ونقاط الضعف، كما قد يفسر بعض الناس ما نكتب بطريقة غير سليمة هذا وإذا كنا قادرين عادة على اكتشاف أخطاء الآخرين، فقد يكون من العـــسير أن نـــرى أخطاءنـــا بـــنفس الدرجـــة، نظـــرا لأننا لا نرى أبحاثنا بموضوعية.

14- أخطاء إضافية:

- البيانات العريضة الوصفية الشاملة التي لا يدعمها الدليل أو التوثيق.
- عدم دقة الجمل والبيانات أو الميل لوضع الأفكار بغموض.
- التنظيم والترتيب الضعيف لمواد البحث.
- عـــدم اســـتطاعة الـــباحث التمييز بين المشكلة والهدف من الدراسة بشكل كاف، فالمشكلة تمثل ما تمت دراسته، والهدف يعكس السبب في دراستها.
- اقتباس معلومات من بعض المصادر دون توضيح حدود هذا الاقتباس.
- إدخـــال عناصر أو أفكار أو مفاهيم جديدة في ملخص الدراسة أو نتائجها دون أن يكون الباحث قد تناولها مسبقا في الدراسة.

- كـــتابة الرســـالة في شكلها النهائي، كما فكر الباحث في ذلك من البداية، ولـــيس بناء على ما تمليه النتائج التي توصل إليها، أى أن الباحث يجب أن يعكـــس النـــتائج الموضـــوعية التي وصل إليها حتى ولو كانت على عكس توقعاته.

ثانيا: كتابة تقارير البحوث (IMRD):

ســـيركز الباحث هنا على تركيب IMRD للتقارير البحثية ا لكمية ذلك لأن تقاريـــر الـــبحوث الكمية تتكون تقليديا من أربعة أجزاء وهي: المقدمة Introduction والمنهجية المستخدمة Methodology ثم تقرير Report للنتائج ثم المناقشة Discussion.

أ – المقدمة : Introduction

يجب أن يأتي الوصف الكامل للمشكلة (بما في ذلك أى حدود لها) في الفقرة أو الفقرتين الأوليين من ورقة البحث وليس في العنوان، إلا في حالات نـــادرة جدا. ويجب أن يصف الباحث مشكلته موضوع الدراسة في وضوح واكتمال. حتى لا يكون هناك أى لبس فيما يتعلق بالموضوع المحدد للدراسة، وفيما يتعلق بالسؤال الذي تحاول الدراسة الاجابة عليه.

ويمكن أن نقول إذن بأن افتتاحية كل تقرير علمي يجب أن تحتوى على إيـــضاح دقـــيق للمشكلة موضع الدراسة، على أن يتلو ذلك مباشرة بيان بالحل الذي توصل إليه الباحث. أى الفرض النهائي للباحث (Final Hypothesis) .

أى أنـــنا فـــي هـــذا الجزء نقدم للقارئ مناقشة لخلفية الدراسة، لماذا قام الـــباحث بالدراســـة أو البحث وسبب صلته بالموضوع والباحث يقدم مراجعة للإنـــتاج الفكري المتعلق بالموضوع، ومن المعتاد تقديم بيان بالفرض في هذا الجزء فضلاً عن النظريات والبحوث التي أدت بالباحث إلى أن يضع فرضه،

فالمقدمة تقدم نوعاً من السياق Context للقراء، وتحدد البحث في مساحة عامة من المعرفة، كما تقدم المقدمة للقراء معلومات تساعدهم على فهم التقرير.

ب- المنهجية: Methodology

يتعلق هذا الجزء بتصميم البحث وبالمنهجية المستخدمة في البحث، وهذا الجزء يتميز بالتفصيل والتحديد لسببين أولهما أن يرى القارئ بالضبط ماذا فعلت كباحث وثانيهما الدفاع عن البحث، كما يجب وصف مناهج البحث المستخدمة حتى يمكن للباحثين الآخرين تكرارها أو مناهج قريبة منها خصوصا عندما تكون النتائج متميزة تتحدى البحوث السابقة عن نفس الموضوع، وعلى الجانب الآخر إذا وجد الناس بعض العيوب فى المنهجية فإن النتائج تعتبر لا فائدة منها.

ج- النتائج : Results

إذا كان لديك بيانات رقمية، فمن الأفضل تقديمها في شكل جداول ورسومات حيث يمكن بسهولة معرفة العلاقات والنتائج، وهذا الجزء بطبيعته مختصر، لأنك تشير إلى ما انتهيت إليه.

د- المناقشة :Discussion

الباحث هنا يناقش ما انتهى إليه من نتائج، فضلاً عن الحديث عن أى مشكلات واجهها خلال البحث، بالإضافة إلى وصف أى أشياء غير متوقعة حدثت، كما يفضل مناقشة النتائج مع النتائج التي انتهى إليها باحثون آخرون، وأخيراً خطط الباحث للمستقبل.

هـ- النتائج :

المواد المطروحة في هذا الفصل ترشد الباحث في وضع المفاهيم اللازمة للبحث وفي كتابة النتائج التي يتوصل إليها، وهناك ارتباط بين

التفكير والكتابة، ونوعية كتابتك تعكس نوعية التفكير، كما أن معرفتك بقواعد النحو يعتبر مكونا مفتاحيا لكتاباتك.

إذا أردت أن يقــرأ لــك الناس بجدية، فينبغي أن تكتب كتابة صحيحة خالية من الأخطاء النحوية والتحريرية.

الملخص النهائي:

إن كتابة ملخص نهائي قصير بعد تقديم كل الأدلة واكتمال الحجج أمر مرغوب فيه. ولا ينبغي أن يحتوى هذا الملخص على أى معلومات جديدة بل ينبغــي أن يجمل في شرحه المختصر المحتويات الكلية لورقة البحث. وهذا الــذي يقــوم به الباحث يعتبر كأنه رد على سؤال لأحد زملائه عن المشكلة التــي قام بدراستها والنتائج التي حصل عليها. فهو سيجيب باختصار مركزاً على النقاط الرئيسية.

ويجب أن يكون ممكناً التعرف من هذا الملخص على المحتوى المكثف لهــذه الدراسة، دون تفصيل أو توثيق للأدلة. أما بالنسبة لحجم هذا الملخص فإنه يعتمد على طول ورقة البحث نفسها، وقد يكون هذا الملخص صفحة أو فصلاً كاملاً. ومن المفضل أن يكون قصيراً على قدر المستطاع.

أمــا بالنسبة للتوصيات الخاصة باتخاذ إجراءات معينة. فهذه لا تكون عــادة جــزءا مــن أى دراسة بحثية وبالتالي لا ينبغي أن تكون مشموله في الملخــص. إن وظــيفة الملخص هو بيان حقائق الدراسة خصوصاً المبادئ والحقائــق الجديدة. إن التوصيات التي يذكرها الباحث عن كيفية تطبيقها هى دائما أمر يتعلق برأى الباحث، وعلى هذا الأساس فيجب عمل التوصيات في فــصل منفــصل من ورقة البحث. ولا ينبغي أن نختلط التوصيات بالدراسة ذاتها.

ثالثا: العرض البياني والتصوري لمعلومات البحث:

إن أى معالجـــة كاملـــة لموضـــوع تقـــديم نتائج البحث بصورة بيانية وتوضـــيحية ورسومات، تحتاج إلى كتاب مستقل، والقارئ الذي يسعى وراء المعلـــومات التفصيلية عن هذه الطرق يمكن أن يستشير أى واحد من الكتب التي تركز على الموضوع.

ولا ينبغـــي أن يتردد كاتب تقرير البحث في أن يضمن دراسته بعض الرســـومات والجـــداول والإيـــضاحات. إذا أدت هذه الوسائل إلى تيسير فهم المعلومات والبيانات، وليس لمجرد إثارة اهتمام القارئ.

ولـــيس هناك ما يمنع الباحث من أن يؤجر أحد المختصين في التقديم البياني إذا لم تكن للباحث دراية كافية بهذا النوع من النشاط الفني.

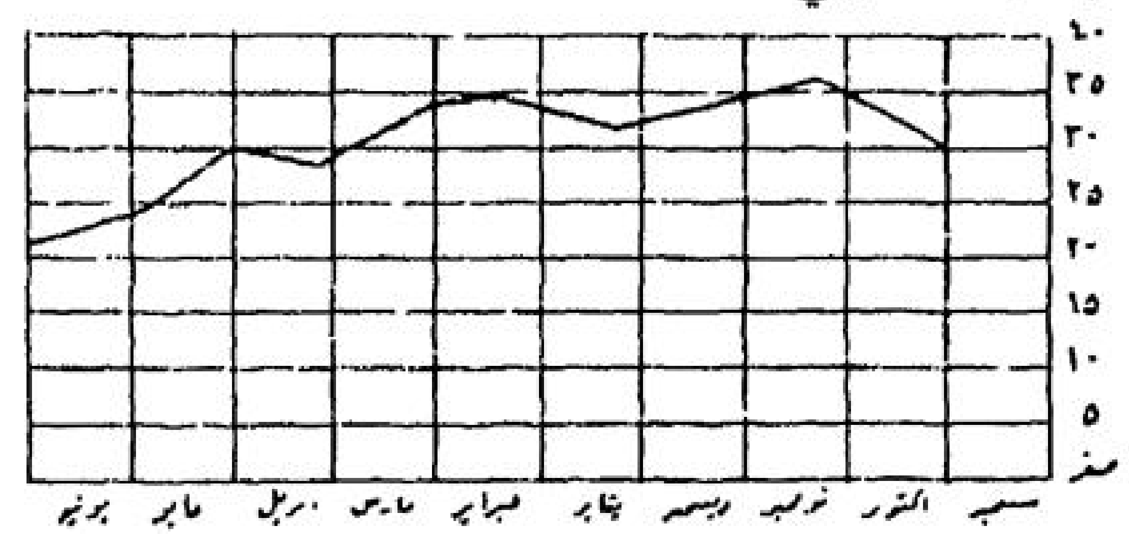
ومن بين الرسوم البيانية Charts البسيطة التي أثبتت فعاليتها في تقديم المعلومات الإحصائية، يمكن أن نشير إلى:-

1. الرسم الخطي Line Graph ويطلق على هذا النوع أيضا المصطلحات التالية:
2. رسم محدود بخطوط مستقيمة Rectilinear Graph
3. رسم قائم الزوايا Rectangular Graph Cartesian Coordinate Graph
4. الرسم المنحني The Curve Chart
5. رسم المستطيلات Bar Chart
6. رسم الدائرة Pie Chart
7. رسم المساحة أو الحجم Area Or Volume Chart
8. رسم تصويري Pictorial Chart
9. رسم تخطيطي (للسلطات والمسئوليات) Flow Chart
10. خرائط Maps

ويمكــن للباحث دراسة هذه الأشكال تفصيليا في مراجع أخرى إضافية ونقتصر هنا على ذكر بعضها بصفة عامة.

1. الرسم الخطي: Line Graph

وهــذا الــشكل يظهر العلاقات بين عاملين، وهو يلائم لتقديم التغيرات التــي تحدث في عامل محدد على مدى فترة طويلة من الزمن. لنفترض مثلا أنــنا نقوم بتقديم بيان خطي عن متوسط حضور الطلاب في قاعة المحاضرة علــى مــدى عدة شهور. فإن هذا الحضور سيتراوح مابين حوالي عشرين طالــبا إلــى حوالي أربعين طالباً خلال الفترة. وبعد تجميع البيانات وحساب متوسط عدد الحاضرين في كل شهر. فإن المعلومات يمكن أن تقدم في رسم خطي بسيط جدا كما يلي:-



مثل للرسم البياني الخطي

وفــي الرسم السابق فإن الخطوط الرأسية تمثل الشهور والخطوط الأفقية تمــثل متوســط عدد الطلاب الحاضرين في قاعة الدرس في مختلف الأوقات. وعــند تقاطــع الخطــوط فإننا نستطيع أن نقرأ متوسط الحضور في أى شهر. والــشكل الكلــي يدلنا بسرعة على التغيرات التي تحدث خلال السنة الدراسة. وهناك طرق كثيرة لتمثيل وتقديم نفس المعلومات. كأن نضع نقاطا مكان التقاطع دون وجود الخطوط، كما يمكن أن يكون المقياس صفر/20/10/... وهكذا.

رسم المستطيلات: Bar Chart

أما رسم القضبان فهو أحد أشكال عرض البيانات . وهذا الشكل يتميز بسرعة فهم القارئ له. وهو يصلح أكثر للمقارنات comparisons.

وغالــبا مـــا ترتب هذه القضبان تبعا للترتيب التنازلي في حجمها. ولو افترضنا مثلا أننا نريد مقارنة المرتبات الشهرية للأساتذة في بلاد مختلفة. فبعد أن نجمـــع هذه المعلومات ثم نحسب المتوسطات في كل بلد. فإن المقارنة تبدو واضحة في الرسم البيانات التالي (والأرقام فيه تمثيلية ولا تعكس الواقع).

صفر 250 500 750 1000 1250 1500 1750 2000

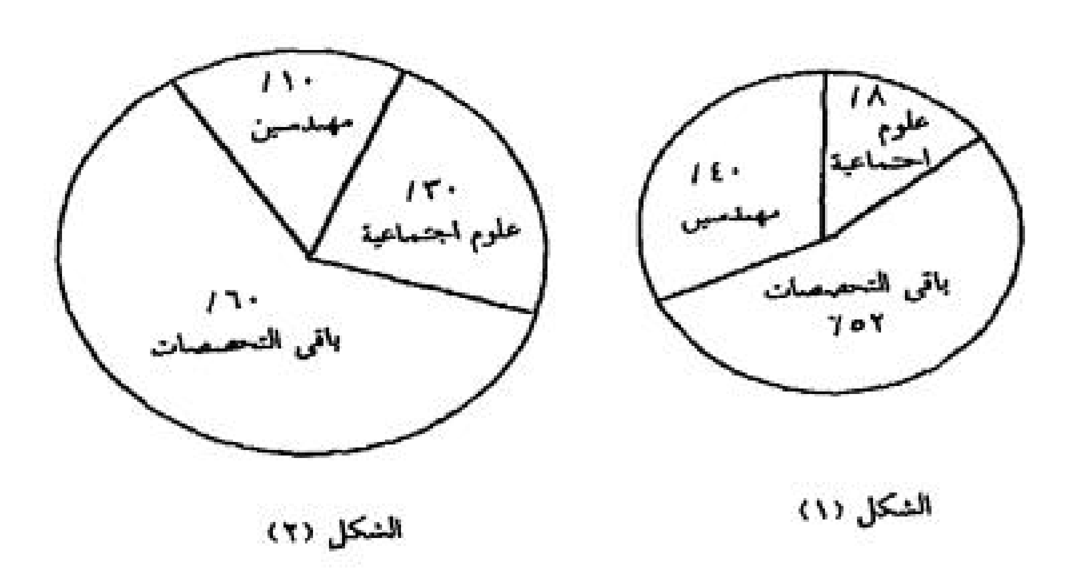
البلد	المرتب
الولايات المتحدة	1900 دولار
الكويت	1800 دولار
ألمانيا الغربية	1600 دولار
ليبيا	1400 دولار
العراق	850 دولار

وعندما تكون المستطيلات في الرسم السابق عمودية (وليست أفقية كما هـــو أعلاه) فإن هذا الشكل يعرف باسم رسم الأعمدة column chart . ولكن المبادئ نفسها تنطبق على الاثنين.

رسم الدائرة: Pie Chart

يعتبـــر هذا الرسم ذا أهمية خاصة عندما يريد الباحث إظهار أجزاء أو أقـــسام مـــن الحجـــم الكلـــي، فـــي دراسة لحجم الخريجين (وعلى الأخص المهندســـين وخريجـــي العلوم الاجتماعية) في بلدين مثلا، فإن الباحث يجمع الأعـــداد الكلية في كل فرع من الفروع العامة ثم يحسب النسبة المئوية لكل

تخـصص وبالتالـي يقـارن هؤلاء مع الخريجين وتخصصاتهم في الدولة المنافسة. وذلك كما يلي:-



الشكل (١)

الشكل (٢)

أشكال أخرى:

وإلـى جانـب الأشـكال السابقة، هناك أشكال توضيحية كثيرة لتقديم البـيانات. وعلـى الـباحث أن يـتدرب عليها، خصوصا بالنسبة للخرائط (للعلاقـات الجغرافية) وغيرها من الرسومات البيانية والأشكال الهندسية أو الرياضية مثل خريطة التدفق flow chart (الذي يتتبع المسئوليات والسلطات والمؤسسة مثلا) أو الصور البسيطة التي تجعل القارئ يفهم الرموز والمعاني على وجه السرعة.

رابعا: الهيكل العام لتقرير البحث وكيفية تقييمه:

تقديـم:

كتابة التقرير هو الخطوة الرئيسية النهائية بعد القيام بالبحث، والتقارير المكتوبة جيدا تستطيع أن تنقل الإجراءات والنتائج الخاصة بالدراسة لكل من الباحثين والمهنيين الممارسين في مجال علوم الإعلام. كما أن الكتابة السيئة لهذا التقرير قد تؤدي إلى اغفال الدراسة القيمة التي استهلكت الكثير من جهد وفكر ووقت الباحث.

ويجب الإشارة في هذا التقرير إلى أن هناك بعض التشابه العام بين مقترح البحث Proposal وتقرير البحث Report، ولكن مقترح البحث هو مجرد السمات الرئيسية Profiles أو الرسم التخطيطي Blueprint للمشروع البحثي المتوقع، بينما يعتبر تقرير البحث هو الوصف التفصيلي للبحث في صورته النهائية.

هذا وتقرير البحث، سواء كان على هيئة وثيقة أو رسالة غير منشورة أو مخطوط لمقالة علمية – في شكلها المطبوع أو الالكتروني – فهو يشكل أداة هامة لبث نتائج البحث. وينبغي ألا يعتبر الباحث أن واجبه قد انتهى، إلا بعد أن يوفر هذه النتائج للجمهور المستفيد منها وبالشكل المناسب أيضا على أن يكون هدف هذا التقرير إحاطة القارئ بالمشكلة البحثية وشرح دلالتها، مع تقديم البيانات بطريقة كافية، وعلى أن تدعم البيانات التفسيرات والنتائج الموجودة بالتقرير.

الهيكل العام لتقرير البحث:

هناك اختلافات في تفاصيل وترتيب هذا الهيكل بين الجامعات والهيئات المختلفة، وقد يتضمن التقرير جميع التفاصيل الواردة فيما يلي وقد يغفل بعضها أو يضيف عليها.

أ- الأجزاء التمهيدية:

- **المستخلص:** وهو ملخص مختصر يعيد صياغة المشكلة والإجراءات التي اتبعها الباحث والنتائج الرئيسية التي وصل إليها. وهي تحتوي على حوالي مائتي كلمة أو أقل. والمستخلص يعتبر جزءا اختيارا، إلا إذا كان الشكل العام بالجامعة أو الهيئة يستدعي ذلك.
- **العنوان:** وهو في الواقع جزء من المستخلص، ويجب أن يعكس العنوان – في طول مناسب – الدراسة البحثية.

- **الشكر:** وهذا الجزء اختياري أيضا.
- **قائمة المحتويات:** وهذه ذات أهمية كبرى خصوصا إذا كان التقرير طويلا نسبيا.
- قائمة الجداول(إذا وجدت).
- قائمة الأشكال (الرسوم البيانية.. الخ).

ب- النص:

المقدمة والمشكلة

- وتشمل مختصرا لهدف أو أهداف الدراسة واعادة لصياغة المشكلة ومراجعة للوثائق الأساسية المتعلقة بالمشكلة فضلا عن تحديد المشكلات الفرعية إذا وجدت وكذلك التعريف بحدود المشكلة والتعاريف الخاصة بالمصطلحات الرئيسية والمختصرات، فضلا عن التعريف بالحاجة إلى الدراسة وأهميتها وفكرة عن كيفية تنظيم التقرير.

٭ مراجعة الإنتاج الفكري:

وهذه المراجعة تعتبر الأساس الفكري للفرض الذي سيأتي بعد ذلك، وقد تتطرق أيضا للمجالات الموضوعية القريبة من مشكلة البحث.

٭ الإطار الفكري للدراسة:

ويفضل بعض الباحثين أن يكون هذا الجزء سابقا لمراجعة الإنتاج الفكري وأن يكون هذا الإطار شاملاً للتقديم ومشكلة البحث. والاطار يتضمن الفروض والافتراضات (وهي التي تدعم منطقية الفرض) فضلا عن التعريفات الاجرائية للمفاهيم الهامة.

★ **تصميم الدراسة:**

وهـــذا التصميم يشمل ماذا تم عمله وكيف تم كما يشمل مجتمع البحث والعيـــنة إذا وجـــدت كمـــا يشمل مصادر البيانات المتعلقة وأساليب وأدوات تجميع البيانات فضلا عن أسالب تحليلها.

★ **التحليل:**

ويتـــضمن هـــذا التحلـــيل، كيفية التعبير عن بيانات البحث بالاحصاء الوصـــفي أو الاحـــصاء الاستدلالي (باختبار الفرض) بالإضافة إلى تلخيص لهذه البيانات.

❖ **النتائج والتوصيات:**

وتشمل ملخصا للدراسة مع تفسيرات البحث ونتائجه وبيان الصعوبات التي وجدها والتي تصدر النتائج في حدودها ثم التوصيات الخاصة بمزيد من البحوث المستقبلية.

❖ **المراجع:**

وهـــذه هى قائمة الاستشهادات أو الحواشي Footnotes وذلك في حالة عدم تواجدها في الأماكن المناسبة بالنص.

★ **الببليوجرافيا:**

وهـــى قائمة بالدراسات الأساسية والمواد ذات العلاقة الكبيرة بالبحث، كمـــا تتـــضمن هـــذه القائمة أيضا المراجع الخاصة بالدراسة (في حالة عدم ذكرها مستقلة).

❖ **الملاحق:**

وهـــو يـــشمل المـــواد الإضافية والتي لا تعتبر ضرورية لفهم النص الأصلي للبحث.

★ **تقييم البحث أو الرسالة**

يعتبـــر تقييم البحث تدريبا للطالب الباحث، وعادة ما يتم هذا التقييم في نهاية الدراسة، أى بعد أن يكون الطالب قد فرغ منها.

وينبغي على طالب أو باحث الإعلام الذي أصبح بحكم دراسته وخبرته مهنياً، قادراً على الحكم على الإنتاج الفكري في مجاله، وإن كان الملاحظ أن الممارسين لمهنة الإعلام، ليسوا جميعاً مؤهلين للقيام بالبحث العلمي، كما أن عدداً لا بأس به من القادرين على البحث العلمي غير مهتمين بذلك.

وعلـــى كل حال فالقائمة التالية والأخطاء الاضافية التي جاءت بعدها، هـــى مجـــرد أســـئلة وبـــيانات تقييمية تعكس معايير شائعة، في مجال تقييم مشروعات البحوث المكتملة:

أ- العنوان والشكل العام:

- هل طول العنوان مناسب وهل هو واضح ودقيق؟
- هل يعكس العنوان المحتوى الموضوعي للدراسة وليس أكثر من ذلك؟
- هـــل الرسالة مكتوبة بطريقة أمينة، وتعكس الحقائق وخالية من الأخطاء اللغوية والمطبعية والتحريرية؟

ب – المشكلة والفروض:

- هل المشكلة مصاغة بطريقة واضحة؟
- هل حدود المشكلة مبينة؟ Delimitation
- هل استطاع الباحث أن يبرز دلالة المشكلة وأهميتها.
- هل المشكلة موضوعة بطريقة تصلح للحل؟
- هل وضع الباحث أسئلة محددة، وهل الفرض واضح؟

- هل الافتراضات Assumptions واضحة ومقبولة؟
- هل المصطلحات الهامة تم تعريفها إجرائيا؟
- هل الصعوبات التي واجهها الباحث مبينة؟ Limitations

ج- مراجعة الإنتاج الفكري:

- هل غطى الباحث الإنتاج الفكري السابق بدرجة كافية؟
- هل النتائج الهامة في المجال مذكورة؟
- هل هناك علاقة بين الدراسة المقترحة والدراسات المشابهة السابقة؟
- هل هذا الإنتاج مرتب ومنظم بطريقة منطقية؟
- هل هناك ملخصاً معبراً؟

د- الإجراءات والمناهج المتبعة:

- هل تصميم البحث موصوف بالتفصيل؟
- هل المنهج المستخدم يلائم المشكلة التي يقوم الباحث بدراستها؟
- إذا كانـــت إجراءات المعاينة، قد استخدمت، فهل هى مشروحة بوضوح في تقرير البحث؟
- إذا كانـــت الباحث قد أفاد بأنه اختار عينة عشوائية مثلا، فهل العينة فعلا مختارة بحيث يكون لكل عضو في المجتمع فرصة متساوية مع الآخرين للاختيار؟
- ماهى المتغيرات ا لمتابعة والمستقلة للبحث؟
- هل أدوات تجميع البيانات ملائمة؟
- هل مقاييس الصحة Validity والثبات Reliability موجودة؟

- ماهـــي الأســاليب (الإحصائية وغيرها..) المستخدمة في تحليل البيانات الكيفية والكمية ؟ وهل هى مناسبة للبحث؟

هـ- تحليل البيانات:

- هل استخدمت الرسوم والجداول بطريقة سليمة لعرض البيانات المتعلقة؟
- هل المناقشة النصية واضحة ودقيقة.
- هل تحليل علامات البيانات منطقي؟
- هل التحليل الاحصائي مفسر بدقة؟

و- الملخص والنتائج:

- ماهـــى نتائج البحث؟ وهل تجيب الدراسة على السؤال البحثي المطروح فيها؟ أى هل النتائج مقدمة بوضوح؟
- هل يمكن تعميم نتائج البحث على مجتمع أوسع؟
- هل يمكن أن تندمج نتائج البحث مع نظرية موجودة؟
- هل أوصى الباحث في نهاية دراسته بدراسات مستقبلية؟
- هل النتائج مرتبطة منطقياً بالبيانات التي تم تحليلها؟

الفصل الثانى عشر

التوثيق ومصادر المعلومات في علوم الإعلام

أولاً: أهمية توثيق بحوث الاتصال والإطار الشبكي :

تمـثل عملـية تنـسيق الجهود البحثية ونشر نتائج البحوث في مجال الاتصال وغيره من المجالات المتخصصة الأخرى، مشكلة حادة على مختلف المستويات الوطنية والإقليمية والدولية. وقد أشار محمد حمدي في كتابه عن الإعلام والمعلومات (1995) إلى أن جهود علماء الاتصال قد تضافرت بدافع مـن معانـاتهم وإحـساسهم بـتفاقم المشكلة، مع جهود علماء المعلومات – بمقتضى مسئوليتهم ودورهم في الوفاء باحتياجات الباحثين – من أجل إرساء قـنوات فعالة لتدفق المعلومات حول الإنتاج البحثي في مجال الاتصال بشكل علمي ميسر، وبالتالي تحقيق أقصى إفادة ممكنة منه.

وقـد سـاهمت عـدة منظمات دولية وإقليمية في تهيئة الأطر اللازمة وتوفيـر الامكانـات المطلـوبة للـتغلب على تلك المشكلة، ومن أبرز تلك المنظمات: اليونسكو، وجامعة الدول العربية ومنظماتها المتخصصة.

وتمـثلت الـصيغة الملائمـة لاحتواء المشكلة في إنشاء شبكة عالمية لمراكـز التوثـيق في مجال الاتصال. وذلك باعتبار أن الإطار الشبكي يعد الـنمط الأمـثل لتحقيق أكبر قدر من التعاون والتنسيق بين المراكز المعنية بتوثيق بحوث الاتصال، ولتوفير خدمات المعلومات على مختلف المستويات الوطنية والاقليمية والدولية.

أما بالنسبة لتوثيق بحوث الاعلام على المستوى العربي:

فقد تبلور الاهتمام بتوثيق البحوث الاعلامية على المستوى العربي من خلال مشروعين أساسيين برز التفكير في إنشائهما في منتصف السبعينيات:

الأول: المركز العربي الاقليمي لبحوث الاعلام والتوثيق.

الثاني: المركز الاقليمي للتوثيق الاعلامي لدول الخليج.

وقــد تمت دراسة الجدوى لكلا المشروعين، بمساعدة منظمة اليونسكو الدولية، وجاء التفكير في هذين المشروعين كنتاج لاجتماعات وتوصيات عدة مــنظمات عــربية إقليمية من بينها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، واتحــاد إذاعات الدول العربية وغيرها، وكذلك اجتماعات وقرارات وزراء إعلام دول الخليج فضلا عن مساندة منظمة اليونسكو.

1/1: بين المصادر الأولية والثانوية:

تدلــنا المــصادر الأولــية على الملاحظات الأصلية First-hand عن البحث، وعلى سبيل المثال فأنت تمسح جماعة معينة من الناس في موضوع محدد وبالتالي ترى أى البيانات –الأصيلة– تكشفها عنهم ربما لأول مرة من الميدان، أما البحوث الثانوية فهي تستخدم بحوث الآخرين للوصول إلى بعض النــتائج عــن موضــوع جديــد أو علــى الأقل بعض البدائل والاختيارات Alternatives or Choices أى أنــنا فــى البحث الأولى نقوم بالبحث الفعلى وفــي الــبحث الثانوي نحن نستخدم بحوث الآخرين، وعادة ما يؤدي البحث الجيد إلى دراسات أولية وثانوية.

وقد جاء في دراسة الباحث بيرجر (Berger, A.A, 2000: P.24) تحديدا لبعض الفروق بين البحوث الأولية والثانوية كما يلي:-

يــضم الــبحث الأولي دراسة الموضوع من خلال الملاحظة الأصيلة للبحث، First hand وذلك مثل تحليل النص التاريخي أو الأدبي، ومثل القيام بالمــسح (دون مسخ أو تلفيق النتائج أو طريقة الحصول عليها) ومثل القيام بالتجربة المعملية. كما تشمل المصادر الأولوية البيانات الإحصائية والوثائق التاريخــية والأعمــال الأدبــية والفنــية. أما البحث الثانوي فيتضمن فحص الدراسات التي قام بها باحثون آخرون في مجال موضوعي معين، ومن أمثلة

الـــبحوث الثانوية الكتب والمقالات عن القضايا السياسية والأحداث التاريخية والمناقشات العلمية والأعمال الأدبية.

والباحـــثون يستخدمون عادة قدراً كبيراً من البحث الثانوي في أوراق بحـــوثهم ومشروعاتهم البحثية. أى أنهم يستخدمون أفكار ونتائج غيرهم من الباحثين، وفي واقع الأمر فما يتم في مثل هذه الأوراق البحثية هو الاستشهاد بمـــصادر الـــثقة Authority أى الاستشهاد باقتباسات من "الخبراء" لنفي أو اثبات مقولة الباحث.

ومـــع ذلـــك فلديـــنا جميعا الحق في إبداء "آرائنا" عن الافلام وبرامج التليفـــزيون وغيرها من الأعمال الفنية، التي يعبر عنها بالنصوص وبأعمال وأداء الممثلـــين، ولكـــن ذلـــك لا يعني أننا دائما على حق وصواب بالنسبة لآرائـــنا أو أن آراءنـــا ســـليمة مثل آراء الآخرين من الباحثين، إنها نوعية البـــراهين والأدلة والمناقشات التي يبديها الباحثون بالنسبة للنص والعمل هو الذي يحسب له الحساب، وليس قوة أو شدة "الآراء" التي نبديها.

2/1: من دوريات علوم الاعلام:

يمكـــن للـــباحث الحـــصول علـــى كثير من بيانات المصادر الأولية -الحكومـــية وغيـــر الحكومـــية- التي تصدر في مقالات الدوريات البحثية والكتب وغيرها من المطبوعات عن طريق قواعد البيانات والانترنت.

وتـــصدر معظـــم الدوريات في مجال الوسائط وأساليب الاتصال في الـــشكل المطبوع وبعضها يصدر بالشكل الالكتروني، ومعظم هذه الدوريات تغطـــيها مستخلـــصات الاتصال Communication Abstracts وهى مطبوع ينـــشر كل شهرين ويشمل حوالي (1.500) مستخلص للمقالات كل سنة ومن أمـــثلة دوريـــات الاتصال التي تشملها مجلة مستخلصات الاتصال الدوريات التالية والتي يبلغ عددها حوالي أربعين دورية.

ويلاحــظ القــارئ أن الدوريات التالية باللغة الإنجليزية أما الدوريات العلمية باللغة العربية التى تتناول علوم الإعلام فهى قليلة ومن أمثلتها: المجلة العلمــية لــبحوث الإعلام إلى تصدرها كلية الإعلام بجامعة القاهرة ومجلة الإذاعــات العربية والتى يصدرها اتحاد إذاعات الدول العربية التابع للجامعة العــربية ومقــر الاتحاد بتونس- وفيما يلى الدوريات العلمية المشهورة فى مجال علوم الإعلام باللغة الإنجليزية.

1- American Anthropologist
2- American Behavioral Scientist
3- American Educational Research Research journal
4- American journal of psychology
5- American journalism
6- American political Science Review
7- Canadian journal of Communication
8- central States Speech Journal
9- Communication
10- Communication Education
11- Communication Quarterly
12- Communication Research
13- Communication and the law
14-Critical Studies in Mass Communication
15- Human Communications Research
16- InterMedia
17- Journal of Advertising
18- Journal of Applied Communication Research
19-Journal of Broadcasting and Electronic Media
20- Journal of Communication
21-Journal of Communication Inquiry
22- Journal of Marketing Research
23- Journal of Media law and Practice
24- Journalism History
25- Journalism Quarterly
26- Mass Comm Review
27- Media,Culture and Society
28- Political Communication and Persuasion
29- Public Culture
30- Public Opinion Quarterly
31- Public Relations Journal
32- Quarterly Journal of Speech
33- Reference and Reseach Book Nwes
34- Sgns: Journal of Women in Culture and Society
35- Telecommunication journal
36- Thalia: Studies in Literary Humor
37- Theory and Society
38- Western Journal of Communication
39- Written Communication

المرجع **Berger,A.A., Sours , p.25-26**

الشكل (1) دوريات علوم الإعلام

ثانياً: الانترنت:

تقدم لنا الانترنت (الشبكة العنكبوتية العالمية www) كميات ضخمة من المعلومات باستخدام محركات البحث Search Engines مثل التافزتا – هوت بويـــنت –ياهـــو– جـــوجل . وغيرها مثل نيكسيس – وليكسيس وغيرها من قواعد البيانات على الخط المباشر.

كمـــا تقدم لنا بعض مخازن الكتب على الخط المباشر Online Book Stores مـــثل الأمــــازون .Amazon com المعلـــومات عـــن الكـــتب بجميع تخصـــصاتها كمـــا تقـــدم أحـــيانا مراجعات للكتب وروابط بين الكتب ذات الموضـــوعات القـــريبة وهناك مصادر احصائية عديدة متاحة للباحثين وعن طـــريق استخدام محركات البحث وغيرها من مواقع الوب Websites يمكن الوصول إلى معلومات مفيدة للغاية أنظر عناوين الانترنت المفيدة ومحركات بحث الوب في الشكلين التاليين (2)، (3).

Useful Internet Addresses

http://www.amazon.com (bookstore)

http://www.barnesandnoble.com (bookstore)

http://www.cios.org (Communication Institute for Online Scholarship—CIOS)

http://www.cios.org/www/afjourn.htm (journals list from CIOS)

http://www.ipl.org (Internet Public Library)

http://www.iTools.com/research-it (research source)

http://www.library.uiuc.edu/cmx (Communications Library, University of Illinois)

http://www.loc.gov (Library of Congress)

http://www.miracosta.cc.ca.us/home/bmcwilliams/CommStudies/links.html (communication links)

http://www.moviedatabase.com (movie database)

http://www.mtnds.com/af/fr-bottom.asp (to find the meaning of acronyms)

http://www.nytimes.com (*New York Times*)

http://www.nara.gov (National Archives & Records Administration)

http://www.netlibrary.com (2,000 books, periodicals, journals, and articles)

http://www.onelook.com (dictionaries)

http://www.uky.edu/~drlane/links.html (communication links)

http://www.wsj.com (*Wall Street Journal*)

http://www.wsu.edu/~brians/errors/errors.html (common errors in English)

http://www.Yahoo.com/Reference (research source)

Berger (A.A. (2000 p. 29)

الشكل (2)

Web Search Engines

Web search engines keep a catalogue of pages they have investigated and when you ask about some topic, it scans its catalogue looking for Web pages that are relevant.

AltaVista	http://www.altavista.com
Ask Jeeves	http://www.askjeeves.com
Excite	http://www.excite.com
Google	http://www.google.com
HotBot	http://www.hotbot.com
InfoSeek	http://www.infoseek.com
Lycos	http://www.lycos.com
Northern Light	http://www.northernlight.com
WebCrawler	http://www.webcrawler.com
Yahoo	http://www.yahoo.com

Web Meta-Search Engines

Meta-search engines send requests for information to a number of search engines simultaneously, which means their searches take more time than regular search engines. They often summarize the data they receive or present only a few matches, and thus, they may miss important information.

Dogpile	http://www.dogpile.com
MetaCrawler	http://www.metacrawler.com
SavvySearch	http://www.savvysearch.com

Berger (A.A. (2000 p. 30)

الشكل (3)

محركات البحث للوب

ثالثاً: بعض مصادر المعلومات العربية

أدلة مصادر المعلومات العربية:

1. **جاسم محمد جرجيس (1989)**: مصادر المعلومات في مجال الاعلام والاتصال الجماهيري، تأليف جاسم محمد جرجيس، بديع القاسم، الكويت: شركة المكتبات الكويتية، 367ص.

يتضمن الدليل المراجع الأساسية الأجنبية والعربية في مجال الاعلام والاتصال الجماهيري مقسمة على النحو التالي:

الكتب السنوية، القواميس والمكانز، الموسوعات، التراجم والسير، الببليوغرافيات وفهارس المكتبات، الدوريات وأدلتها، أدلة الرسائل الجامعية، وقائع المؤتمرات، خدمات التكشيف والاستخلاص، وقد بلغ عدد المراجع التي تم التعريف بها 270مرجعا.

2. **جاسم محمد جرجيس (1990)**: علوم الاعلام والاتصال: كتاب يعرف بأبرز المراجع في مجالات الاعلام والنشر والاذاعة والتليفزيون والصحافة والأفلام والسينما والاعلان والعلاقات العامة/ جاسم محمد جرجيس، بديع محمود القاسم – بغداد: مركز التوثيق الاعلام لدول الخليج العربي 219 ص.

تضمن الدليل قوائم معرفة بكشافات الدوريات العربية والأجنبية في علوم الاعلام والاتصال والدوريات المكرسة كليا أو جزئيا بتقديم خدمات الاستخلاص في المجال. وقد بلغ عدد المطبوعات التي تم التعريف بها 289 كتاب منها 64 باللغة العربية و 225 باللغة الانجليزية. يتضمن العمل كشافين، الأول بالأعلام (المؤلفون والمترجمون والمحررون) والثاني بعناوين المطبوعات.

3. **عاطف عدلي العبد (1986)**: دليل بحوث الاتصال في الوطن العربي منذ ظهور الطباعة حتى عام 1983 – القاهرة: دار الفكر العربي، 257 ص.

يغطي هذا الدليل الببليوجرافي الإنتاج الفكري العربي(المؤلف والمترجم) في مجال الدراسات الاعلامية منذ ظهور أول كتاب مطبوع عن الاعلام عـــام 1896 حتى نهاية الربع الأول من عام 1983. وقد بلغ عدد المداخل 4030 مدخلا. بما في ذلك رسائل الماجستير والدبلوم والدكتوراه.

ينقـــسم الدليل إلى ثلاثة أقسام رئيسية هى: الاتصال والاعلام، الاذاعة (راديـــو وتليفـــزيون) ، الصحافة، وتحت كل قسم رتبت موضوعاته الفرعية ترتيبا هجائيا. وتوجد في بداية الدليل قائمة محتويات مفصلة ثم قائمة برؤوس الموضوعات المستخدمة.

وينتهـــى الدلـــيل بأربعـــة كـــشافات هجائية (المؤلفون، المترجمون، المراجعون، المقدمون).

4. **أبـــو الفـــتوح حامـــد عودة (1991)**: دليل رسائل الدكتوراه والماجستير- القاهرة: جامعة القاهرة، كلية الاعلام، مركز التوثيق الاعلامي، 318 ص.

يشتمل هذا الدليل على الأطروحات الجامعية المعتمدة من كلية الاعلام بجامعـــة القاهـــرة مـــنذ انشائها حتى عام 1990، وكذلك بعض الأطروحات الجامعية المعتمدة من كليات أخرى والموجودة في مكتبة الكلية. وقد تم تقسيم الأطروحات إلى المجموعات التالية:

1- دكتوراه اذاعة وتليفزيون.
2- ماجستير إذاعة وتليفزيون.
3- دكتوراه صحافة ونشر.
4- ماجستير صحافة ونشر.
5- دكتوراه علاقات عامة واعلان.
6- ماجستير علاقات عامة واعلان.

حـــيث تعطي بيانات ببليوجرافية كاملة عن كل أطروحة ثم مستخلصا يتـــضمن المعلومات الأساسية للأطروحة، توجد كشافات تشتمل على مداخل مرتبة هجائيا كالاتي:-

كشاف هجائي بعناوين الأطروحات، كشاف يشتمل على مداخل بطريقة الكلمــات الدالــة مــن العــنوان، كشاف يشتمل على مداخل موضوعية من مستخلص الأطروحة، وأخيرا كشاف هجائي بأسماء الباحثين.

القواميس والمعاجم:

5. **محمــد فــريد محمــود عــزت (1984):** قاموس المصطلحات الإعلامية: إنجليزي– عربي– جدة: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، 374 ص.

يشتمل هذا القاموس على نحو 8000 مصطلح تغطي معظم موضوعات وجوانب علوم الاعلام المتشعبة في أهم مجالاتها كالصحافة ووكالات الأنباء والاذاعــة والتليفــزيون والــسينما والمــسرح والتصوير والعلاقات العامة والاعــلان والطــباعة والنــشر والكتب وغير ذلك من المجالات المرتبطة ارتــباطا وثــيقا بــالاعلام، يــضم أسماء بعض وكالات الأنباء والاذاعات والــصحف، مرتبة هجائيا حسب الترتيب الهجائي للمصطلحات الانجليزية ثم يعطي المقابل أو المقابلات العربية مع تعريف موجز بالعربية.

6. **أحمــد زكــي بــدوي(1985):** معجم مصطلحات الاعلام: الرأى العام، الاعلان، العلاقات العامة، الصحافة، الراديو، التليفزيون، السينما / تقديم أحمــد خلــيفة – القاهــرة: دار الكــتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، 208 ص.

معجــم انجليزي– فرنسي– عربي، مع تعريفات بالعربية، يحوي 824 مــصطلحا اعلاميا يتعلق بموضوعات الرأى العام والعلوم المتعلقة بالاتصال وأشــكال الاتــصال بالجماهير من صحافة وراديو وتليفزيون وسينما. الخ، ويقتــصر علــى مصطلحات الاعلام من النواحي الاجتماعية والسيكولوجية، ملحق به كشافات (مسردان) الفبائيان للمصطلحات العربية والفرنسية.

7. **عبد الوهاب نجم (1991):** القاموس الاعلامي: عربي– انجليزي– ط 2، منقحة ومزيدة – بغداد : دار الحكمة للطباعة والنشر، 1991– 750 ص.

يضم نحو عشرة الاف كلمة في الصحافة بأنواعها والاذاعة المسموعة والمــرئية ويهــتم بالمفــردات والمصطلحات التي ترد في الأخبار المحلية والعــربية والعالمية، إضافة إلى تلك التي تستعمل في مجالات العلاقات بين الــدول وفــي الأمم المتحدة، الخ. تعطي المصطلحات العربية أولا والتي يتم على أساسها الترتيب الهجائي، ثم يعطي المقابل الانجليزي.

8. **أحمــد حــسين الــصاوي (1993)**: قامــوس المــصطلحات الاعلامية: انجليزي- عربي-271 ص. يشتمل على أكثر من عشرة الاف مصطلح، تعطــي المصطلحات بالانجليزية في ترتيب هجائي وبجوارها المقابلات العربية دون شرح أو تعريف.

9. **كرم شلبي (1994)**: معجم المصطلحات الاعلامية : انجليزي – عربي – بيروت : دار الجيل، 1040 ص.

وتشتمل الطبعة الجديدة على حوالي 20 ألف مصطلح من المصطلحات الخاصة بفنون الاتصال المختلفة من نظريات الاتصال ونماذجه وأشكاله إلى وسائل الاتصال المختلفة من حرف واذاعات بالراديو والتليفزيون فضلا عن كــل ما يتعلق بالأقمار الصناعية ووكالات الأنباء وكافة الفنون الحرفية من فنون التحرير والكتابة والتصوير والاخراج والعلاقات العامة، بالإضافة إلى بعــض المصطلحات السياسية لصيقة الصلة بالمجال الاعلامي والتي تشكل أساسا عمل مترجمي البرقيات الصحفية من الانجليزية إلى العربية.

تـم التـرتيب علـى حسب الحـروب الانجليـزية حيث يعطـي المـصطلح بالانجليزية ومقابلة بالعربية مع شرح باللغة العربية.

10. **بدران محمد بدران (1980)**: الراديو والتليفزيون والفيديو: قاموس عربي مع التعاريف، انجليزي، فرنسي، ألماني- القاهرة: مؤسسة الأهرام، 111 ص.

مــوجه للمــشتغلين فــي مجــالات استخدام وتصميم واصلاح أجهزة الارســال والاستقبال والاتصالات الصوتية والمرئية. يضم 1024 مدخل مع

102 وسـيلة ايـضاحية، القسم العربي يضم المصطلحات العربية في ترتيب هجائـي يتبع كل منها المقابلات بالإنجليزية والفرنسية والألمانية ثم تعريف موجـز بالعـربية. القسم الانجليزي يضم المصطلحات الانجليزية في ترتيب هجائـي مرقمة ترقيما مسلسلا وأمام كل منها المقابلات الفرنسية ثم الألمانية ثم العربية. توجد كشافات فرنسية وألمانية: الكلمة والرقم بالقسم الانجليزي.

الموسوعات:

11. الموسـوعة الصحفية العربية – تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1990–1991 – 2 مج (324، 359 ص).

تهـدف هذه الموسوعة إلى المسح الشامل لتطور الصحافة في مختلف البلدان العربية ولأوضاعها الحالية على مختلف المستويات القانونية والمهنية والتنظيمية وغيرها.

يـشتمل المجلـد الأول على صحافة أقطار المشرق العربي (سوريا– لبـنان– فلسطين– الأردن) ويتضمن هذا المجلد خمسة فصول تتعلق بالتطور التاريخـي للصحافة في بلدان المشرق العربي، وأهم الجرائد والمجلات في هذه البلدان، وأهم الرواد من الصحفيين، ومختلف التشريعات التي تنظم قطاع الـصحافة، والتنظيمات النقابية الصحافية في بلدان المشرق العربي، مع ثبت للمراجع والدراسات الأخرى التي اهتمت بهذه الصحافة، ونماذج مصورة من بعض الصحف التي صدرت في هذه البلدان.

أما المجلد الثاني فهو يختص بأقطار وادي النيل والقرن الأفريقي التي تـضم كـلا من مصر والسودان والصومال وحيث تتناول التطور التاريخي للـصحافة فـي هذه البلدان وتنظيمها القانوني وأعلامها والظروف السياسية والاجتماعـية والثقافـية التي أحاطت بتطورها وأولى هذا المجلد قسما هاما للـصحافة المـصرية منذ نشأتها على يد محمد على 1828 حتى عام 1980 وتـضمن وثائـق هامـة حول مختلف تشريعات الصحافة طوال هذه الفترة

وحـــول المؤســـسات الصحفية وتراجم لأهم الشخصيات الصحفية المصرية بالإضـــافة إلـــى قائمـــة ببليوجرافية ثرية حول الصحافة المصرية. وبالنسبة للسودان فقد أبرز المجلد واقع الصحافة قبل استقلال السودان ثم تطورها بعد الاستقلال، وقد أبرز الجزء المخصص للصومال الظروف التي أحاطت بنشأة الصحافة وتطورها.

رابعاً: بعض مصادر المعلومات الأجنبية:

أ- الببليوجرافيات:

12. Block, E.S. (1991 Communication and Mass Media: A Guide to the Reference Literature. Englewood Colo.: Libraries Unlimited. 180 P,

يشمل (483) عنوان وتشمل: نظرية الاتصال- الاتصال بين الأشخاص والجماعـــات الصغيرة - الاتصال الجماهيري (الراديو، التليفزيون، الفيلم) - الاتـــصال عن بعد وتكنولوجيا الاتصال الحديثة، العلاقات العامة- الاعلان- الـــصحافة. وقـــد عالج المرجع هذه الموضوعات ككل تحت فئات المصادر المـــرجعية، وينتهـــي الدلـــيل بكـــشافين هجائيين للمؤلف والعنوان والثاني للموضوعات.

13. Blum, E. (1990) Mass Media Bibliography. 3rd ed. Urbana. S11., Univ. of Illinois Press. 344p.

تحتوى الطبعة الثالثة على (1947) عنوانا ورتبت حسب الموضوعات وتـــوجد أقـــسام مستقلة حسب الشكل، تقتصر التغطية على المواد الإنجليزية وتـــوجد كـــشافات بالمؤلفـــين والعناوين والموضوعات.وهناك بعض قواعد البيانات البيلبوجرافية العامة مثل:

- Reader's Guide to Periodical literature.
- National Newspaper Index

- Social Science Index
- Business Periodicals Index

ب- دليل الدوريات في علوم الاعلام:

14. Sova, Harry w. Communication serials: an international guide to periodicals in communication, popular Culture and the performing arts/Harry W. Sova and Patricai Sova. Virginia Beach, Va.: Sova Comm, 1992- 1041p.

أكثر الأدلة شمولاً للدوريات في مجال الاتصال. يشمل دوريات من 40 مجالا من مجالات الاتصال مع الاهتمام بالاتصال الجماهيري. يعطي بيانات مفصلة عن كل عنوان فضلا عن تعريف بالمحتوى.

توجد كشافات بالموضوعات، ومصادر التكشيف والاستخلاص والأرقام الدولية الموحدة للدوريات والناشرين وملامح أخرى.

ج- المستخلصات والكشافات:

15. Journalism abstracts.– Columbia, SC: Association for Education in Journalism and Mass Communication. 1963 – Annual.

يكشف ويستخلص رسائل الدكتوراه والماجستير في الصحافة والاتصال الجماهيري من الجامعات في الولايات المتحدة وكندا.

الإشارات الببليوجرافية والمستخلصات (المكتوبة بأقلام أصحاب الرسائل) مرتبة هجائيا بأسماء المؤلفين في قسمين مستقلين أحدهما لرسائل الدكتوراه والثاني لرسائل الماجستير.

توجد كشافات بالمؤلفين، والمؤسسات مانحة الدرجات، والموضوعات. مع ملاحظة أن رؤوس الموضوعات مشتقة من الكلمات المفتاحية والعناوين والمستخلصات.

16. Index to Journals in communication studies through 1990/ edited by Ronald J. Matlon and Sylvia P. Oritz – Annandale, Va.: Speech Communication Association, 1992. – 2 vols.

يشتمل هذا الكشاف على تكشيف عدد (19) من الدوريات الأكثر أهمية باللغة الانجليزية في مجال الاتصال منذ بدئها حتى عام 1990. ينقسم هذا الكشاف إلى مجلدين. المجلد الأول يتضمن الترتيب وفقا لقوائم محتويات كل عدد مع ترقيم للمقالات. أما المجلد الثاني فيضم ثلاثة أنواع من الكشافات لاتاحة الوصول إلى قوائم المحتويات المستخدمة أولها كشاف الكلمات المفتاحية للمصطلحات المستخدمة للفئات الفرعية في خطة التصنيف والكشاف الثاني هو كشاف مصنف للموضوعات، أما الكشاف الثالث فهو كشاف مؤلفين.

17. Communication abstracts. –Bevrly Hills, CA: Sage, 1978- 6/ year.

أكثر خدمات التكشيف والاستخلاص أهمية في مجال الاتصال:

يشتمل كل عدد على مستخلصات مرقمة لحوالي 200 مقال من حوالي 250 دورية و 50 كتابا وفصلا من كتاب.

توجد كشافات مؤلفين وموضوعات مستقلة في كل عدد. ويتضمن كل مدخل بيانات ببليوجرافية مكتملة إضافة إلى مستخلص جيد. تتركم الكشافات في العدد الأخير من كل مجلد.

د- المراجعات والكتب السنوية:

18. Progress in communication sciences. – Norwood, N. J.: Ablex, 1979 –

تشتمل مجلدات هذه السلسلة التي تصدر مرتين في السنة على مقالات استعراضية لحالة الفن للانتاج الفكري في مجالات المعلومات، نقل المعلومات، نظم المعلومات، آثار الاتصال وتشريعات الاتصال والمعلومات.

معظـــم البحوث المستشهد بها تتعلق بأوراق المؤتمرات والمقالات المنشورة حديثاً. معظم المقالات موثقة توثيقاً جيداً وتحوي ببليوجرافيات موسعة.

19. Communication yearbook – Newbury Park, CA: Sage, 1977– 20 Annual.

مطـــبوع ســـنوي لجمعية الاتصال الدولية يشتمل على استعراضات للبحث ومقالات أخرى تعكس الاهتمامات المتنوعة في مجال الاتصال بما في ذلـــك نظـــم المعلومات، الاتصال الشخصي، الاتصال الجماهيري، الاتصال التنظيمي، الاتصال الصحي، فلسفة الاتصال، تكنولوجيا الاتصال البشري.

مـــصدر طيب للببليوجرافيات عن الموضوعات ذات الاهتمام الجاري فـــي المجال. معظم المساهمات تشمل قوائم موسعة بالأعمال المستشهد بها. توجد كشافات بالأسماء والموضوعات.

هـ- قواميس المصطلحات:

20. Weik, Martin H. Communications standard dictionary. – 2nd ed. – New York: Van Nostrand Reinhold, 1989 – 1219P.

تجمـــيع شـــامل للمـــصطلحات والتعريفات المستخدمة في الاتصالات والمجـــالات المتـــصلة، وإن كـــان التركيز على المصطلحات الفنية، كما أن التعـــريفات فنـــية ودقيقة للغاية، ومن ثم فإنه مفيد بالنسبة للمتخصصين في الاتـــصالات عـــن بعد وتكنولوجيات الاتصال الحديثة. ويضم القاموس نحو 12000 مصطلح، والمصطلحات موضوعة في ترتيب هجائي.

21. Weiner, Richar. Webster's new world dictionary of media and communication.– N.Y. Webster's New World, 1990- 533p.

يعـــرف بإيجاز بكلمات من مجالات متنوعة تشمل المبيعات والاعلان، الاذاعـــة والتليفـــزيون والنشر والحاسبات الالكترونية، الصحافة، التسويق،

العلاقـــات العامـــة، يـــدرج ويـــصف أيضا الشركات البارزة والجمعيات أو الاتحادات التجارية والمهنية.

و- الموسوعات والكتب السنوية:

22. International encyclopedia of communications/Erik Barnow, ed. In chief. (et al). – Oxford Univ. Press, - 4 vols.

هـــذه الموســـوعة الدولـــية للاتصالات هى المحاولة الأولى كموسوعة موثـــوق فيها وشاملة في المجال، وهى الآن أفضل مصدر للمعلومات من هذا الـــنوع، وهـــى نـــشر مشترك مع مدرسة Annenberg للاتصالات في جامعة بنـــسلفانيا. وقد شارك في إعدادها وتحريرها نخبة ممتازة من المشهورين في المجـــال علـــى نطـــاق دولـــي. تتراوح المقالات ما بين فقرات قليلة إلى عدة صفحات. الهدف من الموسوعة هو أن تعرف وتعكس وتلخص وتشرح المجال بطـــريقة شمولية.. وهى تضم مداخل للأفراد المولودين قبل 31 ديسمبر 1919 المداخل موقعة ومرتبة هجائيا تحوي إيضاحات وببليوجرافات قصيرة.

يوجد بالمجلد الرابع: دليل المهمين في إعداد الموسوعة (أكثر من 450)، دلـــيل موضوعي Topical guide وكشاف تحليلي. والدليل الموضوعي يدرج المقـــالات تحـــت 31 فئة موضوعية عريضة . تشتمل الموسوعة على حوالي 550 مقالة.

وهـــناك موسوعات عديدة مثل الموسوعة البريطانية وهى حاليا على الاقـــراص المكتنـــزة CD-Rom وهـــناك أيـــضا موسوعات على الاقراص المكتنزة فقط مثل Microsoft's Encarta وبعض الموسوعات متخصصة فقط في الاتصال والتليفزيون والميديا الجماهيرية Communication, television and the Mass Media

8/4/2: الكتب السنوية مثل:

Communication yearbook

كما تصدر هيئة الأمم المتحدة عدة مجلدات منها:

- Statistical Yearbook and Demographic Yearbook
- Yearbook of labour statistics.

23. Kurian, George Thomas, ed. World Press encyclopedia. – Bew York: Facts on File, 1982,- 2 vols.

هـذه الموسوعة التي تقع في مجلدين تضم 1202 صفحة و 46 مساهما تمسح الصحافة في 180 دولة حتى أواخر السبعينيات وهى تنقسم إلى أربعة أقسام، القسم الأول يحتوى على ست مقاولات عن صحافة العالم ومنظماتها وقوانينها ومجالسها. أما القسم الثاني فيتناول النظم الصحفية المتقدمة ويناقش تاريخ الصحافة واقتصادياتها، الرقابة، التعليم والتدريب، الخ. وتتراوح السمات في الطول من أربع صفحات (بوليفيا وألبانيا) إلى 76 صفحة (الولايات المتحدة). ويوجد تقويم زمني chronology للأحداث الهامة وقائمة ببليوجرافية مختارة في نهاية كل مدخل.

القسم الثالث يحوي (33) موجز عن النظم الصحفية الأصغر والنامية. ويضم القسم الرابع النظم الصحفية في الدول المتخلفة underdeveloped والمعلومات مقدمة في شكل جدولي. كل مداخل الدول مرتبة هجائيا داخل كل قسم، توجد ملاحق وكالات الأنباء، جمعيات الصحافة، أبرز (50) صحيفة يومية على نطاق العالم، الخ. يوجد كشاف مفصل يضم الأسماء والعناوين والوكالات والمنظمات.

ز- كتب الحقائق:

24. Berger, Charles R. and Steven H. Chaffee, eds. Handbook of communication science. " Beverly Hills, CA.: Sage, 1987- 946p.

أكثر كتب الحقائق أهمية فيما يتعلق بدراسة الاتصال بصفة عامة فهو يـــشتمل علـــى مقالات تغطي أبرز المفاهيم في مجال علم الاتصال، ومن ثم تبـــرز قيمـــته فـــي الاستعراضات للمفاهيم وفي الببليوجرافيات الموسعة في نهايات الفصول.

والكتاب مرتب في أربعة أقسام، القسم الأول يقدم نظرة عامة للمجال. ويشتمل القسم الثاني على مقالات تقدم تحليلات للاتصال بمستوياته المتعددة. ويـــشتمل القـــسم الـــثالث على مناقشات لدور اللغة في عرض وخلق القوة الاجتماعـــية، التنشئة الاجتماعية والاتصال، والاتصال وإدارة الصراع، الخ. وتـــصف المقالات في القسم الرابع"السياقات" الخاصة للاتصال مركزة على الأسرة، العلاقات الزوجية marital ، سلوك المستهلك، الاتصال الجماهيري، الرأى العام، الاتصال السياسي، والاتصال عبر الثقافات.

25. The Wold media handbook, 1992-24, New York United Nations, 1992. 504 p.

يغطي هذا العمل أكثر من 160 دولة من دول العالم يعطي بداية بعض المؤشـــرات بالنـــسبة لكـــل دولة مثل حجم السكان، الدخل، اللغات الرسمية، معـــرفة القراءة والكتابة، الخ، ثم يعطي قائمة بالصحف، المجلات، وكالات الأنـــباء، محطـــات الإذاعة والتليفزيون، مؤسسات تعليم الاتصالات. وعلى العموم فإن المعلومات والبيانات الحقائقية والاحصائية التي يقدمها هذا العمل دقيقة وقيمة.

ح- مصادر التراجم:

26. Dziki, Sylwester, Janina Maczuga and Walery Pisarek, eds. Who's who in mass communications. 0 2nd ed – Munich, New York: K.G. Saur, 1990 – 191p.

طبعة مراجعة من الدليل الذي سبق صدوره عام 1984 بعنوان:

World directory of mass communication researchers.

يتميـــز هـــذا الدليل بأنه يغطي الكثير من الباحثين غير الموجودين في المصادر البيوجرافية الأخرى التي يركز معظمها على الأمريكيين والكنديين والباحثين عن دول أوربا الغربية.

وهـــو يـــشتمل في هذه الطبعة على 1124 مدخلاً في ترتيب هجائي، ويتضمن البيانات المعتادة عن الأشخاص، ويوجد له كشاف.

ط- أدلة المؤسسات:

27. Journalism and mass communication directory.– Columbia, SC: Assoc. for Education in Journalism and Mass Communication (ADJMC). University of south Carolina, 1993 – Annual.

يـــشتمل هـــذا الدلـــيل علـــى ثروة من المعلومات عن تعليم الصحافة ومعلمـــيها. وهـــو يدرج أولا مدارس وأقسام الصحافة والاتصال الجماهيري مـــرتبة هجائـــياً بالولايات المتحدة، وتوجد بعض المعلومات عن بورتريكو، كندا، أستراليا، انجلترا.

وتشمل المداخل المدارس والأقسام: العنوان ورقم التليفون، تخصصات البرنامج، هيئة التدريس، التسهيلات التعليمية.

المصادر المرجعية للمعلومات في علوم الإعلام الواردة أعلاه اعتمدت على المرجع التالى أساسًا: (أحمد بدر 2001)

المصادر العربية للكتاب:

1- أحمــد بدر(1975): الثورة السلوكية فى العلوم السياسية مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، س23ع^{2}، ص35 -50.

2- ـــــــ (1978) الصحافة الكويتية: دراسات توثيقية تحليلية تاريخية أرشــيفية. الكــويت: مؤسسة الصباح، (بالاشتراك مع عبد الرحمن الشيخ).

3- ـــــــ (1978) الاعلام الدولي: دراسات في الاتصال والدعاية الدولية. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، 407 ص.

4- ـــــــ (1978) الرأى العام: طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره في السياسة العامة. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر، 355ص.

5- ـــــــ (1996) أصول البحث العلمي ومناهجه- ط 9- القاهرة: المكتبة الاكاديمية.

6- ـــــــ (1998) الاتــصال بالجماهيــر بين الاعلام والتطويع والدعاية: القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر /364ص.

7- ـــــــ (1998) مناهج البحث في الاتصال والرأى العام والاعلام الدولي، القاهرة : دار قباء للطباعة، ص307.

8- ـــــــ (1998) الــثورة مــا بعد السلوكية فى العلوم السياسية والعلاقــات الدولية فى كتابة مناهج البحث في الاتصال والرأى العام والإعلام الدولى (ص273-290).

9- ـــــــ (2001) مقدمة في الإنسانيات والعلوم الاجتماعية. القاهرة/ دار قــباء للطــباعة والنــشر (الصحافة والإعلام ص127-144) ثم (ص180-181)، ص199.

10- ـــــــ (2007) الــصحافة الكونية. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر.

11- أسماء حسين حافظ (2004): منهجية بحوث الاعلام والعلاقات العامة في ضوء الاتجاهات الحديثة ، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

12- سامي طايع (2001) بحوث الإعلام . القاهرة: دار النهضة العربية.

13- سامية محمد جابر (2000) منهجيات البحث الاجتماعي والاعلامي. القاهرة، دار المعرفة الجامعية.

14- سمير محمد حسين: (1996) تحليل المضمون: تعريفاته ومفاهيمه ومحدداته، القاهرة: عالم الكتب.

15- عاطف العبد وزكي أحمد عزمي (1993) : الأسلوب الاحصائي واستخداماته في بحوث الرأى العام والاعلام. القاهرة: دار الفكر العربي.

16- عاطف العبد (2000): الرأى العام وطرق قياسه : الأسس النظرية الجوانب المنهجية النماذج التطبيقية والتدريبات العملية. القاهرة: دار الفكر العربي.

17- عاطف العبد: (2000) تصميم وتنفيذ واستطلاعات وبحوث الرأي العام والإعلام: الأسس النظرية والنماذج التطبيقية. القاهرة: دار الفكر العربي.

18- فرج الكامل: (2001) بحوث الإعلام والرأي العام: تصميمها، وإجرائها. وتحليلها . القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية.

19- محمد سعد إبراهيم (2000) إشكالية المنهج لدى الباحثين الإعلاميين الشبان، بحث مقدم ضمن كتاب بحوث في الصحافة المعاصرة) القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

20- محمد عبد الحميد (1992) بحوث الصحافة. القاهرة . عالم الكتب.

21- محمد عبد الحميد: (1993): دراسة الجمهور في بحوث الاعلام، القاهرة: عالم الكتب.

22- محمـــد عبد الحميد: (2000) البحث العلمي في الدراسات الاعلامية. القاهرة. عالم الكتب.

23- محمـــد منيـــر حجـــاب (2002): أساســيات الــبحوث الاعلامــية والاجتماعية. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

24- محمـــد نـــصر مهـــنا (1996): الوجيز في مناهج البحوث السياسية والاعلامية، دار النشر للجامعات المصرية.

25- محمـــود حـــسن إسماعيل (1996): مناهج البحث في اعلام الطفل: القاهرة: دار النشر للجامعات المصرية.

26- محمـــود خلـــيل (1999): تكنولوجـــيا برامج التحليل العلمي ببحوث الإعلام، القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

27- محمود علم الدين (1990): بحوث الاتصال الجماهيري: رؤية نظرية القاهرة: مطابع المنار العربي.

المصادر: الأجنبية للكتاب:

1. 1970. American Mass Media and the June Conflict. In IBrahim Abu-Lughod, ed. The Arab Israeli Confrontation of June 1967: An Arab Perspective. Evanston, 111. "Northwestern University Press, PP. 138-154.

2. Are the media fair to Israel? 1976. Jewish Observer and middle East Review 25 (May 28, 1976) P.7.

3. Batroukha, Mohammed Ezzedin 1961. The Editorial Attitudes of the New York Times and the Christian Science Monitor Toward the Arab-Israeli Dispute (January 1, 1955- June 30, 1956): A Content Analysis Study. Ph. Dissertation, Syracuse University, 1961.

4. Belkaoui, Janice Monti. (1978). Images of Arabs and Israelis in the prestige Press, 1966-47. Journal of Communications 55 (Winter 1978) PP. 732 - 738, 799.

5. Berger, A.A (Ed.) (1998). The postmodern presence. Walnut Creek, CA: AltaMira.

6. Berger, Arthur Asa (2000) Media and Communication Research: Methods: An Introduction to Qualitative and Quantitative Approaches. Sage publication, Inc.' Thousand Oaks, London.

7. Birch, T. (1989) Anatomy of Birch Radio Telephone Interview and Records.

8. Bogdan, R.C., & Biklen, S.K. (1992). Qualitative research in education: An introduction to theory and methods. Boston: Allyn & Bacon.

9. Childs, H.L. (1965) Public opinion : Nature, Formation and Role. Princeton, NJ: van nostrand.

10. Creswell, J.W. (1994). Research design: Qualitative and quantitative approaches. Thousand Oaks, CA: Sage.

11. Davison, W.P.(1987) POQ's fifty year Odessey Public Opinion Quarterly, V,51, 4-11.

12. Day, R.A. (1988). How to write and publish a scientific paper (3rd ed.). Philadelphia: Institute for scientific Information.

13. Daymon, Christine (2002) Qualitative Research Methods in Public Relations and Marketing Communications. Florence, Ky, U.S.A Routhedge.

14. Druckman, J.N..(2003). The Power of Televised images: The first Kennedy-Nixon debate revisited. Journal of Politics, 65(2), 559- 571.

15. Eveland, W.P. Jr. (2003). A "mix of attributes" approach to the study of media effects and new communication, communication technologies. Journal of communication 53 (3), 395-410.

16. Ferguson. D.A., & Perse, E.M. (2000). The world wide-web as a functional alterative to television. Journal of Broadcasting & Electronic Media. 44 (2), 155-174. Kayany, J.M., & Yelsma, P.(2000). Displacement effects of online media in the socio-technical contexts of households. Journal of Broadcasting & Electronic Media. 44(2) 215-229.

17. Gerbner, George et al (1969). The Analysis of. Communication Contents. Development in Scientific Theories and Computer Techniques. New York: Tohm Wiley V Sons.

18. Ghareeb, Edmund. (1976). The American Media and the Palestinian Problem. Journal of Palestine Studies 5 (Fall - Winter 1976) PP. 127 - 149.

19. Gibaldi, J. (1995). MLA handbook for writers of research papers. (4th ed). New York : Modern Language Association of America.

20. Graziano, A.M., & Raulin, M.L. (1989). Research methods: A process of inquiry. New York: Harper & Row.

21. Gummesson, E.(1991) Qualitative methods in management research , London, Sage.

22. Hannabuss, Stuart, (1995).Approaches to research. ASLIB Proceedings, V. 47(1), 3-11.

23. Hvistendahl, J.K. (1977). Self-administrated Readership Surveys: whole Copy as Clipping Method Journal Quarterly , V. 52 (2), P. 350-356.

24. Hillway, Tyrus (1964) Introduction to Research, 2nd ed. Boston, Honghton Miffin Company, 308 p.

25. Jennings, M. Kent end Zhang, Ning (2005) Generations, Political Status and Collective Memories in the Chinese Countryside. Journal of Politics, V.67, P. 1164-89.

26. Junkel, D., Wilcox, B.L., Cantor, J., Palmer, E., Linn, S., & Dowrick, P.(2004), Report of the APA task force on advertising and children, PP-1-35.

27. Knauper, Barbel (1999). The Impact of Age and Education on Response Order effects in Attitude Measurement. Public Opinion Quarterly. V.63, P.347-70.

28. Krippendrff, K. (1980). Content analysis: An Introduction to its methodology. Beverly Hills, CA: Sage.

29. Lee, W., & Kuo, E. (2002). Internet and displacement effect: Children's media use and activities in Singapore. Journal of Computer-Mediated Communication,7 (2) [Online]. Available : www. ascuse. org/jcmc/vol7/issue2/singapore.html.

30. Luskin, R.C. (1987). Measuring political sophistication. American Journal of Political Science. 31, 856-899.

31. Marshill, Peter (2002), Research Methods: How to design and conduct a successful project, New Delhi: Taico Publishing House Mumbai 400-023.

32. Mcllwraith, R.D. (1998). I'm addicted to television: The personality, imagination, and TV Watching patterns of self-identified TV addicts. Journal of Broadcasting & Electronic Media. 42, 371 - 386.

33. McQuail, D., & Windahl, S. (1993). Communication models for the study of mass communication (2nd ed). New York : Longman.

34. Mitchell, Rober E. The use of content analysis for Explanatory studies, Public Opinion Quarterly. V. 31 (2). P. 230 - 241.

35. Nass, C.,I., & Reeves, B. (1991). Combining, distingui-shing, and generating theories in communication research: A domain of analysis framework Communication research, 18, 240-261.

36. Navarro J., & Riddle, K. (2004). Violent media effects [Online].Available:http://www.uweb.ucsb. edu/~ker/ public opinion.htm.

37. Pan, Z., & Mcleod, J. M. (1991) multilevel analysis in mass communication research. Communication research, 18,140-173.

38. Panagopoulos, Costas (Winter 2006) The Polls - Trends Arab and Muslim Americans and Islam in the Aftermath of 9/11. Public Opinion Quarterly, V.70 (4), P. 608-624.

39. Polk, William R. (2005) Understanding Iraq: The Whole Sweep of Iraqi History, from Genghis Khan's Mongols to the ottoman Turks to the British Mandate to the American occupation. New York : Harper Collins.

40. Price. V., Ritchie, L.D., & Eulau, H. (1991). Cross–level challenges for communication research. Communication research. 18, 262-271.

41. Reeves, B., & Nass, C. (1996). The media equation: How people treat computers, television, and new media like real people and places. Cambridge: Cambridge University press.

42. Robinson, Edward (1967). Public relations and survey research New York: Appleton. Century.

43. Rokeach, M. (1968). The role of values in public opinion research. Public opinion Quarterly.32,547-559.

44. Rosenstone, S.J., & Diamond, G.A. (1990). Measuring Public opinion on political issues. (Report) to the National Election Studies Board of Oversears).Ann Arbor , MI Institute for social research.

45. Rosnov, R.L. and Robinson, E.J (eds) Experiments in persuasion. New York: Academic Press.

46. Rubenstein, Sandra (1995) Surveying Public Opinion.-Belmont: Wadswoth Publishing Co.

47. Salmon, C.T., & Atkin, C. (2003). Using media campaigns for health promotion. In TiL. Thompson, A.M. Dorsey,K.I.Milfer, & R. Parrott (Eds.), Handbook of health communication (TP.449-472). Mahwah, NJ : Erlbaum.

48. Schramm, W. (1957) Twenty fears of Journalism Research Public Opinion Quarterly, V. 21(1), 91-108.

49. Schuman, Howard and Corning, Amy (Spring 2006) Comparing Iraq to Vietnam: Recognition, Recall, and the nature of Cohort Effects. Public Opinion Quarterly. V. 70 (IX P. 78 - 87.

50. Shlovski, I., & Kraut, R. (2004). The Internet and social participation: Contrasting cross-sectional and longitudinal analyses [Online]. Available at:http://www-2cs.cmu.edu/~kraut/Rkraut.site .files/articles/shklovski-pew-change-v4-4.pdf.

51. Sparks, G.G., & Miller, W. (2004). News coverage of the war in Iraq: Cognitive and emotional consequences for viewers. In R.D. Berenger (Ed.), Global media go to war: The role of news and entertainment media during the 2003 Iraq war (pp. 305 - 312). Spokane, WA: Marquette Books.

52. Sparks, Glenn, G. (2006) Media effects Research: A basic Overview. 2rd ed. Wads worth Thomson.

53. Straubhaar, J., & LaRose, R. (2000) Media now: communications media in the information age. Belmont, ca: Wadsworth.

54. Sudman, S., & Bradburn, N.M. (1987). The organizational growth of public opinion research in the united states. Public opinion quarterly, 51 , 567 - 578.

55. Suffatt, Emmanwel, Zev. African Political Issues Issues: A content analysis of Elite - Mass communication (Ph.D., 1969) Georgetown Univ., 166. p.

56. Suleiman, Michael W. 1965. An Evaluation of Middle East News Coverage in Seven American News Magazines, July – December 1956; Middle east forum 41 (Autumn 1965) PP. 9 - 30.

57. Trumbo, Craig W. (Summer 2004) Research Methods in Mass Communication Research : A Census of Eight Journals 1990-2000. J. & Me Quarterly. V.81 (2), P.417-436.

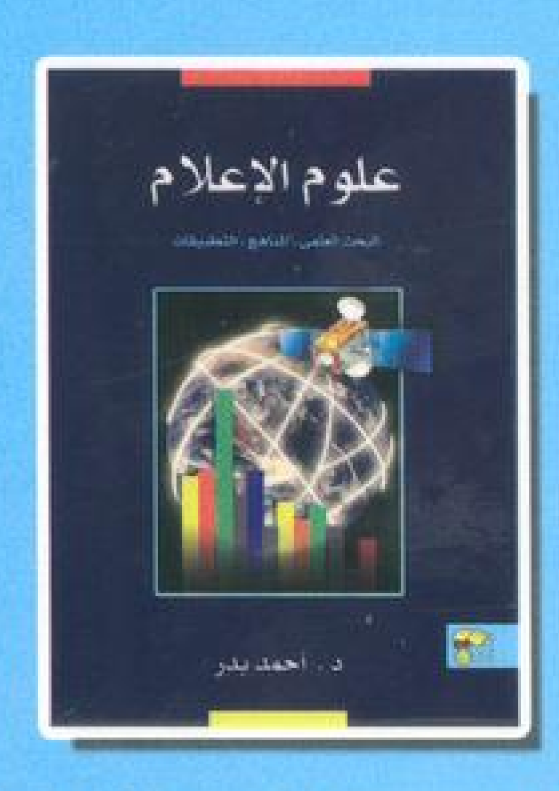
58. Watson,J.,&Hill,A. (1997). A dictionary of communication and media studies (4th ed.) New York: Arnold.

59. Zaller, John R. (1992). The Nature and Origins of Mask Opinion. Cambridge: Cambridge University Press.

60. Zaremba, Alan Jay. 1977. An Exploratory Analysis of National Perceptions An International communications study.Ph. D. Dissertation at state university of New York-Buffalo, 1977.

المحتويات

تنفيذ الطباعة والتجهيزات الطباعية
دار قباء الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة
جمهورية مصر العربية
16 عمارات العبور - شارع صلاح سالم - مدينة نصر
تليفاكس 02/22621385 - محمول 0123140315
E-mail: modern_qubaa@hotmail.com



البحث العلمي ومناهجه في علوم الإعلام هو محور هذا الكتاب، ويهدف بذلك إلى رفع كفاءة الطلاب والباحثين، ويتناول الفصل الأول والثاني المفاهيم الرئيسية في البحث ومصطلحاته واختيار مشكلة البحث، أما الفصلان التاليان فيعالجان تكامل بحوث الإعلام مع العلوم الأخرى وتكامل البحوث النوعية والكمية في دراسات الإعلام، وتتناول الفصول التالية المناهج التاريخية وتحليل المضمون والمسح التجريبي، أما الفصل التاسع فعن التحليل الإحصائي الوصفي كلغة للتعبير عن بيانات البحث والتحليل الإحصائي الاستدلالي كمنهج للبحث واختبار الفروض ثم تأثير الثورتين السلوكية وما بعد السلوكية على بحوث الإعلام، والفصلان الأخيران يتناولان كيفية تجنب الأخطاء الشائعة وكتابة تقرير البحث وتقييمه ثم دراسة التوثيق ومصادر المعلومات ودور الإنترنت في البحث ، والكتاب بذلك يشمل التطورات الحديثة في المناهج ويقدم أساسيات البحث والتطورات الحديثة في التطبيقات.

الناشر

